تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء السادس

دار المعراج

دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء السادس

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج

تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

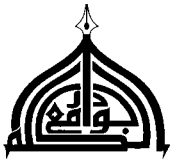

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

سورة إبراهيم [الآيات ٢٥ - ٣٣]

[٢٥] ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾:

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾: من الإيتاء؛ أي: تخرج أكلها؛ أي: ثمرها.

﴿كُلَّ حِينٍ﴾: كلّ زمن، أو في كلّ حين قدره الله؛ لتخرج أكلها أو ثمرها.

﴿حِينٍ﴾: زمن غير محدد قد يطول أو يقصر حسب مشيئة الله.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: بأمر ربها؛ بمشيئة ربها؛ أي: خالقها. ارجع إلى الآية (١) من نفس السورة.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص، ويضرب: من الضّرب، والضّرب فيه معنى إرادة التّأثير في نفس المستمع، وتهيج النّفوس؛ كأن ضارب المثل يقرع أذن السّامع، (أو المستمع)، كي يصل أثر ما يقال إلى قلبه، وينتهي إلى أعماق نفسه.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل للتعليل.

﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾: من التّذكر؛ أي: هناك أمر مر عليهم سابقاً، ثمّ نسوه؛ فيعود الله سبحانه ليذكرهم به؛ يتذكرون: لعلهم يطيلوا التّفكر والتّأمل في هذه الأمثال؛ ليهتدوا بها، ولا ينسوها ويستفيدوا منها. فاستعمل يتذكرون الدالة على طول الزمن الذي يحتاجون إليه، والتفكر العقلي في هذه الأمثال.

وقالوا يمكن تشبيه الإيمان بشجرة لها جذور (أصلها ثابت)؛ يعني: القرآن والسّنة، والإجماع، وأقوال الصّحابة، وفرعها في السّماء.

الفرع: اسم جنس؛ أي: فروعها في السّماء هي: شعب الإيمان، وهي بضع وسبعون شعبة تؤتي أكلها؛ أي: ثمارها، وهي: الحسنات، كلّ حين: كلّ وقت يُعمل به عمل صالح.

[٢٦] ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾:

﴿ وَمَثَلُ ﴾: المثل: يراد به الصّفة (الوصف)، أو التّبيين، أو تشبيهه يراد به المقارنة والموازنة.

﴿كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾: كلمة الكفر والشّرك أو الباطل.

﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾: كشجرة: الكاف: كاف التّشبيه، شجرة خبيثة: هي شجرة الزّقوم، أو الحنظل، أو الشّوك، أو شجرة لا فائدة منها على الإطلاق.

﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾: اقتلعت واستؤصلت من فوق الأرض؛ اجتثت: بكاملها؛ كالجثة.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾: من جذور، أو أصول ثابتة تغذيها.

[٢٧] ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾:

بعد ذكر اجتثت يأتي بكلمة يثبت من التّثبيت.

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾:

يثبتهم على الحق إذا ما فتنوا في الدّنيا في إيمانهم، أو عقيدتهم، وإسلامهم بأن يمدهم بالعون، والنّصر، والصّبر.

﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾: بالقول: الباء: للإلصاق؛ القول الثّابت: هو قول الحق، أو: لا إله إلا الله، والقرآن، وبالحجة، والبرهان، والسّلطان.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زمن حياتهم في الدّنيا؛ فلا يميلون عن قول الحق، والتّوحيد إلى الهوى، والشهوات، واتباع الشيطان.

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: قيل: في القبر الّذي هو أوّل منازل الآخرة حين يسأله الملكان: من ربك، ما دينك، ومن نبيك، كما ورد في الحديث عن البراء بن عازب ﷺ.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مقابل التّثبيت للذين آمنوا بالقول الثّابت في الحياة الدّنيا والآخرة، يضل الله الظّالمين المشركين في الحياة الدّنيا. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى: الظّالمين.

أي: يمدهم في الضّلالة الّتي اختاروها لأنفسهم، ويتركهم وشأنهم يفعلون ما يشاؤون، وحاشا لله تعالى أن يُجبر أحداً على الضّلال؛ لأنّه لا يرضى لعباده الكفر.

وفي الآخرة: في القبر، يضل الله الظالمين فلا يستطيعون الإجابة على أسئلة الملكين.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: من التّثبيت، أو الإضلال حسب ما تقتضيه حكمته بدون أي اعتراض أو مانع، ولا معقب لحكمه سواء في الدّنيا، وفي الآخرة.

ما يشاء من المشيئة: فما الفرق بين المشيئة، والإرادة؟

١ - المشيئة: تسبق الإرادة.

٢ - المشـيئة: فيها إلزام ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أمّا الإرادة: فهي إما إرادة عزم لا تقتضي الإلزام؛ تتعلـق بأفعال العباد؛ فالله يريد لعباده الإيمان، ولكن لا يلزمهم بالقسـر، أو الجبر على الإيمـان، أو إرادة حتم تتعلق بالخلق، والتّكوين، والتّسخير، وإحياء، وإماتة، ورزق.

[٢٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السّورة.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾: الذين: اسم موصول، والنّعمة: لا تكون إلا حسنة.

﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾: أي: الإسلام، والإيمان فبدلاً من أن يشكروا المنعم على نعمه كفروا بها؛ أي: أنكروها، وستروها، وانتبه إلى كيفية كتابة نعمت بالتّاء المفتوحـة، وليس بالتّاء المربوطة؛ لأنّ من خصائص القـرآن: أنّ نعمت: بالتّاء المفتوحة؛ تعني: نعمة خاصة، وليس عامة، وهي نعمة الإيمان، والإسلام؛ فهي نعمـة خاصة بالمؤمنين، وتعني نعم كثيرة العدد؛ أمّا نعمة بالتّاء المربوطة؛ تعني: نعمة ظّاهرة للعيان، وهي نعمة عامة للبشر؛ وتعني أيضاً: نعمة واحدة.

﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: أي: أنزلـوا، أو أوردوا قومهم مورد أو منزل الهلاك بإضلالهم، ومنعهم من الدّخول في الإسـلام، وصدهم عن سـبيل الله، وحملهم على الكفر.

﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: البـوار: أصلها: أرض لا تصلح للزراعة؛ أرض بور لا خير فيهـا؛ البوار: الهلاك؛ أي: دار الهلاك؛ أي: جهنـم، ويدل على ذلك قوله تعالى بعدها: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾.

[٢٩] ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾:

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾: جهنم: ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرّعد.

﴿يَصْلَوْنَهَا ﴾: يحرقون بها، أو يقاسون حرها؛ أي: يدخلونها، وصلى اللحم شواه.

﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾: بئس: فعل من أفعال الذّم. والقرار: مكان الإقامة الدّائمة.

[٣٠] ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾:

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾: وجعلوا: تعود على الّذين بدلوا نعمت الله كفراً؛ أي: صيروا لله أنداداً جمع ند: وهو المِثْل والمشابه. ارجع إلى الآية (٢٢) من سورة البقرة.

﴿أَندَادًا ﴾: جمع ند: وهو الشبيه والشّريك.

﴿لِلَّهِ ﴾: تقديم الجار والمجرور للحصر.

﴿لِّيُضِلُّوا۟ ﴾: اللام: للتوكيد، والتّعليل؛ ليصرفوا النّاس عن الإيمان والتّوحيد والدخول في الإسلام.

﴿عَن سَبِيلِهِۦ ﴾: عن للمجاوزة والمباعدة؛ سبيله: دينه الإسلام والتّوحيد.

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: تمتعوا بنعيم الدّنيا الزّائل، والتّمتع يعني: الانتفاع، ويشمل الأكل والشّرب والملبس والمسكن والأدوات، وهذا وعيد لهم وتهكم عليهم، وإذا قارنا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ ﴾ بقوله تعالى في الآية (٦٦) من سورة العنكبوت: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ بصيغة الغائب

والتوكيد؛ نجد أن التهديد والوعيد في سورة إبراهيم أشد للكفار. ارجع إلى سورة العنكبوت لمزيد من البيان والمقارنة.

﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد.

﴿مَصِيرَكُمْ﴾: مآلكم ومرجعكم ونهايتكم إلى النّار.

﴿إِلَى﴾: حرف غاية؛ يستعمل لكل الغايات: البداية والنهاية، أو ما بين.

[٣١] ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾:

﴿قُل لِّعِبَادِيَ﴾: قل يا محمّد ﷺ.

﴿لِّعِبَادِيَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ عبادي: ارجع إلى الآية (١٨٦) من سورة البقرة لمعرفة الفرق بين عبادي، وعبيد، وعباد.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الّذين: اسم موصول يفيد المدح.

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: وأصلها: قل لعبادي الّذين آمنوا ليقيموا الصّلاة (أضمر لام الأمر)، أو أن تقل لهم يقيموا الصّلاة، وإقامة الصّلاة تعني: أداء أركانها، وسننها، والمحافظة على أوقاتها، والدّوام عليها، وجاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على تجددها وتكرارها.

﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: الإنفاق: إخراج المال من الملك.

(مما): من: أصلاً؛ من: الابتدائية البعضية؛ ما: اسم موصول يعني: الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أي: بعض الّذي رزقناهم، والإنفاق له أشكال مختلفة: الزّكاة، وصدقة التّطوع... وغيرها.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: بالخفاء، والعلن. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٧١) لمزيد من البيان.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: أي: من قبل أن يأتي يوم القيامة.

﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾: لا يباع فيه شيء، ولا يشترىٰ؛ لا فداء فيه بأن يدفع، أو يبيع شيئاً ما ليفدي نفسه، أو ينقذ نفسه.

﴿وَلَا خِلَالٌ﴾: مصدر خلة من المخالة، أو جمع خُلة: صداقة؛ أي: لا تنفع فيه المودات والصّداقات، والمخالة؛ تعني: يتخلل كلّ منهما الآخر بالروابط الأسرية، والدّينية، أو الأخوية، وتكرار لا: يفيد توكيد النّفي، وقوله من قبلِ بالكسر؛ لأنّ يوم القيامة غير معلوم زمن حدوثه مقارنة بقوله من قبلُ بالضّم الّتي تستعمل حين يكون الزّمن معلوم. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٢٥)؛ لمزيد من البيان.

وفي آية البقرة (٢٥٤): ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾، زاد فيها كلمة شفاعة: هي أعلىٰ من الخُلة (المودة والصّداقة). ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥٤).

[٣٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء، والآيات (٢٢، ٣٩) من سورة البقرة، والأعراف، آية (٥٤) للبيان.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: وأنزل من السحب الركامية ماءً: ماء المطر الّذي ينشأ من تحول بخار الماء الّذي تحمله الرياح؛ فيشكل السّحب الّتي يؤلف

بينها لتشكل السحب الركامية الّتي تلقح برياح أخرىٰ تحمل هباءات الغبار فيبدأ بخار المـــكاء يتكثف، ويتحول إلىٰ قطرات المطر. ارجع إلىٰ ســـورة الحج، آية (٥)، ولم يقل سبحانه: وأنزل لكم من الســـماء ماء، كما ورد في الآية (٦٠) من سورة النمل؛ لأنه سبحانه في آية إبراهيم تبعها قوله تعالىٰ: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ والرزق يشمل الماء وغيره، وأما في سورة النمل تعداد لنعم الله تعالىٰ عليهم.

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾: أي: بماء المطر، والفاء: للترتيب، والتّعقيب.

﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: من: ابتدائية بعضية؛ بعـــض الثّمرات مثل ثمرات النّخيل والأعناب، وغيرها؛ فقد أعطىٰ الله ســـبحانه هذه البـــذور القدرة علىٰ اختيار ما يلائمها من عناصر مركبات الأرض المختلفة؛ لذلك تختلف أشكال هذه الثمار، وطعومها؛ فنرىٰ شجرة البرتقال تنمو بجانب شجرة الليمون، وغيرها، وهذا من طلاقة القدرة الإلهية الّتي أودعها في الشفرة الوراثية داخل البذرة أو النواة.

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: الـــرّزق: العطاء، وكلّ ما خلقـــه الله تعالىٰ في الأرض مما يملكه النّاس.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: والتّسخير: التّذليل والتّطويع والتّدبير، والتّصرف به، ويعني: خلق كائن ما لمهمة معينة لا يستطيع أن يخالفها.

﴿ٱلْفُلْكَ﴾: هي السّـــفن، والفلك: تطلق علىٰ المفرد والجمع، ورغم أنّ الإنســـان هو الّذي يصنع الفلك، ولكنه ســـبحانه هو الّذي يزجي الفلك، ويذلل الرّيح؛ كي تجري الفلك في البحر.

﴿لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: لتجـــري: اللام: لام التّعليل؛ تجري: تســـير، وتسرع في البحر.

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بأمر الله ومشـــيئته وإذنه؛ فهو الّذي جعـــل لهذا الماء صفات

طبيعية، وكيماوية تشكل ما يسمّى ظاهرة التّوتر السطحي الّتي تمثل شدة تماسك جزئيات الماء مع بعضها البعض؛ لتساعد على حمل هذه الفلك العملاقة القادرة على حمل ملايين الأطنان.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾: سخر الأنهار بعد تسخير الجبال؛ لأن تكّون الأنهار مرتبط بتكّون الجبال الّتي ينبع الماء من قممها، ثم ينحدر على سفوح هذه الجبال؛ لتشكل الأنهار، وبفضل عوامل التّعرية من رياح ومطر، واختلاف درجات الحرارة، والليل والنّهار كلّ ذلك يؤدي لتشكل الأنهار الّتي تشهد لله ببديع صنعه. ارجع إلى سورة الرعد، آية (٣).

[٣٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ﴾: هذا الفرن النووي العملاق من ذرات الهدروجين أخف العناصر، وأقلها بناءً، ثم أحدث تفاعلات كيماوية أدت إلى تشكل غاز الهليوم، والّذي أعطى للشّمس درجة حرارية تعادل (١٥ مليون درجة مئوية) في قلبها، و(٦ آلاف درجة) على سطحها، وجعلها مصدراً للضوء والطاقة، والحساب الزمني.

﴿وَٱلْقَمَرَ﴾: سخر القمر لنا لنحدد به اليوم والأسبوع والشهر، وكذلك السنة القمرية الّتي هي أقل من السنة الشّمسية بـ(١١ يوم)، وكذلك يؤثر على الأرض بعملية المد والجزر؛ ففي ظاهرة المد الّتي تصاحب مرحلة البدر، والمحاق يصل المد إلى أقصى ذروته نتيجة لوقوع الشّمس والقمر في جهة واحدة، والتي تصاحبها ارتفاع تدريجي في منسوب المياه في البحار والمحيطات أمّا في ظاهرة الجزر يحدث انخفاض في منسوب مياه البحار، والمحيطات، وكذلك لا ننسى نور القمر الّذي ينير لنا ظلمة الليل... وغيرها من الفوائد.

﴿دَآئِبَيْنِ﴾: مثنى دائب: دائم في الجري، والحركة، والتّعاقب، والإنارة؛ فالشمس تجري حول مركز المجرة بسرعة (٢٢٠كم/ ثانية) لتكمل دورتها في (٢٥٠ مليون سنة)، وتجري في الفضاء نحو نجم النسر، أو سولر ايبكس بسرعة (١٩كم/ ثانية)، وكذلك تجري حركة مدارية قدرها (١٥٠ ميلاً بالثانية). والقمر يجري حول الأرض ويتم دورته في (٢٧،٣ يوماً)، ويجري بشكل محوري حول نفسه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: فهما آيتان من آيات الله الّتي تشير إلى كروية الأرض، ودورانها حول محورها، وحول الشّمس الّذي يؤدي إلى تبادل الليل والنّهار الضروريين لاستقامة الحياة على الأرض.

❖❖❖

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

سورة إبراهيم [الآيات ٣٤ - ٤٢]

[٣٤] ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾:

﴿وَءَاتَىٰكُم﴾: من الإيتاء: وهو العطاء الّذي يمكن استرداده، وليس فيه معنى التّملك، كما هو الحال في العطاء الّذي فيه تملك. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾: من: بعضية؛ بعض ما سألتموه؛ لأنّ هناك أسئلة لا يستجيب لها سبحانه؛ مثال: أن يسأل العبد ربه أن يجعله نبياً، أو أن يبدل مهنته من فلاح إلى طبيب مثلاً، ولا ننسى أن بعض حالات عدم الاستجابة للدعاء نعمة للعبد؛ مثال: أن يدعو الأب على ابنه بالموت أو الفقر، أو الأم على ابنها.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: وإن: شرطية تفيد الشّك، أو الاحتمال، أو الافتراض، والعد هو مجرد العد، ويكتفى به باللسان. أمّا الإحصاء: فهو العد مع الحفظ (حفظ ما نعد)، والإحصاء مشتقة من الحصى؛ حيث كانوا قديماً يستعملون الحصى في العد.

﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: نعمة واحدة من نعم الله. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿تُحۡصُوهَآ﴾: الإحصاء: هو العد والجمع والحفظ؛ لأنّها تنطوي على نعم كثيرة جداً؛ فلا أحد يستطيع أن يعد نعم الله في الكون، أو على خلقه، أو عليه نفسه؛ فمثلاً: نعمة الصحة والعافية تشمل نعمة العقل، الدماغ، والقلب، والصدر، والمعدة، والكبد، والعين، والأذن، والجلد، والأسنان... وغيرها من الكثير.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: مشتقة من الإنس، وهو الألفة، والمحبة الّتي يمتاز بها الإنسان عن غيره.

﴿لَظَلُومٞ﴾: اللام: للتوكيد؛ ظلوم صيغة مبالغة؛ أي: كثير الظّلم لنفسه أو لغيره، وظلوم لا يشكر المنعم، أو هو مستمر على ظلمه بشكل متكرر، وظلوم أشد من ظلام.

﴿كَفَّارٞ﴾: صيغة مبالغة شديد الكفر، أو كثير الكفر لنعم الله؛ يجحدها بشكل متكرر ومتجدد ولم يقل ظلوم كفور؛ يعني: دائم الكفر وأشد من كفار، وينسى أن يشكر المنعم؛ مشتقة من الكفر ومعناه: السّتر، أو يشكر غير الله سبحانه؛ أي: يشرك بالله؛ فهو يأكل من نعم الله سبحانه ويشكر غيره.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة إبراهيم: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾.

مع الآية (١٨) من سورة النّحل: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

نجد أوّلاً: اختلاف في كتابة نعمت بالتّاء المفتوحة في آية إبراهيم، وبالتّاء المربوطة في آية النّحل.

والفرق بينهما: أنّ نعمت؛ تعني: الدّين، والإيمان، والهداية خاصة بالمؤمنين، أو نِعَم لا يمكن إحصائها كثيرة.

أما نِعمة: تتحدث عن نعم الله الظّاهرة للعيان، أو نعم عامة للبشر، أو وكذلك تشير إلىٰ خط المصحف هو توقيفي لم ينالـه أي تغيير ولا تبديل، ولا تحريف منذ أنزله الله علىٰ نبيه محمّد ﷺ.

أمّا اختلاف نهاية الآيتين يعود في سورة إبراهيم؛ لأنّها تتحدث عن صفات الإنسان؛ فقال: إنّ الإنسان لظلوم كفار، ويمكن القول إنّ الإنسان لظلوم كفار؛ لعدم شكر الله المنعم، ولعدم إحصاء نعم الله؛ لكثرتها.

أمّا سورة النّحل: تتحدث عن صفات الله سبحانه، ونِعَمُه، وإنّ الله لغفور رحيم؛ أي: سيغفر لكم عدم إحصاءكم لنِعمه، وعدم شكرها، وكأن آية النحل متممة لآية إبراهيم؛ فإن كنت ظلوماً، كفاراً؛ فاعلم أن الله سبحانه غفوراً رحيماً؛ فقابل صفتين من صفات الإنسان: الظلم والكفر، بصفتين من صفات الرحمن: الغفور والرحيم.

ولو عاملنا الله بعدله: يصبح الإنسان ظلوم كفار، ولكن يعاملنا سبحانه بفضله، ويغفر لنا؛ لأنّه هو الغفور الرّحيم، وانتبه إلىٰ الفرق بين نِعمه بكسر النّون، ونَعمه بفتح النّون. ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة الدّخان، والآية (١١) من سورة المزمل.

[٣٥] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾:

المناسبة: بدأت السورة بالحديث عن الذين كفروا؛ الذين عبدوا الأصنام، وقالوا لرسلهم تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا آية (١٠)، يذكرنا بإبراهيم عليه السلام باتخاذه القدوة الحسنة في تجنب عبادة الأصنام فقال:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ ﴾: وإذ: واذكر إذ قال إبراهيم، أو حين قال: ﴿رَبِّ ﴾: لم يستعمل ياء النّداء؛ لظنه بقرب الله له، ويقل يا رب.

﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾: يعني: مكة، وجاء بأل التّعريف هذا البلد آمناً بينما في آية البقرة (١٢٦) قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾: بالنّكرة، وفُسر ذلك: بأنّ دعاء إبراهيم بأن يجعل هذا البلد كان بعد بناء الكعبة، وبعد أن أصبحت مكة بلداً معروفاً بين القبائل، وقد يكون أنّه دعاء بالأمن الخاص بها؛ أي: بلد أمن واستقرار، وأمّا قوله: هذا بلداً (بالنكرة) آمناً: كان قبل بناء الكعبة، وأوّل ما رحل بزوجته هاجر، وابنه إسماعيل إلى مكة، وقيل: بحوالي (١٣ سنة)، أو هو دعاء لمكة بالأمن العام؛ أي: دعاء إبراهيم اجعل هذا البلد آمناً جاء بعد حوالي (١٣ سنة) من دعائه رب اجعل هذا بلداً آمناً. آمناً: ذا أمن واستقرار.

﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾: واجنبني: من الاجتناب؛ أي: الابتعاد؛ أي: أبعدني، وبني أن نعبد الأصنام، والسّؤال هنا كيف يدعو إبراهيم النّبي خليل الرّحمن بهذا الدّعاء، وهو الّذي كسر الأصنام من قبل، وجعلها جذاذاً؟

الدّعاء هنا يعني: إما التّثبيت، والاستمرار على اجتناب عبادتها، أو يعني:

اجتناب الشـــرك بكل أنواعه، والشّرك الخفي خاصة، والعصمة لا تمنع أن يدعو الإنسان ربه بدوام ما هو عليه حاله أن نعبد الأصنام.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل، والتّوكيد.

الفرق بين الصّنم، والوثن: وردت كلمة الأصنام في خمس آيات، ووردت كلمـــة الوثن في ثلاث آيات. ارجع إلىٰ ســـورة العنكبوت، آيـــة (١٧)؛ لتعريف الصّنم، والفرق بين الوثن والصّنم.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾: إنهن: للتوكيد، وهن: ضمير يعود علىٰ الأصنام.

﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: والسّـــؤال: وهل تضل هذه الأصنام أحداً؛ لأنّها جمادات لا تبصر ولا تسمع ولا تتكلم، ولا تنفع ولا تضر؟

الجواب: بما أنّ الأصنام لا تنفع ولا تضـــر، ولكن القائمين عليها يدعون ويضلون النّـــاس أنّ لها ألوهية؛ فهم السّـــبب، أضللن كثيـــراً؛ لأنّ النّاس ضلوا بسببهن؛ فكأنهن أضللنهم، أو كأنها أضلّتهم.

﴿فَمَن﴾: الفاء: عاطفة لربط السّبب بالمسبب؛ من: شرطية.

﴿تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾: تبعني؛ أي: في الاعتقاد، والدّين، والملة؛ فإنّه مني؛ أي: علىٰ سنتي أو ملتي.

﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾: أي: مـــن لم يتبعنـــي؛ فإنّه ليس منـــي، ويعني: أنّه عصىٰ إبراهيم عليه السلام.

وقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ولم يقل كما قال عيسى بن مريم: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: إنّك: ضمير متصل تفيد الكمال في الرّحمة والغفران، ولماذا يختلف قول إبراهيم عن قول عيسى عليه السلام؟

الجواب: لأنّ فتنة إبراهيم في الأصنام، أو في سياق الأصنام، بينما فتنة عيسى عليه السلام كانت في نفسه أنه إله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، وفي أمه؛ فهي أشد وأعظم.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أي: تغفر لهم نتيجة لعزتك، وحكمتك.

[٣٧] ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾:

﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ﴾: للتوكيد؛ أسكنت: من السّكن والإقامة، والاطمئنان والأمن.

﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾: من: ابتدائية؛ من: بعضية بعض ذريتي، والذّرية: هم الأولاد (الذكور والإناث)؛ من ذريتي: إسماعيل، وذرية إسماعيل بقية أولاد إبراهيم كانوا في الشّام.

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: بواد: الباء: ظرفية، وتعني: في واد غير: تفيد المغايرة؛ أي: لا فيه حرث، ولا زرع ولا ماء في ذلك الوادي، ولم يقل بواد غير ذي نبات؛ فكل ما تنبته الأرض يطلق عليه نبات قد يفيد أو لا يفيد، وينبت بالطريقة الفطرية،

أمّا الزرع: فهو أســاس حياة النّاس، ويحتاج إلىٰ من يزرعه، ونحن نعلم أن أرض مكة أرض صخرية لا تسمح بالزراعة، والماء نادر؛ لكونها تشكلت من البراكين.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: عند: ظرف مــكان، وقوله ﷺ: عند بيتك المحرم، ولــم يكن هناك بيتاً، ولا بلداً، وإنما وادٍ غيــر ذي زرع؛ يدل علىٰ أنّه أُوحي إليه، وأُخبر عن موقع البيت الحرام، وأنّه موجود في هذه المنطقة.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: أسكنت من ذريتي عند بيتك المحرم ليقيموا الصّلاة، واللام: لام التّعليل. وخص بذكر الصلاة؛ لأنها تجمع أركان الإســلام الخمسة.

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أفئدة: عقول من النّاس.

﴿مِّنَ﴾: للتبعيض، وقــال ابن عبّاس رضي الله عنهمــا: لو قال: أفئدة النّاس، ولــم يقل: أفئدة من النّــاس: لازدحمت عليه الأمــم المختلفة: الرّوم، والهندوس، واليهود، والنّصارىٰ، والمجوس، والإسلام يأتون للحج، والعمرة.

﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: من المسلمين فقط.

﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: من هوىٰ؛ أي: أســرع في السّــير تطير إليه قلوبهم شوقاً وحباً.

﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: لكونــه واد غيــر ذي زرع؛ فهم يحتاجون إلىٰ ما يأكلونه من الثّمار.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: لعل: للتعليل يشــكرون. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٠) للبيان.

[٣٨] ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾:

قال إبراهيم عليه السلام: هذا الدّعاء، أو القول حين ودع زوجه هاجر، وابنه إسماعيل عائداً من الوادي غير ذي زرع إلى الأرض المباركة (بيت المقدس).

﴿رَبَّنَآ﴾: أي: يا ربنا؛ حذف ياء النّداء للقرب.

﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾: دعا بهذا عندما أراد فراق إسماعيل وهاجر، كما قال المفسرون. إنّك: للتوكيد؛ تعلم ما نخفي: في صدورنا من السّر والحسرة، والحب والحزن؛ يعني: على ابنه إسماعيل وزوجه هاجر.

﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾: تكرار، وما: للتوكيد؛ نعلن: نقول جهراً يقصد به حين قالت له هاجر إلى من تكلنا؟ قال: إلى الله، قالت: الله أمرك بذلك؟ قال: نعم، قالت عندها: لا نخشى تركتنا إلى كافٍ.

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾: من: استغراقية.

﴿شَيْءٍ﴾: أي: شيء مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله في أي مكان، أو زمان؛ لأنّه عالم الغيب، والشّهادة، وعلام الغيوب؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس:٦١].

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: قدم الأرض: للاهتمام، وكون سياق الآيات تتحدث عن الأرض كقوله: هذا البلد آمناً، أسكنت من ذريتي، بوادٍ، بيتك المحرم، ارزقهم من الثمرات.

[٣٩] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى ﴾: الحمد لله: ارجع إلىٰ سورة الحمد، آية (٢)؛ للبيان.

﴿وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾: الهبة: عطاء بلا مقابل، عطاء من الله ليس حقاً أو واجباً للسائل، وعطاء بدون تقديم الأسباب (هبة من وراء الأسباب)، ويمكن استردادها.

﴿لِى ﴾: اللام: لام الاختصاص لي وحدي.

﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾: ولم يقل مع الكبر: علىٰ تفيد الاستعلاء؛ لأنّ الكبر في السّن يعتبر ضعفاً وشيبة، ومن العوامل الّتي تمنع الإنجاب، ولكن إرادة الله سبحانه أعلىٰ وأقوىٰ من الضّعف؛ فهو علىٰ كلّ شيء قدير.

﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبِّى ﴾: الرّب: هو الخالق المدبر، والرّزاق، والقادر، والشّافي، والولي.

﴿لَسَمِيعُ ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿ٱلدُّعَآءِ ﴾: حين دعا ربه؛ فقال: رب هب لي من الصّالحين.

[٤٠] ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾:

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾: أي مواظباً علىٰ أركانها وسننها وخشوعها وأوقاتها ومحافظاً عليها.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: مـن: بعضية؛ بعض ذريتي؛ لأنّـه علم بإعلام من الله أنّه سيكون من ذريته الظالمين، وذلك حين أخبره بقوله: لا ينال عهدي الظّالمين.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾: تكرار ربنا: للتضرع؛ والدعاء قد يعني العبادة أو يعني الدعاء بالمعروف وقوله تعالىٰ: ﴿دُعَاءِ﴾: بدلاً من وتقبل دعائي، دعاء يعني: دعائـي، ودعاء غيري، ولو قال: دعائي؛ أي: فقـط دعائي الخاص بي أو الدعـاء المدعو به في زمن معين كقوله تعالىٰ في سـورة نوح آية (٦) ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح:٦].

[٤١] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي﴾: بدأ إبراهيم بالدّعاء لنفسه بأن يستر الله ذنوبه ويمحوها، ويثيبه علىٰ أعماله الصّالحة.

﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: ثمّ بالدّعاء لوالديه؛ اللام: لام الاختصاص.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: المؤمنين (الذّكور والإناث)؛ بأن يغفر لهم.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: يوم القيامة، دعاء عطف فيه العام علىٰ الخاص.

[٤٢] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: لا: النّاهية.

﴿تَحْسَبَنَّ﴾: ن الحساب، أو الحسـبان: وهو الاعتقاد الرّاجح المبني علىٰ حسـاب عقلي، أو قلبي مبني علىٰ حساب حسي سابق ناتج عن مراقبة، أو عملية حساب في جمع وطرح.

﴿ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: غافلاً: الغفلة عدم التفطن للشيء، أو عدم حضور الشيء في البال، أو تارك عما يعمل الظّالمون، أو غير منتبه لما يعمل الظّالمون. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ: غافلاً.

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاوزة والمباعدة، ما: اسم موصول.

﴿يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يقول ويفعل. الظّالمون: جمع ظالم، والظلم: من معانيه الشرك.

ولمعرفة الظّلم، ومعانيه: ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من سورة البقرة يعمل بصيغة المضارع تدل علىٰ التّجدد والتّكرار والاستمرار.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ﴾: ليوم: اللام: لام الاختصاص ظرف زمان.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: تتفتح الأعين؛ فلا تطرف الأجفان، ولا تُغلق.

وتثبت العين علىٰ شيء، ولا تتحرك إلىٰ غيره، وتصبح الحدقة واسعة من شدة الخوف، والفزع، والحيرة.

وهناك فرق بين: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، و﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص:٦٣].

الزّيغ: يحدث من شدة الاضطراب، والخوف، والفزع؛ فلا يعد يرىٰ شيئاً أمامه.

❖ ❖ ❖

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ
هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟
بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

سورة إبراهيم [الآيات ٤٣ - ٥٢]

[٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾:

﴿مُهْطِعِينَ﴾: اسم فاعل من أهطع يهطع فهو مهطع؛ معناه: الإسراع في السّير المصحوب بالخوف، ولا يقال للسّير بسرعة: إهطاع؛ إلا: إذا كان السّير مصاحب بالخوف؛ فهذا هو الإهطاع، وانتبه إلى الإهراع: وهو السير بسرعة مع الرّجفة، أو الرّعشة.

وقد وردت كلمة مهطعين في ثلاثة سور:

في سورة إبراهيم، الآية [٤٣] ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾.

في سورة القمر، الآية (٨): ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾.

في سورة المعارج، الآية [٣٦]: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

والإهراع: ورد في سورة هود، الآية (٧٨): ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ﴾.

وفي سورة الصافات، الآية (٧٠): ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

إذن: مهطعين: مسرعين بخوف إلى الداع، أو إلى النّار.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: المقنع: اسم فاعل، وهو رافع الرّأس، والنّاظر أمامه بذل، ولا يلتفت يمنة ولا يسرة؛ فالإقناع: هو رفع الرّأس والنّظر بذلة.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: الطّرف: هو الجفن، لا تغمض الأجفان، أو تتحرك من الهول.

﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾: الفؤاد قيل هو القلب، أو العقل منطقه الإدراك، والوعي والفهم، وأفئدتهم هواء؛ أي: لا تفهم، ولا تعي ما يحدث، أو يفعل بها من الخوف والفزع. والهواء: كما كان يظن قديماً لا وزن له؛ أي: عقولهم خاوية فارغة لا وزن لها من هول يوم القيامة لا تنكر أو تعي. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٦)؛ للمزيد عن الفؤاد.

[٤٤] ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾:

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾: الإنذار: هو إعلام مع تحذير وتخويف.

الإنذار للاستعداد ليوم القيامة، أنذرهم الآن، وهم في الحياة الدّنيا، ولا إنذار في يوم القيامة.

﴿النَّاسَ﴾: كلّ النّاس خاصة الكافرون والظالمون والفاسقون.

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: يوم: هو إما يوم القيامة، أو يوم تتوفاهم الملائكة، واليوم: ظرف زمان، يوم القيامة وخصه بالعذاب؛ لأنّ السّياق في تهديد الظّالمين العصاة الّذين أشركوا، وأمّا يوم تتوفاهم الملائكة يضربون، وجوههم، وأدبارهم في مرحلة الوفاة الّتي تسبق قبض الرّوح، وهم في سكرات الموت.

﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: الّذين: اسم موصول؛ أشركوا، والطّغاة، والعاصين، والمكذبين.

﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: يدعون ربهم، وحذفوا أداة النّداء الياء، ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنّ الزّمن قصير جداً.

﴿أَخِّرْنَآ﴾: أمهلنا، أو أجلنا، أو أبقنا أحياء إلىٰ فترة أو مدة محدودة قصيرة.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: إلىٰ: حرف غاية يستعمل لكل الغايات. أجل: هو الوقت أو المدة المضروبة لانتهاء أو انقضاء الشّيء.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: قصير؛ أي: ردنا، أو أرجعنا إلىٰ الدّنيا ولو لفترة قصيرة.

﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾: إلىٰ التّوحيد والإيمان، وعبادتك، وإلىٰ ما أمرتنا به، أو نهيتنا عنه.

﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾: ونتبع ما جاء علىٰ ألسنة رسلك (من السّنن)، ونصدق بهم، ونستمع إليهم ونطيعهم، وقالوا: ونتبع الرّسل بدلاً من الرّسول؛ لأنّ الرّسول يمثل الرّسل، ولأنّ الرّسل كلهم يدعون إلىٰ لا إله إلا الله، وامتثال أوامر المعبود وتجنب نواهيه.

وقد ورد في سورة المنافقون، الآية (١٠-١١) نظير هذه الآية، وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾.

في سورة القصص، الآية (٤٧): ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: فهذه الآية نزلت أوّلاً، فلما أرسل الله سبحانه إليهم رسولاً رفضوا أن يؤمنوا، ورفضوا الآيات، وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾، وهذه الآية نزلت بعد آية القصص؛ أي: قالوا أوّلاً ما ورد في آية القصص: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾؛ فلما أرسل الله إليهم

رسولاً لم يتبعوه طوال حياتهم، ولما أصبحوا على فراش الموت قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: أولم: الهمزة: للاستفهام، والتّوبيخ، والواو: لمطلق الجمع، والتّوكيد؛ لم: النّافية.

﴿تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾: في الدّنيا، أو قبل موتكم؛ أي: لا بعث ولا حساب، ولا آخرة.

كما جاء ذلك في الآية (٣٨) من سورة النّحل: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾؛ وبما أنهم لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ولا بالآخرة؛ لذلك لم يستعدوا لهذا الموت وسكراته.

﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: ما: النّافية.

﴿لَكُم﴾: خاصة.

﴿مِّن﴾: استغراقية، وتفيد التّوكيد.

﴿زَوَالٍ﴾: رحيل أو تحول عن الدّنيا إلى الآخرة، أو لا زوال بعد الموت؛ أي: لا بعث ولا حساب بعد الموت، وأنّه هو النهاية.

[٤٥] ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾:

﴿وَسَكَنتُمْ﴾: من السّكنى: وهو الإقامة، واللبث، والسّكن: مشتق من السّكون، والطمأنينة، والمرأة سكن لزوجها، والبيت سكن لهما.

﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: أمثال قوم عاد، وثمود، ولوط، وفرعون.

سكنتم: أقمتم ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾، وفي آية أخرىٰ قال: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ﴾: كيف: استفهام تعجبي؛ ظهر لكم، وتحقق لكم.

﴿فَعَلۡنَا بِهِمۡ﴾: أي: كيف أهلكناهم، ودمرناهم، وانتقمنا منهم.

﴿وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: وضربنا: ارجع إلىٰ الآية (٢٥)، من نفس السّورة؛ لمعنىٰ الضّرب.

﴿ٱلۡأَمۡثَالَ﴾: بهؤلاء الأقوام، وما حدث لهم.

[٤٦] ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾:

﴿وَقَدۡ﴾: حرف تحقيق يفيد التّوكيد.

﴿مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ﴾: المكر: هو التّدبير الخفي الّذي يؤدي إلىٰ ما لا يحتسبه الممكور به. ارجع إلىٰ الآية (٣٣) من سورة الرّعد؛ للبيان.

وقد مكروا مكرهم في عدة مرات حين حاولوا النّيل من رسول الله ﷺ، وذُكر ذلك في سورة الأنفال، الآية (٣٠): ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ﴾: عند: ظرف مكان، أو زمان، وعند تفيد أقصىٰ نهايات القرب؛ أي: مكرهم، أو ما يفكروا به من المكر، أو يخطر علىٰ بالهم من المكر يعلمه الله، أو عند الله علمه وقد تعني مكتوب ومعلوم عند الله مكرهم قبل أن يفكروا به، أو يخطر علىٰ بالهم، هو يعلمه في سابق علمه الأزلي.

﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾: وإن: الواو: استئنافية.

وإن: لها عدة احتمالات:

إن: نافية تفيد التّحقير والتّصغير؛ بمعنىٰ: ما كان مكرهم شـديداً لتزول منه الجبال.

إن: أشد نفياً من: ما.

إن: قـد تكون مخففة تفيد التّوكيد؛ أي: بالتّأكيد كان مكرهم شـديداً قوياً يؤدي إلىٰ زوال الجبال، ولكن الله أشد مكراً وأشد تنكيلاً.

إن: قد تكون شـرطية، وتقديرها: فلو كان مكرهم قوياً يُزيل الجبال؛ فلن ينالوك بشيء.

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ﴾: لتـزول: اللام: للتأكيـد. منه: الجبـال؛ أي: تتحرك من مكانها، أو تتفتت، أو تخر.

الفرق بين المكر والكيد والغدر:

المكـر: هو التّدبير الخفي؛ لإلحاق الضّرر بالغير، ولا يعلم ذلك الممكور به.

الكيد: أقوىٰ من المكر: وهو إيقاع الضّرر بالغير قهراً، سواء أعلم به الخصم أم لم يعلم.

الغدر: هو نقض العهد الّذي كان يجب الوفاء به.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَحْسَبَنَّ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٢) من نفس السّورة.

﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾: مخلف؛ أي: غير منجز وعده، ووعد الله لرسله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٢-١٧٣]؛ أي: النّصر، والفتح، والعصمة من النّاس، ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة:٢١]: بإظهار الدّين. مخلف وعده رسله: الأصل مخلف رسله وعده قدم الوعد؛ للاهتمام به؛ أي: وعده بشكل عام يشمل أي وعد، ولو قدم رسله على الوعد فقال مخلف رسله وعده لكان يعني: أن الله لا يخلف رسله وعده، ولكن يمكن أن يخلف وعده لغير رسله وحاشا لله أن يفعل ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: إنّ الله: للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: قوي، غالب لا يُغلب، ولا يُقهر، ممتنع.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: القادر على انتقام من أعدائه، وكلّ من يعصيه؛ ذو انتقام: ذو عقاب.

[٤٨] ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زماني، ويعني: يوم القيامة.

﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: تبدل الأرض الحالية، الأرض الّتي خلقها الله سبحانه منذ حوالي (١٣-١٤ مليار سنة) بأرض جديدة هي أرض المحشر، التي هي أكبر بكثير من الأرض الحالية، وتضم الأرض الجديدة الأرض الحالية، وسوف نبعث من الأرض الجديدة، كما ورد ذلك في هذه الآية وفي الصّحيحين، وهذا التّبديل قد يكون تبديل كلّي كامل، وهو الذّهاب بالشّيء واستبداله بآخر، أو تبديل جزئي تبديل في مكوناتها من الجبال والبحار

والأودية؛ أي: تـزول جبالها وأوديتها؛ فلا ترىٰ فيها عوجاً ولا أمتاً، أو تبديل في بعض صفاتها، والله أعلم.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: البروز: هو الظّهور، والمواجهة بعد الخروج من القبور، وعبر عن البروز بالماضي بدلاً من المستقبل أو الحاضر؛ للدلالة علىٰ تحقق الوقوع؛ فكأن البروز حدث ووقع؛ لأن الله سبحانه خالق الزمان والمكان.

﴿ٱلْوَٰحِدِ﴾: اسم من أسماء الله الحسنىٰ ويعني: لا شريك له، لا يتجزأ، لم يلد، ولم يولد، الواحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وقد ذكر هذا الاسم في (٢١) موضعاً في القرآن. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿ٱلْقَهَّارِ﴾: اسم من أسماء الله الحسنىٰ مشتق من صلة القهر: وهي الغلبة والقدرة، أو القادر علىٰ قهر كل شـيء، والقهار: صيغة مبالغة من القهر، واسـم الفاعـل هو القاهر الدال علىٰ التجدد، والقهار: تـدل علىٰ الثبوت والمبالغة في القهر بكل أنواعـه وأحجامه، فقد دانت له الخلائق، وعنت له الوجوه، وقهر كلّ شيء، وتواضعت لعظمته وكبريائه الجبابرة، وبالموت والحساب.

[٤٩] ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾:

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: رؤيـة العيـن، الكافرين، والمشـركين، ومرتكبي الكبائر. ارجع إلىٰ سـورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنىٰ المجرمين. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لمزيد من البيان في معنىٰ المجرمين.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة في ذلك اليوم.

﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: من قرن الشـيء بالشـيء؛ أي: وصلته، مشـدودين، مقيدين

بعضهم مع بعض، أو المقرن من جمع مع غيره في قرن، وهو الوثاق، وقد تعني: قرنت أيديهم، وأرجلهم إلى أعناقهم بالسّلاسل.

﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: جمع صفد، والأصفاد: قيود تستعمل للأرجل (الأقدام)، بينما الأغلال: قيود تستعمل للأيدي.

[٥٠] ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾:

﴿سَرَابِيلُهُم﴾: جمع سربال: وهو القميص، أو الثّوب.

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾: مشربة بالقطران؛ القطران: قيل: هو الزّفت الأسود المستعمل في بناء الطّرقات، أو هو دهن أسود منتن الرّائحة؛ له رائحة مزعجة؛ تشتعل فيه النّار بسرعة؛ يستخرج من الخشب والفحم، أو القطران: دهن يستعمل للإبل للشفاء من الجرب، أو لحماية الحديد من الصدأ.

وقيل: القطران: مؤلف من كلمتين: قطر: وهو النّحاس، آن: متناهي في الحرارة.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: تلفح، أو تغطي، أو تعلو وجُوهَهُمُ النّار. وخص ذكر الوجوه من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل؛ أي: تغشى جميع أبدانهم، وخص الوجوه وقدمها على النار للانتباه لما سيلحقهم من الذلة والصغار.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾:

﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ﴾: اللام لام التعليل. والجزاء: أعم من الأجر ويعني المماثلة؛ أي: من جنس العمل، ويستعمل في العقاب، أو الثواب.

﴿كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾: من خير، أو شر، والكسب: في الأصل تعني: الزّائد عن الأصل؛ مثال: الزّائد عن رأس المال يسمى كسب، وتفسير ذلك: أن العبد حين يحرم نفسه من شيء، أو يقوم بعمل لا يقوم به الغير؛ فهو سيأخذ ثواب ذلك وزيادة.

وكسب: عادة تخصص للحسنة.

وأما اكتسب: تخصص للسيئة؛ فلماذا استعمل كسبت للسيئة؛ لأنّ فعل السّيئة أصبح سهلاً، وأمراً دأب عليه فلم يُعد في حسبانه فعلها، كما يفعل بالحسنة يفعلها بسهولة ويُسر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٨٦) للبيان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: ارجع إلى الآية (٤١) من سورة الرّعد؛ للبيان.

[٥٢] ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب، واسم إشارة يشير إلى القرآن العظيم. وقوله هذا: تنبيه للمخاطب على المشار إليه وقربه وللمبالغة في إيضاحه.

﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾: بلاغ: من الإبلاغ، أو التّبليغ: وهو إيصال الشّيء، أو الرّسالة+ مع البيان والفهم؛ هذا القرآن بلاغ للناس كافة؛ أي: منهج الله للنّاس كافة، وفي سورة الأحقاف آية (٣٥) قال تعالى: ﴿بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، وفي هذه الآية قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ فيه مبالغة وتوكيد أشد من قوله بلاغ.

﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾: ولينذروا: الواو: عاطفة؛ اللام: لام التّعليل، الإنذار: هو الإعلام مع التّحذير، والتّخويف.

﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟﴾: أي: يستدلوا بما فيه من الآيات؛ اللام: لام التّعليل؛ ليعلموا

من دراسة الآيات الكونية، والآيات المنزلة في هذا القرآن، والمعجزات: أن الله إله واحد.

﴿أَنَّمَا هُوَ﴾: أنما: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: معبود واحد، لا شريك له، ولا ولد، ولا يتجزأ؛ أمّا قوله تعالىٰ: الأحد؛ تعني: لا مثيل له ولا يشبه أحد. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: إنّ الله إله واحد، ولم يقل: وليتذكروا؛ لأنّ أولي الألباب لا يحتاجون إلىٰ زمن طويل كي يذكروا: أنّ الله إله واحد.

وليذكر أولوا الألباب، ولا ينسوا وحدانية الله، ووحدانية الرّب والأسماء والصّفات، ويدعوا غيرهم إلىٰ التّوحيد. ارجع إلىٰ الآية (١٧٩)، والآية (١٩٧) من سورة البقرة، والآية (١٩) من سورة الرّعد؛ لمزيد من البيان في معنىٰ: أولي الألباب.

❖❖❖

سورة الحجر

ترتيبها ١٥ آياتها ٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓرٰۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ
وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ
ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ
إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي
قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ
﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر [الآيات ١ - ١٥]

ترتيبها في القرآن (١٥)، وفي النزول (٥٤)، نزلت بعد سورة يوسف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾:

﴿الٓرۚ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: تلك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ تفيد التّعظيم، والكثرة، وتشير إلىٰ الآيات الآتية، أو الّتي سبقتها، أو الآيات بشكل عام.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي: القرآن، وسمّي الكتاب؛ لأنّه مكتوب في السّطور، واللوح المحفوظ، وأل التعريف: تفيد الكتاب التّام الكامل، والتّعظيم.

﴿وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾: مبين: واضح الأحكام لكلّ فرد يقرأه، ويتدبره، ومبين في ذاته، ومبين لغيره، وأنّه منزل من عند الله تعالىٰ، ويسمّىٰ قرآن؛ لأنّه مقروء.

مُبين للحق من الباطل، والحلال من الحرام، والمبين لمنهج الله تعالىٰ، وافعل، ولا تفعل، وقرآن: نكرة للتعظيم، وجمع بين الوصفين الكتاب، وقرآن مبين؛ للدلالة علىٰ الكمال. والقراءة والكتابة ضرورية لحفظ كلام الله من التحريف والتبديل. فالتلاوة: القراءة، جمع صوتي لحروف وكلمات القرآن في الصدور، والكتاب يعني: الجمع والضم الحسي لحروف وكلمات القرآن في السطور.

في سورة النّمل، الآية (١): ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ﴾:

يعكس التّرتيب مرة يقول تلك آيات القرآن وكتاب مبين، ومرة يقول: تلك آيات الكتاب، وقرآن مبين؛ فهو يعطف القرآن على الكتاب، أو الكتاب على القرآن؛ لزيادة الوصف.

[٢] ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾:

﴿ رُبَمَا ﴾: فيها قراءتان متواترتان صحيحتان: إحداهما: بالتّشديد، والأخرى: بالتّخفيف، وقيل: التّشديد هو الأصل، والتّخفيف لكثرة الاستعمال، رب: قد تستعمل للتكثير، أو تستعمل للتقليل.

وحسب السّياق فقد تستعمل للتكثير إذا قيلت في سياق الآخرة؛ حيث يتمنى كثير من الكافرين لو كانوا مسلمين.

وقد تستعمل للتقليل، كما هي حال الكفار في الدّنيا؛ فقليل فهم يودون لو كان مسلمين.

ودخلت رب على ما؛ لأنّ رب وحدها لا تدخل على الفعل، فإذا لحقتها ما عندها يمكن أن تدخل على الفعل، كما هو الحال هنا دخلت على الفعل يود.

﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾: يود الّذين كفروا يوم القيامة (وهو المرجح) حين يروا أهوال يوم القيامة، وما تكون عليه حال المؤمنين، وحال الكافرين.

﴿لَوْ ﴾: حرف مصدري للتمني.

﴿كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾: أي: في الحياة الدّنيا.

قال: ربما يود، ولم يقل: ربما ود؛ لحكاية الحال؛ لتبين شدة تمنيهم لو كانوا مسلمين.

[٣] ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ ذَرْهُمْ ﴾: دعهم؛ اتركهم؛ أي: ذر الكافرين يأكلوا، ويتمتعوا.

﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾: يأكلوا، ويشربوا، ويلبسوا، ويتمتعوا بمتاع الدّنيا الزّائل؛ متاع الغرور، والتّمتع: هو الانتفاع، والتّمتع بالأكل، والشّرب، والملبس، والأداة: أداة المتعة والترفيه المختلفة من وسائل الاتصال، والتلفزة، واللعب.

﴿وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ﴾: يشغلهم الأمل (بطول العمر) فلا يتوبوا ويرجعوا عن غيهم وضلالهم إلى الإيمان، أو يأملوا في أن يغفر لهم الله تعالى ذنوبهم بدون توبة أو بدون عمل صالح، والأمل: رجاءٌ يستمر، أو طمع فيما يبعد حصوله.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سوف: للاستقبال، والتّراخي في الزّمن (تستعمل للزمن البعيد)؛ أي: يوم القيامة، أو يوم موتهم؛ سوف يعلمون عاقبة أمرهم، وجزاؤهم، وفيها تهديد، ووعيد.

[٤] ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾:

﴿ وَمَا ﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾: من: استغراقية؛ أي: كل قرية. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنى الهلاك.

﴿قَرْيَةٍ ﴾: حذف كانت ظالمة؛ أي: ظالم أهلها، والقرية؛ تعني: أهل القرية، وعمرانها؛ أي: بتدمير بيوتها، وتخريبها، والقضاء، أو إهلاك أهلها بالرّجفة، أو الزّلازل، أو الفيضانات، أو الأوبئة، أو الكوارث الجوية. ارجع إلى سورة الحج، آية (٤٥).

﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿وَلَهَا ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: في اللوح المحفوظ مكتوب زمن إهلاكها، كتاب معلوم متىٰ يجيء أجلها: انتهاء المدة المضروبة لانتهاء إبقاءها حية.

[٥] ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾:

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: ما: النّافية؛ تسبق من أمة أجلها: أي: لا يأتي أجل أي أمة قبل أوانه؛ أي: لا ينقضي، وينتهي أجل أي أمة، ولو بمقدار ساعة، أو أقل. والأمة: جماعة من النّاس غير محدودة بعدد معين، ولا يحدها حيز جغرافي، ولها مبادئ، وقيم، وقوانين محددة.

﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: وما: الواو: عاطفة، وتكرار ما: يفيد توكيد النّفي؛ أي: وإذا لم يأت أجلها لا يستأخرون.

[٦] ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾:

﴿وَقَالُوا﴾: أي: عدد من كفار مكة؛ أمثال: النضر بن الحارث، والوليد بن المغيرة (قاله ابن عباس ﷺ).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي﴾: يا أيها: الياء: أداة نداء للبعد، والهاء: للتّنبيه.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ قالوا ذلك علىٰ سبيل الاستهزاء، والسّخرية.

﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾: نزل: وليس أنزل؛ نزل: تفيد الإنزال علىٰ دفعات، أو منجماً خلال سنين طويلة (٢٣). قالوا ذلك تكبراً واستهزاء برسول الله ﷺ وسخرية منه وتهكم.

﴿الذِّكْرُ﴾: هو اسم علم يعني: القرآن، وسمي الذّكر؛ أي: ذي التذكير يذكِّر قارئه بربه، وآخرته، وما عليه من فرائض، وأحكام، والذّكر: هو الشّرف؛ أي: هذا القرآن شريف القدر لكونه محفوظاً من الله وغير منسي. ارجع إلىٰ سورة ص آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: إنّ: للتوكيد، الكاف: للخطاب.

﴿لَمَجْنُونٌ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ مجنون: من ذهب عقله؛ اتهموه بذلك باطلاً بسبب ما يدعوهم إليه من ترك ما يعبد آباءهم، والتّوحيد، وجعل الآلهة إلهاً واحداً، والبعث، والجزاء، وغيرها من أمور الدّين.

[٧] ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿لَّوْ مَا﴾: لو: أداة حض، وحث. ما: للتوكيد.

﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾: كي يشهدوا بصدقك؛ أي: بنبوتك، أو يكونوا معك نذيراً، والباء: للمصاحبة.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك، أو الافتراض.

﴿كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: أنك نبي مرسل، أو هذا القرآن من عند الله سبحانه.

[٨] ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾: ما: النّافية.

﴿نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾: أمثال: جبرائيل، أو غيره؛ هذا رداً على سؤالهم السّابق في الآية (٧).

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ الحق: هو الوحي؛ أي: بالقرآن، والحق: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير، ولا يتبدل، أو بالأوامر، أو العذاب، أو لقبض أرواحهم عند موتهم، أو أمر محدد أو نزل الملائكة فعلاً، كما حدث في غزوة بدر لتقاتل مع المؤمنين.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: فإذا أنزلنا الملائكة؛ ما كانوا: لن يكون عندهم زمن للانتظار بعد نزول الملائكة بالعذاب، أو لقبض أرواحهم.

﴿إِذًا﴾: جواب، وجزاء للتوكيد.

﴿مُّنظَرِينَ﴾: من الإنظار؛ الإمهال، أو ممهلين؛ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب لن يكونوا منظرين مؤخرين؛ لكي ينجو، أو يؤمنوا.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: إنّ: للتوكيد، ونا: للتعظيم.

﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾: للتوكيد أنّ المنزل هو الله وحده.

﴿ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن. ارجع إلى الآية (٦) من نفس السورة، والآية (١) من سورة (ص)؛ للبيان.

رداً على قولهم: يا أيها الّذي نزل عليه الذّكر إنك لمجنون.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾: للتكرار، والتّوكيد. له: الهاء: تعود على الذّكر.

﴿لَحَٰفِظُونَ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ حافظون: من التّبديل، والتّغيير، والزّيادة، والنّقص، والتّحريف؛ بخلاف الكتب السّماوية السّابقة؛ فإنّه سبحانه لم يتولى حفظها، وإنما استحفظ الرّبانيين، والأحبار فما رعوها حق رعايتها؛ حافظون: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت:٤٢]، وحافظون: جملة اسمية تفيد الثّبات، والاستمرار. بينما أوكل الله سبحانه وتعالى حفظ الكتب الأخرى كالتوراة والإنجيل إلى الأحبار والرهبان كما قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، فلم يحفظوها كما عهد الله إليهم مما أدى إلى ضياع بعضها وإلى تغير وتبديل بعضها.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: ولم يقل: بعثنا. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق.

﴿مِن قَبْلِكَ﴾: من: ابتدائية؛ أي: رسلاً تضم الرّسل والأنبياء؛ من: تدل علىٰ قرب الزمان؛ أي: ليس منذ زمنٍ بعيد.

﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: شيع: مشتقة من الشياع، وهي قطع الحطب الدقيقة الّتي تضاف إلىٰ النار؛ لتزداد اشتعالاً؛ جمع شيعة: وهي الجماعة الّتي تجمعها عقيدة واحدة، أو مذهب. وشيع: تعني أيضاً: الفرق، وتعني: الجماعة الّتي تميل إلىٰ رجل لمحبتهم إياه.

[١١] ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾:

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿يَأْتِيهِم﴾: بصيغة المضارع بدلاً من أتاهم في الماضي؛ للدلالة علىٰ حكاية الحال.

﴿مِّن رَّسُولٍ﴾: من: استغراقية؛ أي: رسول، وكل رسول هو نبي، وليس كل نبي رسول. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١٦٤) لمزيد من البيان، والفرق بين الرسول والنبي.

﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: من الاستهزاء، ويعني: تحقير المستهزئ به، والاستخفاف به، والتصغير من شأنه. ويستهزؤون: بصيغة المضارع التي تعني: الاستمرار في الاستهزاء، ولحكاية الحال.

ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٦) من سورة الزّخرف: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، كم هنا: خبرية؛ تفيد التّكثير؛ لأنّ الأنبياء عددهم أكثر بكثير من الرّسل.

[١٢] ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني: مثل ذلك؛ أي: كما سلكنا: أدخلنا الكفر، والتّكذيب، والاستهزاء في قلوب شيع الأولين من الأمم السابقة؛ كذلك ندخله في قلوب المجرمين من مشركي مكة، وغيرهم من المكذبين.

﴿نَسْلُكُهُ﴾: ندخله، والسّلك: أعم من الإدخال، والإدخال: حالة خاصة من السّلك؛ فالسّلك: يضم الإدخال، وغير الإدخال، ويعني: إدخال الشّيء في شيء آخر بسهولة بعكس الدّخول الّذي يعني: أكثر صعوبة، ومشقة، والهاء في نسلكه: تعود إلى الكفر، أو الشّرك، أو التّكذيب، أو الاستهزاء، وقد تعود إلى الذّكر؛ أي: القرآن، وقد تشمل الكل.

﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم، ولبيان معنى المجرمين ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١).

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: لا يصدقون به، والهاء: تعود على الذّكر، أو الرّسول، أو العذاب، أو الكل.

﴿وَقَدْ خَلَتْ﴾: وقد: الواو: استئنافية؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿خَلَتْ﴾: مضت، وسبقت.

﴿سُنَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: السّنة: الطّريقة الّتي يصرِّف الله سبحانه بها كونه بما يحقق مصلحة الكون، والإنسان؛ أي: قوانين خلقه، وكونه.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الّذين جاءوا قبلكم من الأمم كيف فعلنا بهم، أو أهلكناهم بسبب تكذيبهم لرسلهم. ارجع إلىٰ سورة الفتح، آية (٢٣)، وسورة آل عمران، آية (١٣٧) وسورة النساء آية (٢٦)؛ لبيان معنىٰ: السُنة.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: استئنافية؛ لو:

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: هذه الآية من آيات الإعجاز العلمي في القرآن؛ فقد أثبتت الحقائق العلمية الحديثة: أن المركبات الفضائية إذا أرادت أن تخرج من الغلاف الجوي المحيط بالأرض لا تستطيع أن تخرج إلىٰ حيز، أو مدار آخر، أو فلك آخر إلا من أماكن محددة تسمىٰ: منافذ الغلاف الجوي (تسمىٰ باباً)؛ فمن هذه الآية نستنتج: أنّ هناك أبواب للسماء إذا أرادت المركبات الفضائية الخروج إلىٰ مدارات أخرىٰ لا بد أن تخرج منها؛ كي تخرج بسلامة، أمّا إذا حاولت الخروج من غير هذه المنافذ، أو الأبواب تنفجر، وتتحطم علىٰ الفور؛ فالسّماء؛ أي: السّموات بناء محكم شديد الترابط بقوىٰ كثيرة، وليست السّماء فراغاً كما كان يظن النّاس؛ فليس هناك فراغاً أبداً، إنما الكون مليء بالمادة، والغازات، والطاقة.

والسّماء تعريفها: هو كل ما علاك، وتشمل السّموات السّبع، وما بينهن.

﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾: ولم يقل فتحنا لهم؛ لأنّ علىٰ: تعني العلو، والاستعلاء، والمشقة؛ لأنّ الخروج من هذه الأبواب ليس سهلاً، وثانياً هم سوف يعرجون، أو يصعدون من أسفل إلىٰ أعلىٰ فالباب سيفتح لهم من أعلاهم، أو أنزلنا عليهم سُلماً يصعدون به إلىٰ أعلىٰ.

﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: فظلوا: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ ظلوا: من ظل؛ وظل: تستعمل خاصة للعمل في النّهار، وأمسى: تستعمل خاصة للعمل بالليل، وكان: تستعمل لمطلق الزّمان؛ فظل تعني: في ضوء النّهار؛ أي: ظلوا يصعدون في ضوء النّهار.

﴿فِيهِ﴾: ظرف زماني، ومكاني، والهاء: تعود على الباب؛ أي: فظلوا يعرجون نهاراً حتى يصلوا إلى الطبقة المظلمة المحيطة بالكون، وعندها لا يرون إلا الظلام.

﴿يَعْرُجُونَ﴾: تحمل معنى أول، وهو الصّعود، ومعنى ثان الحركة بشكل مائل إذن يعرجون تعني الصّعود مع الميلان بشكل مائل؛ أي: بخط منحني غير مستقيم؛ لأنّ السّماء الدّنيا مليئة بالأجرام، وهذه الأجرام تختلف في كتلها، وسرعة دورانها، وقوى التّجاذب، وقوى الطرد المركزي.

﴿يَعْرُجُونَ﴾: مشتقة من العرج، وهو الميل بالحركة؛ أي: يصعدون بشكل مائل، أو منحي، ولو كان الصّعود في الليل لقال الحق فباتوا فيه يعرجون بدلاً من كلمة فظلوا.

فسوف يرون ظلاماً يسيطر على الكون، والأرض؛ أي: محيطاً بالأرض، ويرون الشّمس، والنّجوم بقاع، أو نقاط باهتة لا تعطي نوراً.

فمن أين جاء الظّلام، وهذه هي حقيقة علمية في علم الفلك، والفضاء أننا لو تجاوزنا الغلاف الجوي سنرى ظلاماً قد أطبق على الكرة الأرضية؛ أي: ما حول الأرض غلاف مظلم، وطبقة النّهار، أو الطبقة المضيئة طبقة لا يزيد سمكها عن (٢٠٠كم)، ومعظم أشعة الشّمس لا تصل إلينا إنما فقط تصل إلينا حزمة من أشعة الشّمس تسمّى حزمة الضوء المرئي المكونة من ألوان الأطياف السبعة الّتي حين تختلط بالطبقة الغازية المضيئة حول الأرض، وتعطينا هذا الضوء الأبيض.

للتفريق بين الصّعود، والعروج، والرّقي. ارجع إلىٰ الآية (٩٣) من سورة الإسراء.

[١٥] ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾:

﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا﴾: لقالوا: اللام: للتوكيد، والتّعليل؛ قالوا: الّذين يعرجون في السّماء؛ أي: رواد الفضاء.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾: من سِكْر الباب؛ أي: أغلقه، أو مشتقة من السُّكر الّذي يلي شرب الخمر؛ أي: غُطيت، وغُشيت أبصارنا؛ أي: اعتراها خلل في إحساسها، كما يعتري عقل السّكران بعد شرب الخمر؛ فيختل إدراكه.

أو سدت أبصارنا، ومنعت عن الرّؤيا، وما نرىٰ إلا ظلاماً، أو تخيلاً، وأوهاماً.

﴿بَلْ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

عدلوا عن كلمة عقولهم إلىٰ أبصارهم؛ أي: مسحورين في الأبصار.

﴿قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: جمع مسحور؛ اسم مفعول من سحر؛ هي جملة اسمية تفيد الثّبوت؛ أي: هم لن يصدقوا، ويؤمنوا بهذه الحقائق الثّابتة الكونية الّتي هي عين اليقين الّتي لو رأوها بأعينهم لقالوا هذا سحر، وأوهام؛ لشدة عدم تصديقهم وتكذيبهم، ولمعرفة معنىٰ السحر؛ ارجع إلىٰ سورة طه، آية (٨).

❖❖❖

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

سورة الحجر [الآيات ١٦ - ٣١]

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: لام التّوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿جَعَلْنَا﴾: صير، والجعل يكون بعد الخلق.

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: وهي منازل للشمس، والقمر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج:١]؛ أي: كلما تحركت الشمس في السّماء؛ تنتقل من برج إلىٰ آخر.

والبروج: هي تجمعات نجمية يراها أهل الأرض في أشكال هندسية معينة يسميها النّاس تسميات مختلفة؛ مثل: برج الحمل، والثور، والسرطان، والأسد، وبرج العقرب، أو الميزان، وهي في الحقيقة ليست كما يصفها النّاس، وهذه البروج عددها (٨٨ برجاً)، (١٢) برج تقع الشمس في كل واحد منها في كل شهر؛ فيستطيع الإنسان أن يحدد الشّهر عن طريق البرج الّذي تقع فيه الشمس، وكذلك تلعب هذه الأبراج (التجمعات النجمية) دوراً في تحديد جهة الشرق، وبقية الاتجاهات، وكذلك باقي الأبراج يلعب دوراً في زينة السّماء، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾: أي: السّماء.

وسميت هذه البروج: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت.

والقمر: ينتقل في السّماء من منزل إلىٰ آخر: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩]. ارجع إلىٰ سورة يس؛ لمزيد من البيان.

﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾: أي: السّماء زيناها بالنجوم، والكواكب، والشموس، والأبراج، والمنازل.

﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ النّاظرين: جمع ناظر: بالعين المجردة، أو بواسطة تلسكوب.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾:

﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾: بالشّهب.

أي: ومنعنا كل شيطان رجيم من الاقتراب من السّماء، واستراق السّمع.

﴿مِن كُلِّ﴾: من: استغراقية تستغرق كل شيطان.

﴿شَيْطَانٍ﴾: وكلمة شيطان مشتقة من شطن: بُعد عن الحق، وتمادي في الشّر، أو شاط احترق، أو الشّاطن الخبيث.

﴿رَّجِيمٍ﴾: تعني:

١ - مرجوم بالشّهب.

٢ - مطرود من رحمة الله، أو مُبعد.

٣ - ملعون.

[١٨] ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿إِلَّا مَنِ﴾: إلا: أداة استثناء. من: ابتدائية.

﴿اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: استمع في خُفية؛ كي يسرق الكلام المسموع بالتّنصت إلى الملائكة؛ سرقة مقرونة بخوف، وخفاء، وعدم استقرار لا يسمح بحسن الاستماع والفهم.

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: فأتبعه: الفاء: للترتيب، والمباشرة مما يدل على إحكام السماء من اطلاع الشيطان على ما لم يرد الله اطلاعهم أو استماعهم إليه.

﴿شِهَابٌ﴾: النجوم عندما تنفجر تتحول إلى نيازك تتفجر وتتحول إلى قطع عالية الكثافة؛ تنزل على الأرض بشكل قطع من الصخر؛ كالحديد، وبعضها عندما تنزل وتحتك بالغلاف الغازي للأرض تحترق احتراقاً كاملاً مشكلةً الشهب؛ فالشهب: أصلها نيازك صغيرة الحجم؛ فهذه الشهب جعلها ربنا رجوماً للشياطين، وإذا سقطت على الأرض تسقط بشكل رماد، وربنا سبحانه حرمَ على الشياطين القيام باستراق السمع بعد بعثة الرسول محمّد ﷺ.

ما هو الفرق بين الشهاب المبين والشهاب الثاقب؟

الشهاب الثاقب: أشد، وأقوى من الشهاب المبين؛ لكونه يخترق الكثير من الأجسام.

لننظر إلى كلمة شهاب في القرآن الكريم؛ فقد وردت في عدة آيات:

في سورة الحجر هذه آية (١٨): ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾.

في سورة النمل، آية (٧): ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾؛ أي: شعلة من النّار ملتهبة.

في سورة الصّافات، آية (١٠): ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾؛ أي: ألسنة من النّار تنطلق من النّجم لتحرق الشيطان المارد.

في سورة الجن، آية (٩): ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾.

[١٩] ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾:

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: أي: مددنا قشرة الأرض؛ فالأرض بدأت من جزيرة بركانية ظهرت في وسط كل محيط، ثمّ استمرت ثورة البراكين، وظلت الأرض تتمدد حول هذه الجزيرة الّتي سميت الحافة وسط المحيط حتى شكلت القارة الأم الّتي تشققت بشبكة من الصدوع إلى سبع قارات، ثمّ تباعدت هذه القارات حتى أصبحت كما نراها اليوم.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: رواسي: هي الجبال، وتتشكل حين تصطدم الألواح القارية تحت المحيطات بعضها ببعض؛ فحين ينزل لوح تحت لوح آخر تكشط كل الصخور الرسوبية عن السطح النازل، وتلقىٰ علىٰ السطح الآخر، وعندما ينزل اللوح إلىٰ درجات أعمق ذات درجات حرارة شديدة تنفجر البراكين، وتلقي البراكين بالحمم في الفضاء، ثمّ تنزل علىٰ الأرض لتشكل الجبال، أو تلقىٰ علىٰ الأرض، ثمّ تنزل الجبال إلىٰ قشرة الأرض، وحينما تصل إلىٰ مناطق الضعف الأرضي تنزاح بعض الصخور المنصهرة، وتدفع إلىٰ أعلىٰ، وهذه تكون قلب الجبل، وهذه الجبال ساعدت علىٰ إبطاء حركة الأرض لكي تستطيع هذه الكائنات الحية مثل الإنسان، والحيوان، والنبات العيش عليها.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: من: استغراقية تفيد التّوكيد، وتشمل كل نبات (يشمل الزروع والثمار).

﴿كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: معلوم الوزن، والقدر عند الله سبحانه، ومنها العناصر اللازمة لاستمرار حياته.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾:

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾: هيأنا، وأعددنا لكم في الأرض.

﴿مَعَٰيِشَ﴾: جمع معيشة: وهو ما يعيش عليه الإنسان من الطّعام، والشّراب، واللباس، والسكن.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: من العيال، والخدم، والأنعام، والدّواب؛ أي: الله يرزقهم، ويرزقكم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٦٠]؛ حتىٰ لا تظنوا أنكم أنتم الرّزاقون لهم خطئاً.

[٢١] ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾:

﴿ وَإِن ﴾: الواو: استئنافية؛ إن: نافية؛ أي: وما من شيء إلا عندنا خزائنه.

ومن استغراقية تشمل كل شيء، وتفيد التّوكيد.

﴿إِلَّا﴾: تفيد الحصر.

﴿عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾: خزائن: جمع خزينة: لغة تعني المكان المخصص لحفظ الأشياء الثمينة؛ مثل: الأموال، والذهب، والفضة، والمعادن الثمينة هذا هو التفسير القديم، واصطلاحاً تعني: مقدورات الله تعالىٰ التي تنفع الناس من رزق وخيرات ونعيم وكل ما يحتاجه الخلق في الحياة؛ وأما التفسير العلمي للخزائن، وهي: النجوم الّتي هي عبارة عن أفران نووية هائلة يخلق فيها ربنا كل ما تحتاجه هذه الحياة من عناصر، ومركبات؛ مثل: الحديد، والذهب، والفضة، والنحاس، والألماس... وغيرها؛ كلها تكونت من غاز الهيدروجين، أو الهليوم؛ فهناك أكثر من (١٠٠) عنصر خلقها الله سبحانه من غاز الهيدروجين؛ فكل ما تحتاجه الأرض يخلق في السّماء أصلاً، وعندما تتفجر هذه النجوم علىٰ شكل نيازك تنزل علىٰ الأرض، وغالباً ما تنزل في البحار، أو الأماكن غير المسكونة رحمة بالعباد.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾: ما: نافية؛ ننزله إلا بقدر معلوم حسب المصلحة، والحكمة؛ أي: ننزل هذه المعادن.

﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: حصراً بقدر موزون، ومحدد الكمية، والحجم، والمصلحة، والفائدة.

[٢٢] ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾:

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ ﴾: الرّياح في القرآن تستعمل في سياق الرّحمة، والرّيح تستعمل في سياق العذاب، والدّمار.

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾: لواقح: جمع لاقحة مشتقة من اللاقح الّذي يلقح الغير ليصير فيه جنين فالنّباتات تتكاثر، ولا بد من حمل عامل الذّكورة للوصول إلىٰ عامل الأنوثة. والأهم من ذلك: أن الآية تتحدث عن تلقيح السحب، فأشعة الشمس تبخر الماء من البحار، والمحيطات، والأودية، والبحيرات، نتح أو تنفس النباتات، وتنفس الإنسان، والحيوان، فالرياح تحمل بخار الماء بشكل سحب، والسحب هذه لا تمطر؛ لأن ذرات بخار الماء خفيفة؛ فيرسل الله سبحانه إليها رياح أخرىٰ محملة بهباءات الغبار، فتلقح السحب الحاملة لبخار الماء، وتصبح ذرات بخار الماء كثيفة حول هباءات الغبار، وحين تصل إلىٰ كثافة معينة تنزل بشكل المطر المبارك.

﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾: الآية تتحدث عن دورة الماء حول الأرض. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون، آية (١٨)، وسورة يس، آية (٣٣)؛ للبيان.

﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾: أي: أعددناه لسقياكم إن أردتم السّقيا، أو معداً للشراب.

﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾: ما: النّافية.

﴿أَنتُمْ ﴾: للتوكيد؛ قادرون علىٰ خزنه.

﴿بِخَازِنِينَ ﴾: الباء: للإلصاق، والمصاحبة؛ فالله سبحانه يخزن لنا الماء النّازل من السّماء، والفائض عن الحاجة في جوف الأرض، والجبال عن طريق الصخور المسامية؛ كي يتيح لنا إخراجه حين الحاجة، أو يسيل بقدر الحاجة، وعلم الإنسان بناء السدود؛ ليخزن الفائض من الماء لحين الحاجة؛ فهناك مساحات كبيرة من القشرة الأرضية ليس فيها أنهار، ولا بحيرات، وفر الله

سبحانه الماء لأهلها عن طريق الصخور المسامية، وذات النفوذ القادرة على خزن الماء؛ مثل: الصخور الرملية والّتي تسمح للماء، والغاز بالتحرك، أو الخزن لمئات، وآلاف السنين، والإنسان ليس له دور في خزن هذا الماء، ولا يحفظ هذا المخزون إلا الله سبحانه. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (١٨)؛ لمزيد من البيان.

[٢٣] ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾:

﴿ وَإِنَّا ﴾: للتعظيم.

﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: للتوكيد؛ نحن: لتعظيم مرة أخرى.

﴿نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾: أي: كل الذّوات فانية، وزائلة؛ إلا ذاته ﷻ؛ فهو وحده الّذي يحيي ويميت.

﴿وَنَحْنُ﴾: التّكرار، ويفيد التّوكيد، وبصيغة التعظيم (الجمع).

﴿ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾: الباقون بعد هلاك الخلق كله؛ فهو يرث الأرض، ومن عليها؛ كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦].

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلى الآية (١٧).

﴿عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾: المستقدمين: جمع مستقدم: اسم فاعل من استقدام السداسي.

أي: أول الخلق (الأمم السّابقة) الّذين جاؤوا قبلكم؛ أي: ماتوا من ذرية آدم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾: تكرار، ولقد: للتوكيد.

﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾: جمع مستأخر: اسم فاعل من استأخر.

﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: آخر الخلق، أو الذين لم يخلقوا بعد، وسيموتون فيما بعد، أو كل من سيأتي من بعدكم إلىٰ يوم القيامة.

[٢٥] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: عاطفة؛ إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾: ربك؛ أي: الخالق، والمدبر، والوالي.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: بعد النشر، والحشر: هو السّوق، والجمع إلىٰ أرض المحشر، يحشرهم في أرض المحشر للحساب، والجزاء.

﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿حَكِيمٌ﴾: أحكم الحاكمين، الحاكم، والمالك للسموات، والأرض، وما فيهن، أو أحكم الحكماء مشتقة من الحكمة في تدبير شؤون خلقه، وكونه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٢٩) لمزيد من البيان.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة مشتقة من كثرة العلم يعلم ما يعلمه خلقه من صغير وكبير، ويعلم شؤون خلقه، وكونه؛ فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة من السّموات، ولا في الأرض؛ عليم بظواهر، وبواطن الأمور؛ لا تخفىٰ عليه خافية.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾:

﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾: أي: آدم.

لفهم هذه الآية: لا بد من معرفة، أو ذكر المراحل الّتي مر بها خلق آدم عليه السلام.

التراب: المرحلة الأولىٰ: من تراب.

الطين اللازب: المرحلة الثّانية: تراب + ماء = طين، وسمّي طين لازب؛ لأنّه يلتصق باليد.

الحمأ: المرحلة الثّالثة: ترك الطّين ليجف، ويصيبه العفن، والنّتن؛ فأصبح لونه أسود؛ أي: الحمأ: طين أسود رائحته منتنة.

المسنون: المتروك سنين عدة؛ فسمّاه: الحمأ المسنون.

الصلصال كالفخار: المرحلة الرّابعة: ترك الحمأ المسنون ليجف، ويتقدم به الزّمن، ويبس حتىٰ يصبح له صوت إذا نقر عليه يشبه صوت الصّلصال الفخار.

ففي هذه الآية ذكر المرحلة الثّالثة والمرحلة الرّابعة.

وفي سورة الصّافات، آية (١١) ذكر المرحلة الثّانية الطّين اللازب، والمرحلة الأولىٰ ذكرت في عدة سور منها: سورة الروم، آية (٢٠)، وسورة الحج، آية (٥)، وسورة فاطر، آية (١١).

[٢٧] ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾:

﴿ وَٱلْجَآنَّ ﴾: يقصد به إبليس، وذريته من قبل؛ أي: من قبل خلق آدم.

﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾: من: ابتدائية.

﴿نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾: من اللهب الّذي لا دخان فيه؛ شديد الحرارة يشبه الرّيح الحارة الّتي تتخلل مسام الجلد، وتؤثر في الجلد تأثير السّم.

وفي صحيح مسلم، وأحمد، عن عائشة قال ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

[٢٨] ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾: إذ: ظرف للزمان الماضي؛ أي: واذكر إذ قال ربك، أو حين قال ربك.

﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: خاصة للملائكة.

المكلفين بتدبير الخلق، ولا يعني الملائكة العالين (حملة العرش ومن حوله).

﴿إِنِّي﴾: للتوكيد.

﴿خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾: يسمى الإنسان بشراً؛ مشتقة من كونه له بَشرة خاصة به؛ أعطته حسن الهيئة، أو تعني الظهور.

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إذا شرطية تفيد الحتمية؛ حتمية الحدوث.

﴿سَوَّيْتُهُۥ﴾: من التّسوية: أتممت خلقه، والتّسوية؛ تعني: اخترت له الصفات الوراثية الخاصة به؛ بحيث لا يشبه مخلوقاً آخر من الخلق على الإطلاق.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾: ولا تعني الرّوح أنّها جزء من الله، وإنما الرّوح خلق من خلق الله أضافها إلى ذاته تشريفاً، وتكريماً لها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]. وإسناد التسوية ونفخ الروح إليه سبحانه تشريفاً للإنسان، وتبيان لمنزلة وتكريمه من بين سائر المخلوقات.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة، قعوا: خروا له مباشرة وبسرعة وبدون تردد.

﴿لَهُۥ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر له فقط.

﴿سَٰجِدِينَ﴾: قيل: سجود شكر، وليس سجود عبادة، وسجودهم لآدم بذاته؛ هو طاعة لله سبحانه الّذي أمر بذلك، وليس طاعة لآدم.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾:

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، والتّرتيب.

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: الموكلون ببني آدم؛ فسجدوا سجود تحية، واحترام، وليس سجود عبادة كما قلنا.

﴿كُلُّهُمْ﴾: للتوكيد (توكيد أول).

﴿أَجْمَعُونَ﴾: توكيد ثان، أو لزيادة التّوكيد، وتعني: لم يتأخر منهم أحداً (سجدوا معاً جميعاً) وفي آن واحد، ولم يتأخر أحد منهم.

[٣١] ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾:

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء؛ استثناء منقطع؛ أي: المستثنى ليس بعضاً من المستثنى منه؛ لأنّ إبليس من الجن، والجن ليسوا من الملائكة.

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: ورغم أنّ إبليس ليس من الملائكة، ولكن الأمر الإلهي كان يشمله، كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢]، ولكنه أبى: الإباء: شدة الامتناع، وقد يرافق ذلك كره.

واسم إبليس مشتق من الإبلاس: وهو شدة اليأس. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٤)؛ للبيان.

﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: مع الملائكة الّذين سجدوا سجود تحية.

❖ ❖ ❖

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾
نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

ربع الحزب ٢٧

سورة الحجر [الآيات ٣٢ - ٥١]

[٣٢] ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: الله سبحانه: يا إبليس.

﴿مَا لَكَ﴾: ما: استفهام؛ للتوبيخ، اللام: لام الاختصاص.

﴿أَلَّا تَكُونَ﴾: ألا: (أن + لا)؛ أن: حرف مصدري يفيد التّعليل، والتّوكيد؛ لا: النّافية.

﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: مع السّاجدين؛ أي: الملائكة؛ لأنّه كان في صحبتهم، ولم يقل من السّاجدين؛ من الملائكة؛ لأنّ إبليس لم يكن من الملائكة؛ كان من الجن.

أي: هو لم يكن مع السّاجدين، ولا هو من السّاجدين؛ أي: ما عذرك، أو ما منعك كونك غير ساجد مع الملائكة؛ فهذه الآية تسئل إبليس ما الّذي منعه من السّجود.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾:

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ﴾: لم: حرف نفي.

﴿لِأَسۡجُدَ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ سجود التّحية.

﴿لِبَشَرٍ﴾: يعني: آدم، وكلمة بشر: مشتقة من البشارة. ارجع إلى الآية السّابقة (٣٣)، وتعني: حسن الهيئة؛ فالإنسان يمتاز بحسن الهيئة عن غيره من المخلوقات؛ اللام: لام الاختصاص.

﴿خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: خلقته: يعني: آدم. ارجع إلى الآية (٢٨)؛ بينما إبليس خلق من نار السّموم؛ فهذه الآية تدل على أنّ القوة المانعة الّتي منعته من السّجود هي صادرة عن نفسه، وإرادته، وهي التكبر، والاستعلاء، وليس قوة مانعة خارجية أكرهته على ذلك.

[٣٤] ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾:

﴿قَالَ﴾: سبحانه وتعالى لإبليس:

﴿فَٱخْرُجْ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة.

﴿مِنْهَا﴾: من الجنة؛ جنة أرضية، وليست جنة الآخرة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٥) لمزيد من البيان.

﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: تعليلية، وتوكيد؛ إنك: إن: للتوكيد.

﴿رَجِيمٌ﴾: تعني: من المبعدين، والمطرودين من رحمة الله، أو الرجيم: الملعون من الملعونين، أو المرجوم بالكواكب، والشّهب الثّاقبة.

[٣٥] ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عَلَيْكَ﴾: على: تفيد الاستعلاء، والمشقة.

﴿ٱللَّعْنَةَ﴾: الطّرد من رحمة الله سبحانه، والبعد عنه.

﴿إِلَىٰ﴾: حرف غاية عموم الغايات.

﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الجزاء، والحساب؛ أي: يوم القيامة.

[٣٦] ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾:

﴿ قَالَ ﴾: إبليس.

﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾: فأنظرني: أخرني، أو أمهلني، والفاء: للتوكيد.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾: إلىٰ: حرف غاية لعموم الغايات؛ بينما حتىٰ: نهاية الغاية.

﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾: أي: إلىٰ يوم البعث؛ فهو يريد أن ينجوا من النفخة الأولىٰ؛ أي: أن لا يموت، ويصعق الّذي يتم أو يحدث حين النّفخة الأولىٰ (نفخة الموت والصّعق).

[٣٧] ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾:

﴿فَإِنَّكَ﴾: الفاء: للمباشرة؛ إنك: إن: للتوكيد.

﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾: الممهلين، أو المؤخرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم.

[٣٨] ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾:

﴿يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: أي: إلىٰ وقت النّفخة الأولىٰ؛ نفخة الموت، والصّعق؛ حيث تموت كل الخلائق؛ المعلوم عند الله وحده متىٰ سيكون، أو يحدث.

[٣٩] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾:

﴿ قَالَ رَبِّ ﴾: إقرار بالرّبوبية لله.

قال إبليس رب بما: الباء: السّببية، أو التّعليلية.

﴿أَغْوَيْتَنِي ﴾: من الغي، والغي هنا قد يعني: إما الخيبة في الطّلب.

بما أنّ الله سبحانه لم يستجب لطلب إبليس بأن يكون من المنظرين، أو

أغويتنـــي أضللتني؛ أي: طردتني من رحمتـــك، أو أبعدتني عن رحمتك، أو بما أغويتني بالطّلب للسجود لآدم.

والله ســـبحانه لم يغويـــه، ولكن أعطاه الخيار؛ إمـــا أن يعصي أمر الله، أو يطيعه بالسّجود لآدم.

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾: لأزينن: اللام: لام التّوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد.

التّزييـــن: يكون في المعاصـــي، وتزيين الحياة الدّنيا، والانشـــغال بها عن الآخـــرة، وطاعة الله، وفي المحرمات يزين لهـــم المنكر، أو الباطل، أو الحرام، والزنى، والفاحشـــة، والشّـــرك، والتّزين؛ يكون في غيـــر الضّروريات؛ لأنّ كل الضّروريات لم يحرمها الله سبحانه.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في: ظرفية مكانية، وزمانية، والسؤال هنا: كيف علم إبليس أن آدم سيخرج من الجنة ويهبط إلى الأرض وآدم ما زال في الجنة وذلك لقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]؟

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾: اللام، والنّون في أغوينهم؛ للتوكيد، والإغواء: الإضلال.

وهناك فرق بين الضّلال، والإغواء:

الضّلال: أعم من الإغواء، ويكون في الدّين، وغيره.

أمّا الإغواء: يكون فقط في الدّين، والإغواء؛ يعني: الإفســـاد، والخيبة في المطلب.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد. ارجع إلى الآية (٤٢) من نفس السّورة؛ لمعرفة معنى الغاوي بالتفصيل.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾: انتبه إلىٰ الفرق بين المخلَصين في هذه الآية، والمخلِصين بكسر اللام:

المخلِصين: بكسر اللام: الّذي يُخلِص نفسه، وطاعته لله، ويجاهد ليكسب ثواب الله؛ مثال: المتقين، والمحسنين.

المخلَصين: أعظم درجة من المخلِصين؛ من أخلَصهم الله سبحانه بعد أن أخلصوا له.

﴿مِنْهُمُ﴾: من: هنا ابتدائية؛ أو: البعضية.

[٤١] ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾:

﴿هَذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة للقرب، أو يشير إلىٰ تخليص الله عباده المخلصين من إبليس، وأعوانه من الإغواء، والتّزيين، والإضلال.

﴿صِرَاطٌ عَلَيَّ﴾: هذا حق علي؛ أي: تخليص المخلصين من إبليس وأعوانه.

علىٰ: تفيد الاستعلاء، والمشقة.

أو تعني: الإخلاص طريق عليَّ مستقيم بدل إليَ بـ(عليَّ)؛ لأنّه طريق صعب وشاق سلوكه، والقيام به، وتجنب الرّياء.

أو هذا صراط علي مستقيم، وعيد من الله سبحانه؛ أي: حسابك يا إبليس عليَّ، أو وعد من الله سبحانه لعباده المخلِصين بعدم قدرة إبليس علىٰ إغوائهم.

﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: ثابت لا يتغير؛ لا عوج فيه، ولا انحراف.

وقد يكون هذا رد على قول إبليس في سورة الأعراف، آية (١٦-١٧) حين قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

وهناك من قرأ عليَّ: علِي بكسر اللام، ورفع الياء، وتنوينها؛ أي: هذا صراط عليٌّ؛ أي: رفيع عالٍ مستقيم.

[٤٢] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾:

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِبَادِي﴾: إضافة ياء المتكلم يدل على أنّهم أعلى، وأشرف من العبيد؛ فهم الّذين اختاروا أن يكونوا عباد الله؛ فإضافتهم إلى الله تدل على التّشريف، والمدح.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾: ليس: للنفي.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: لا سلطان القهر، أو الغلبة، ولا سلطان الحجة، والبرهان.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَنِ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي؛ من: ابتدائية.

﴿اتَّبَعَكَ﴾: استجاب لك، واتبع خطواتك.

﴿الْغَاوِينَ﴾: جمع غاو، والسؤال هنا: إذا كان من الغاوين فليس لسلطان الشيطان عليه فائدة، فالغاوين تعني: من يريد الضلال والغواية، واتباع الشيطان، وتعريف الغاوي:

١ - عالم بالحق، وعادل عنه، أو مائل عنه إلى الباطل، أو الغاوي هو:

٢ - الضال عن طريق الحق، والخير.

٣ - التائه عن الصّراط المستقيم، والإيمان، والدّين.

٤ - غير راشد.

٥ - الجاهل، والّذي يتمنى الأماني الكاذبة.

٦ - الخائب من خاب، ولم يتحقق مطلبه، أو لم يصب الحقيقة.

وقيل الغي:

١ - العدول عن الحق بعد معرفته.

٢ - أصل الغي الفساد في المذهب، والعقيدة.

٣ - فساد الرّأي، وتعاطي الباطل من قول، وفعل.

٤ - ضد الرّشد.

[٤٣] ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿جَهَنَّمَ﴾: اسم جنس مشتقة من الجهمومة الشّيء المخيف المركب الكريه المنظر، أو بعيدة القعر، وهي أول دركة من دركات النّار.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾: اللام: للتوكيد؛ الضّمير هم: يعود على الكافرين. موعدهم: الموعد يعني: الزّمان، والمكان.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد؛ الكل بدون تغيب أحد.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾:

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: قيل: لها سبعة أبواب.

وكما أنّ للجنة ثمانية أبواب. قيل: للنار سبعة أبواب، وقيل: دركات؛ هي: جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والسّعير، والهاوية، والجحيم.

﴿لِّكُلِّ بَابٍ﴾: أو دركة.

﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: جماعة معينة، أو زمرة تدخل منه؛ لأنّ مراتب الكفر، والشّرك، والمعاصي مختلفة؛ مثال: الدّرك الأسفل من النّار للمنافقين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾: جمع متقي: وهو من أطاع أوامر الله سبحانه، وتجنب نواهيه.

﴿فِي﴾: ظرف مكان.

﴿جَنَّاتٍ﴾: جمع جنة؛ مثل: جنات النّعيم، وعدن، والفردوس، والمأوى، ودار السّلام.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جمع عين؛ أي: عين الماء، وذكرت (٩) مرات في القرآن.

والفرق بين أعين، وعيون:

أعين: جمع عين، وهي العين الّتي نُبصر بها.

أمّا العيون: جمع عين؛ تعني: عين الماء الّتي نشرب منها.

[٤٦] ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾:

﴿ ٱدْخُلُوهَا ﴾: يقال للمتقين: ادخلوا الجنة.

﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾: بسلام: الباء: للإلصاق؛ بسلام من الملائكة، وبسلام من ربكم، وبسلام بعضكم لبعض؛ سلام آمنين من الأمراض، والآفات؛ آمنين من الخوف، والفزع، والجوع، والفقر، والموت؛ سلام أمن وطمأنينة من كل مكروه، وضرر.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾:

﴿وَنَزَعْنَا ﴾: من النّزع: وهو الاقتلاع بشدة: ونزعنا تدل على تغلغل وتحكم الغل مثل الحسد، والعداوة، وغيرها في قلوبهم بشكل عميق، وإن قلعها يحتاج إلى قوة وشدة حتى لا يبقى لها أي: أثر.

﴿مَا ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي، ما: أوسع شمولاً وعموماً من الّذي.

﴿فِى ﴾: ظرف مكاني؛ صدورهم.

﴿مِّنْ غِلٍّ ﴾: من: استغراقية؛ غل: غل: نكرة تشمل كل أنواع الغل؛ مثل: الحسد، والعداوة، والغش، والخداع، والغيبة، والنّميمة، وألقى في صدورهم بعد النزع المحبة، والمودة، والصّفاء.

﴿إِخْوَٰنًا ﴾: جمع أخ؛ إخواناً: تجمعهم أخوة الدّين، والإسلام، والّتي هي أهم من أخوة الدّم، والنّسب. ارجع إلى سورة الحجرات، آية (١٠).

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾: السّرير: اسم لما يجلس عليه، ولا يرى بعضهم ظهر بعض تدور بهم الأسرة.

[٤٨] ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾:

﴿ لَا ﴾: لا: النّافية.

﴿يَمَسُّهُمْ ﴾: من المس: وهو اللّمس الخفيف؛ أي: لا يصبهم في الجنة أدنىٰ درجات التّعب، أو اللغوب.

﴿نَصَبٌ ﴾: التّعب الجسماني، والّذي يحصل بعد العمل لعدة ساعات، واللغوب: الإعياء، أو التّعب النّفسي، أو هو الفتور النّاتج عن النّصب.

﴿وَمَا هُم ﴾: ما: للنفي؛ هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿بِمُخْرَجِينَ ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ مخرجين: من الجنة.

أي: لن يصيبهم مثل ما أصاب أبوهم آدم حين أخرج من الجنة، وما هم بمخرجين: توكيد للوعد؛ لتطمئن قلوبهم؛ لأن أدخلوها بسلام آمنين تكفي.

[٤٩] ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾:

بعد ذكر الوعد، والوعيد، وإنّ جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب؛ إن المتقين في جنات وعيون يتبعه بقوله:

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ ﴾: الخطاب موجه إلىٰ رسول الله ﷺ، والإنباء: هو الإخبار بأمر مهم، وعظيم، هو أنّ الله هو الغفور الرّحيم؛ أي أخبر عبادي بهذا الخبر العظيم، وهو أني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم.

﴿أَنِّيٓ ﴾: أن: حرف توكيد.

﴿أَنَا ﴾: ضمير منفصل يفيد التّوكيد؛ وتوكيد القصر علىٰ أنّه هو الغفور الرّحيم.

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: صيغة مبالغة من غافر كثير الغفران لعباده مهما كثرت، وعظمت ذنوبهم، ومهما تعددت وتكررت.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: الرّحيم: صيغة مبالغة من الرّحمة؛ كثير الرّحمة لعباده المؤمنين.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾:

﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾: هو العذاب الأليم، ونبئهم أيضاً: أنّ عذابي:

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل يفيد التّوكيد، على أنّ عذابه هو العذاب الأليم الّذي لا يقارن بعذاب آخر.

وهاتين الآيتين تجمعان مقامي الرّجاء، والخوف، وعلى المؤمن أن يجمع بينهما في عبادته.

[٥١] ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾:

وأخبرهم بالخبر الهام عن ضيف إبراهيم؛ ففي قصتهم مثالاً للبشارة، والإنذار، ومثال على عذاب الله سبحانه الأليم الّذي حل بقوم لوط.

﴿ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: ضيف: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع، وقيل: كانوا ثلاثة من الملائكة، ومنهم: جبريل عليه السلام.

❖ ❖ ❖

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

سورة الحجر [الآيات ٥٢ - ٧٠]

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي، وتعني: واذكر إذ دخلوا على إبراهيم عليه السلام فجأة، أو حين دخلوا عليه، وألقوا عليه السلام.

﴿فَقَالُوا۟﴾: أي: الملائكة؛ الفاء: للترتيب، والمباشرة.

﴿سَلَٰمًا﴾: جاءت بالنّصب؛ أي: نُسلم سلاماً.

﴿قَالَ﴾: إبراهيم.

﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: في هذه الآية لم يذكر سبحانه وتعالى: أنّ إبراهيم رد عليهم السّلام، ولكنه في آيات أخرى في سورة الذّاريات، آية (٢٥): ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

وفي سورة هود، آية (٦٩): ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾.

وإذا نظرنا إلى سلام الملائكة، وكيفية رد إبراهيم عليه السلام على سلامهم نجد أنّ سلام الملائكة جاء بصيغة الجملة الفعلية (سلاماً) الّتي تدل على التّجدد، والتّكرار بينما رد إبراهيم عليه السلام جاء بصيغة الجملة الاسمية (سلام)، ونحن نعلم من قواعد اللغة العربية: أنّ الجملة الاسمية أقوى، وأثبت من الجملة الفعلية، وهذا يتناسب مع قول الحق سبحانه.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

إذاً: رد إبراهيم كان أقوىٰ، وأحسن من تحية الملائكة؛ فقد كان بإمكان إبراهيم أن يقول سلاماً؛ فهذا يعني: رد التحية بالمثل، وسلام: نكرة، ولم يقولوا: السّلام عليكم؛ فهو يشمل سلام التّحية، وسلام الأمن، والاطمئنان، وسلام من كل مكروه، وأذىٰ، وشر؛ أما القول السلام تعني: فقط سلام التّحية.

﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: في هذه السّورة لم يذكر ﷺ تفاصيل ما حدث من رد السّلام، وإحضار الطّعام، وتهيئته لهم، وإنما انتقل إلىٰ مواقف اختارها سبحانه في قصة إبراهيم، ولوط منها:

﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: وفي آيات أخرىٰ قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذّاريات:٢٥]، و﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠].

﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: قالوا لا توجل: لا تخف إنا أرسلناك إلىٰ قوم لوط، لماذا قال إبراهيم ﷺ ذلك لهم، أو لماذا خاف إبراهيم منهم، وكانوا ثلاثة ملائكة في صورة شباب حسان؟ لأنّهم دخلوا عليه فجأة بدون سابق إنذار ، أو لأنّه لما رأىٰ أيديهم لا تمتد إلىٰ الطّعام لتأكل.

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿وَجِلُونَ﴾: الوجل: الخوف الشديد الّذي يصاحبه عوامل نفسية تؤدي إلىٰ إفراز لبعض الهرمونات الّتي تؤدي إلىٰ ازدياد عدد نبضات القلب، وقشعريرة في الجلد من الخوف الشديد.

[٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿قَالُوا﴾: الملائكة قالوا لإبراهيم.

﴿لَا تَوْجَلْ﴾: لا تخف؛ لا: النّاهية.

﴿إِنَّا﴾: إنا: للتوكيد.

﴿نُبَشِّرُكَ﴾: البشارة: هي الخبر السّار لأول مرة، والّتي تؤدي إلىٰ ترك آثارها علىٰ وجه الإنسان من علامات السّرور، والفرح.

﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ غلام: ولد.

﴿عَلِيمٍ﴾: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم، وهو إسحاق عليه السلام؛ لأنّ إسماعيل كان شاباً في ذاك الزّمن.

[٥٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم عليه السلام؛ لأنّه لا يصدق ما تسمعه أذنيه من الخبر السّار بالغلام؛ فيحاول الحصول علىٰ تأكيدات علىٰ هذه البشارة؛ لأنّه يرىٰ من الصّعب، أو المستحيل أن تنجب امرأته، وهي العقيم طوال عمرها، أو كيف يجتمع الكبر مع الإنجاب.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾: أبشرتموني: الهمزة: للاستفهام، وفيها معنىٰ التّعجب بالغلام، أو الولد.

وأصل أبشرتموني: أتبشرونني حذف النّون للتخفيف، والحصول علىٰ الخبر بسرعة.

﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: علىٰ: تفيد العلو، والمشقة بدلاً من كلمة: مع؛ أي: مع الكبر؛ كقوله تعالىٰ في سورة إبراهيم، آية (٣٩): ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿مَسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾: أصابني وحلَّ بي الكبر (التّقدم في السّن، أو العمر).

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: أي: بأي: شيء تبشروني، الفاء: تدل على التعقيب والمباشرة، ما: هنا استفهامية، وحذف الياء من تبشرون؛ لأنها بشرىٰ على الإنجاب بعد انقطاع الرجاء وبلوغه الكبر وامرأته عجوز عقيم؛ أي: جاء متأخراً.

[٥٥] ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾:

﴿قَالُوا۟﴾: أي: الملائكة.

﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: قالوا؛ أي: الملائكة لإبراهيم ﷺ بشرناك بالحق؛ بالصدق، والحق: هو الشّيء، أو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير، أو يتبدل؛ أي: لا لبس فيه بأن سارة ستنجب غلاماً.

والباء في كلمة الحق: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: من ربك؛ فهو الّذي قدَّر ذلك وشاء.

﴿فَلَا تَكُن﴾: الفاء: لربط المسبب بالسّبب، ولا: النّاهية.

﴿تَكُن﴾: ولم يقولوا: تك، أو تكوننَّ من القانطين.

﴿مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: من: ابتدائية.

﴿ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: جمع قانط، والقنوط: هو شدة اليأس؛ أي: اليأس إذا اشتد يؤدي إلىٰ القنوط، ويعني: انقطاع الأمل من حدوث شيء ما، والمؤمن الحق لا ييأس أبداً، و لا يقنط من رحمة الله تعالىٰ، أو يقطع أمله في الله سبحانه.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾:

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾: قال إبراهيم، ومن يقنط: من: استفهامية فيها معنىٰ النّفي؛ أي: لا يقنط، أو ييأس.

﴿مِن﴾: من: ابتدائية.

﴿رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾: تعني هنا: الفرج، أو الولد، والرّحمة تعريفها: هي جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: جمع ضال، ويعني: الكافرون، أو الجاهلون الّذين لا يعرفون قدرة الله، وعظم رحمته بخلقه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١٩٨) لمزيد من البيان.

[٥٧] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: إبراهيم.

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: استفهامية.

﴿خَطْبُكُمْ﴾: من الخطب، والشّأن: وهو الأمر الخطير العظيم؛ أي: ما شأنكم، أو حالكم، أو ما هو الأمر الجلل الّذي جئتم من أجله سوىٰ هذه البشارة، وسُمي خطباً؛ لأنّه أمراً يُشغل بال النّاس جميعاً؛ فيتحدثون عنه جماعات جماعات؛ أي: يتخاطبون به، وخطبة النساء من الخطب؛ لأنّه أمر عظيم، وكذلك خطبة الجمعة.

﴿أَيُّهَا﴾: منادىٰ نكرة، والهاء: للتنبيه.

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: جمع مرسل: وهم الملائكة المرسلون إلىٰ قوم لوط.

[٥٨] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾: إنا: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿أُرْسِلْنَآ﴾: من الله سبحانه، ولم يقل بعثنا؛ الإرسال: أخف من البعث. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمعرفة معنى: الإرسال، والبعث.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: وهم قوم لوط.

﴿مُّجْرِمِينَ﴾: لارتكابهم الفاحشة، وهي إتيان الذّكور من العالمين، وفيه إظهار للغاية؛ أي: لماذا أرسلوا؟ لإهلاك قوم لوط المجرمين: جمع مجرم: وأجرم الرّجل أذنب، وعصى، وكفر، وتكبر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) لبيان معنى مجرمين.

[٥٩] ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿ءَالَ لُوطٍ﴾: آل بيته.

﴿إِنَّا﴾: للتوكيد.

﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ لمنجوهم: النّجاة: هي الخلاص من المكروه، والفوز: هو الخلاص من المكروه، ونيل المرغوب؛ فالفائز: هو النّاجي من النّار، والمدخل الجنة.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: تفيد التّوكيد.

[٦٠] ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾:

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: أداة استثناء، وهذه ثاني أداة استثناء؛ الأول: آل لوط، آل لوط؛ تعني: ذريته، وامرأته، والقاعدة: أنّها إذا توالت الاستثناءات نأخذ المستثنى الأول من المستثنى منه، ثمّ نأخذ المستثنى الثّاني من المستثنى الأول... وهكذا.

﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: امرأة لوط، ولم يقل زوجته؛ لأنّها تخالف زوجها في الإيمان؛

فإذا كان هناك اختلاف بين الزّوج، والزّوجة يقال للزوجة امرأة بدلاً من زوجة؛ لأنّ الزّوج يعني أن يشبه كل منهما الآخر.

﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: من التّقدير: وهو الحكم. وجاء التقدير بأنها لمن الغابرين بما اختارته بعملها أن لا تستجيب لدعوة زوجها لوط عليه السلام، ولا تتوقف عن فعل المنكر، وما نهىٰ الله تعالىٰ عنه. ارجع إلىٰ سورة النمل آية (٥٧) للمقارنة بين الآيات المتشابهة.

﴿لَمِنَ﴾: اللام: للتوكيد؛ من: ابتدائية بعضية.

﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: جمع غابر، والغابر: الباقي في القرية للهلاك؛ أي: الباقين في العذاب، أو الغابرين الماضين (من الماضي)؛ أي: من الّذين انقرضوا، وماتوا، وما دامت لم تخرج من القرية، وبقيت؛ فهي من الهالكين.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ لما: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين.

﴿جَآءَ﴾: حضر، وهناك فرق بين جاء، وأتىٰ؛ جاء: المجيء بصعوبة، ومشقة، وجاء، وصلوا إلىٰ لوط؛ وأتىٰ: تعني: المجيء بسهولة، وأتىٰ؛ أي: في طريقهم إلىٰ لوط.

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: الّذين كانوا ضيفاً علىٰ إبراهيم عليه السلام؛ أي: وصل الملائكة المرسلون إلىٰ لوط.

[٦٢] ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: لوط لهم:

﴿إِنَّكُمْ﴾: للتوكيد.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي: لا أعرفكم، أو من أين جئتم، أو من أنتم.

﴿مُّنكَرُونَ﴾: جمع منكر، غير معروفين.

[٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: المرسلون.

﴿بَلْ جِئْنَاكَ﴾: بل: للإضراب الانتقالي.

﴿جِئْنَاكَ﴾: المجيء كما قلنا فيه صعوبة ومشقة، واختار كلمة جئناك بدلاً من أتيناك؛ لأنّهم جاؤوا بالعذاب، والحجارة من سجيل.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي.

﴿كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يمترون: مشتقة من المرية، وهي الشّك، والتّهمة؛ جئناك بالعذاب الّذي فيه يمترون يشكون، ويتهموك بأنّه لن يحدث، وقالوا في آيات أخرى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٦٤] ﴿وَآتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾:

﴿وَآتَيْنَاكَ﴾: الإيتاء: هو المجيء بسهولة، ويسر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ الحق: وهو الصدق؛ الأمر الثّابت الّذي لا يتغير، وهو العذاب، أو الأمر بالإسراء بقطع من الليل، وعدم الالتفاف، والمضي حيث أُمروا.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: وإنا: للتصديق.

﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ صادقون فيما نخبرك به، ونبلغك، وفيما يجب فعله.

[٦٥] ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾:

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: الإسراء: هو السّير ليلاً.

﴿بِأَهْلِكَ﴾: الباء: للإلصاق، والأهل: الأولاد والزّوجة.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: بجزء من الليل؛ أي: آخر جزء من الليل بقطع جمع قطعة.

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾: امشي خلفهم، والعادة أن يمشي أمامه وليس خلفهم؛ أي: في المقدمة؛ لتحثهم على السّرعة، أو كن خلفهم؛ لكي لا يلتفت منهم أحد لكونه يراقبهم من خلفهم، أو ليكون حائلاً بينهم وبين العذاب.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: لا: النّاهية.

﴿يَلْتَفِتْ﴾: الالتفات: النّظر إلى الخلف؛ أي: لا تنظروا ورائكم، أو خلفكم. ولا يمنة، ولا يسرة؛ حتى لا تروا ما سيحل بقومكم من العذاب المروع.

﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: ليكن مسيركم، واتجاهكم حيث أُمرتم.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: أي: أوحينا إليه، وأعلمناه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿ٱلْأَمْرَ﴾: بهلاك قومه وامرأته.

﴿أَنَّ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: دابر: آخر، دابر الشّيء آخره، والدّابر: التّابع.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة للذم.

﴿دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ﴾: قطع الدّابر؛ قطع لهم جميعاً؛ كناية عن استئصالهم عن بكرة أبيهم.

﴿مُّصۡبِحِينَ﴾: آخر من يهلك منهم وقت الصّبح، أو ما أن يأتي الصّبح يكون هلاكهم قد تم، وانتهى، وهكذا أخبرت الملائكة لوطاً بما سيجري في تلك الليلة؛ لكي يتم الاستعداد لها.

[٦٧] ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾:

ولما علم أهل المدينة من قوم لوط (أهل سدوم) بقدوم وفد من الشّبان الحِسان إلى عند لوط؛ جاءوا إليه.

﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: أي: مسرورين؛ الاستبشار: إظهار علامات السّرور؛ أي: قد جاءوا إليه فرحين؛ طمعاً في فعل الفاحشة، وفي آية أخرى: يُهرعون: مندفعين بسرعة يحث بعضهم بعضاً، وتظهر على وجوههم علامات السرور.

[٦٨] ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾:

﴿قَالَ﴾: لوط لقومه حين جاؤوا يستبشرون.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾: إن: للتوكيد.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: للتنبيه؛ أولاء: اسم إشارة للجمع، والقرب.

﴿ضَيۡفِي﴾: أي: في حمايتي.

﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَفْضَحُونِ﴾: لا تجلبوا العار، والفضيحة إلي بالاقتراب منهم.

[٦٩] ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾:

خافوا الله ربكم، وأطيعوا أمره، وتجنبوا ارتكاب الفاحشة.

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا: النّاهية.

﴿تُخْزُونِ﴾: من الخزي؛ أي: الفضيحة، والهوان أمام النّاس.

والهوان؛ أي: يهان لوحده بمفرده بدون علم النّاس بذلك.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: قوم لوطٍ للوط.

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار، وتوبيخ، والواو: تدل على شدة النّهي؛ لم: حرف نفي.

﴿نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: أولم نحذرك من قبل من عدم استضافة أحداً من العالمين في منزلك.

❖❖❖

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ
ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

سورة الحجر [الآيات ٧١ - ٩٠]

[٧١] ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾:

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ارجع إلى الآية (٦٨).

﴿بَنَاتِيٓ﴾: لأن النّبي يعتبر أبا القوم، ونساء القوم بناته، قال لهم لوط هؤلاء بناتي (أي: بنات القوم)؛ فلماذا لا تتزوجهن، وحاشا لله أن يعني هؤلاء بناتي (يعني: بنات لوط)؛ فافعلوا فيهن الفاحشة بدون زواج، أو حاشا لله أن يقول لهم اذهبوا، وافعلوا الفاحشة مع بنات القوم بدون زواج.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الشّك، والافتراض.

﴿كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾: السّوء بضيفي.

[٧٢] ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾:

﴿لَعَمۡرُكَ﴾: أي: أقسم بحياتك يا محمّد ﷺ، والقسم بحياته تشريفاً له، وأصل عَمرك هي عُمرك بضم العين، وفتحت؛ لكثرة الاستعمال. لعمرك: لفظ يستعمل في القسم، ومعنى العمر: الحياة، وعَمْر وعُمْر، والعُمُر: شيء واحد، واللام: لام الابتداء، وقيل: إنّ القسم قد يكون بحياة لوط.

﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَفِي﴾: اللام: للتوكيد، وفي: الظرفية.

﴿سَكۡرَتِهِمۡ﴾: السّكرة: تعني: الغفلة، أو الضّلالة، أو الخدرة العقلية الّتي

تعصف بالعبد، أو تصيب العبد لفعل الفاحشة الجنسية، وتغطي على عقله؛ فتعمى بصيرته، كما يغطي الخمر على عقول شاربيه.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: مشتقة من العمه في البصيرة، أو العمى في الرّأي، وهو التّردد، والحيرة في الضلال، والتّخبط، كما يفعل السّكران. وأما العمى: فهو عمى العين.

[٧٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والمباشرة؛ أخذتهم: قضت عليهم الصّيحة؛ أي: أهلكتهم.

﴿الصَّيْحَةُ﴾: نوع من أنواع العذاب. ارجع إلى سورة المؤمنون، آية (٤١)؛ للبيان.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: أي: بدأت الصّيحة بدخول صباح الفجر، وانتهت بطلوع الشّمس، أو الدّخول في وقت شروق الشّمس، وكيف علمنا أنّ بداية الصّيحة كانت عند دخول الصباح؟ هي الآية (٦٦)، وهي قوله تعالى: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾: وقت دخول الصباح (الفجر)، ونهاية الصّيحة كانت في قوله مشرقين؛ مشرقين: وقت شروق الشّمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾:

﴿فَجَعَلْنَا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والتّعقيب؛ جعلنا: صيرنا، والضّمير يعود إلى الله، وملائكته.

﴿عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾: عاليها: هاء الضّمير تعود إلى قرى قوم لوط (المؤتفكات)؛ أي: اجتثت قراهم الخمسة؛ أي: اقتلعت من الأرض، ثمّ رفعت إلى السّماء، ثمّ قُلبت قراهم عاليها سافلها؛ أي: انقلاباً تاماً، وهوت على الأرض.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: على قوم لوط بعد قلب قراهم أمطرنا عليهم حجارة من سجيل.

﴿عَلَيْهِمْ﴾: أي: على قوم لوط.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجر؛ أي: لا يعلم كنهه إلا الله. قد تكون مادة تشبه ما ينتج عن تفجر بعض الأجرام السّماوية؛ مثل: الاستروئيد، والّتي تسقط على الأرض أحياناً.

أي: عبارة عن شظايا تنتج عن انفجار نجوم صغيرة نيازك تنفجر عندما تصطدم بالغلاف الأرضي، ويطلق عليها استروئيد، وتسقط على الأرض غالباً في البحار، والمحيطات؛ تسمّى حجارة من سجيل، أو حجارة من طين، أو سجيل منضود؛ أي: صخور متفتتة.

ففي هذه الآية سجيل، وفي سورة الذّاريات، الآية (٣٣): ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾، وفي سورة هود، الآية (٨٢): ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾؛ منضود: متتابع في النّزول من النّضد: وهو وضع الشّيء بعضه على بعض.

[٧٥] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِي﴾: في: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة للبعد؛ ما صنعنا أو حل بقوم لوط من الهلاك، والدّمار، والمطر عليهم بحجارة من سجيل... وغيرها.

﴿لَآيَاتٍ﴾: اللام: للتوكيد؛ آيات: جمع آية، والآية: علامة، أو دلالة قاطعة، أو بينة؛ الآيات منها نجاة آل لوط، وجعل عاليها سافلها، وإنزال المطر من سجيل منضود.

﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ المتوسمين: جمع متوسم: وهو الّذي عنده قدرة على الفراسة، أو النّاظر في السّمة الدّالة على الشّيء، والتّوسم: يعني: النّظر بتفكر، وحكمة؛ للكشف عن مكنون النّفوس، وبواطنها؛ أي: التّوصل إلى معرفة بعض الحقائق، والأمور الخفية عن النّظر؛ فالمتوسمون: المعتبرون النّاظرون، المتفكرون في عظمة الله سبحانه، وعلى طلاقة قدرته.

[٧٦] ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾:

﴿وَإِنَّهَا﴾: إن: للتوكيد قرى لوط.

﴿لَبِسَبِيلٍ﴾: اللام: لام الابتداء، أو التوكيد. لبطريق مبين، واضح، مُعْلم؛ على طريق بين مكة والشّام، طريق ثابت؛ أي: لا يخفى على المسافرين المارين بها.

[٧٧] ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فِي ذَٰلِكَ﴾: أي: لما حدث لقوم لوط من الهلاك، والدّمار.

﴿لَآيَةً﴾: دلالة بينة الآثار هي آية واحدة.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ المؤمنين: أي: ينتفع بها المؤمنون؛ أي: عظة وعبرة؛ تدل على قدرة الله سبحانه، وأن عذابه هو العذاب الأليم، أو أخذه إذا أخذ القرى، وهي ظالمة: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

[٧٨] ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾:

هذه هي القصة الثالثة؛ الأولى: كانت قصة: آدم وإبليس، والثّانية: إبراهيم ولوط، والثّالثة: أصحاب الأيكة.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾: الأيكة: الأشجار الملتفة المتشابكة، الكثيرة الأغصان؛ أرسل الله تعالىٰ شعيب عليه السلام إليهم، وكانوا بقرب مدين، وكثير من المفسرين يقولون: أنّ مدين، وأصحاب الأيكة هما أمتان مختلفتان بُعث إليهما شعيب عليه السلام، ومن المفسرين من يظن أنّ مدين، وأصحاب الأيكة هما أمة واحدة، والأرجح: هو القول الأول.

﴿لَظَٰلِمِينَ﴾: اللام: للتوكيد؛ ظالمين: لأنّهم أشركوا، وكذبوا شعيباً، أو كانوا لا يؤمنون بالمكيال، والميزان، وعاثوا في الأرض فساداً.

[٧٩] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: من أصحاب الأيكة بعذاب يوم الظُّلة إنّه كان عذابُ يوم عظيم [الشعراء:١٨٩].

﴿مِنْهُمْ﴾: تعود علىٰ أصحاب الأيكة، وقرىٰ قوم لوط (المؤتكفات).

أو: تعود إلىٰ أصحاب الأيكة، وقوم مدين.

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: لبإمام: اللام: للتوكيد؛ الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ إمام: طريق، وشبه الطريق بالإمام؛ لأنّ المسافر يأتم به، أو يهتدي به؛ حتّىٰ يصل الموضع الّذي يريده.

﴿مُّبِينٍ﴾: واضح، ظاهر للعيان؛ لبطريق مبين يسلكه النّاس في سفرهم من الحجاز إلىٰ الشّام.

[٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

هذه هي القصة الرّابعة في السّورة.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾: هم قبيلة ثمود (قوم صالح)، وسموا أصحاب الحجر:

عاداً الثانية؛ لأنّهم كانوا يسكنون في منطقة الحجر (واد بين الشّام والمدينة المنورة)، واقعة في الأردن.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: كان نبيهم صالح من الأنبياء العرب، وهم كذبوا صالح، وجاء بصيغة الجمع؛ ليدل على أن تكذيب أحد الرّسل يمثل تكذيب لكلّ الرّسل؛ لأنّ رسالتهم واحدة أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

[٨١] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: أي: أريناهم آياتنا، والآيات البينات، والدّلالات، وتتضمن المعجزات الدّالة على النّبوة، أو الآيات الكونية، أو الآيات التشريعية، ومنها: آية النّاقة؛ ناقة الله، وهي وإن كانت آية واحدة؛ فهي تمثل الكثير من الآيات، والعبر؛ مثل: خروجها من الصّخرة، وعظم خلقها، وفصيلها، وكثرة لبنها.

﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: لم يقبلوا بتلك الآيات، وكذبوها، وأنكروها غير مبالين، ولا يتفكرون بها.

[٨٢] ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾:

﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: يحفرون في الجبال، وينقبون الجبال؛ لكي يبنوا لهم بيوتاً فيها؛ لكي يأمنوا شر الأعداء، ولأنّ الخيام كانت لا تقيهم الأمن.

﴿مِنَ﴾: بعضية؛ أي: بعض الجبال؛ أي: قاموا ببناء بعض البيوت من الجبال.

﴿ءَامِنِينَ﴾: مطمئنين غير خائفين.

أمّا الفرق بين هذه الآية، وآية الأعراف رقم (٧٤): ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: كان هذا في المرحلة الأولى؛ حيث كان الكلّ يحاول أن يبني من الجبال

بيوتـاً، وحركة البناء مزدهرة، ثـمّ قلت، وقل النّحت؛ فجاءت الآية في سـورة الحجر؛ لتصور لنا هذه الحالة الأخيرة.

[٨٣] ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٧٣) من نفس السّورة.

بعد أن عقـروا النّاقة، وعتوا عن أمر ربهم، وتمادوا في التّحدي، وقالوا: يا صالح آتنا بما تعدنا إن كنت من المرسـلين؛ عندها قـال لهم صالح: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾: أهلكتهم، وقضت عليهـم الصّيحة. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون، آية (٤١).

وقت دخـول الصّباح؛ فلم تنفعهـم حصونهم، وبيوتهـم، وتحميهم من العذاب.

[٨٤] ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾:

﴿ فَمَآ ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ ما: النّافية.

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾: ينفعهم، أو يمنعهم، أو يحميهم من العذاب ما يكسـبون من الأموال، وبناء القصور، والزّروع.

﴿مَّا﴾: اسـم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية، وما: أشـمل وأعم من الّذي.

﴿يَكْسِبُونَ ﴾: من الأموال، والبناء، ونحت الحصون، والبيوت، والزّروع. ولم يقل ما كسـبوا، وجاءت بصيغة المضارع للدلالـة علىٰ حكاية الحال إبدال الماضي بالمضارع لإحضاره أمام العين كأنك تراه الآن لشدة إتقان ما صنعوا من الجبال بيوتاً.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: ارجع إلىٰ سورة إبراهيم، آية (١٩)؛ للبيان.

أي: لم نخلق السّموات، والأرض وما بينهما باطلاً، ولا عبثاً، ولهواً.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أداة حصر؛ بالحق. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم، آية (١٩)؛ للبيان.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلسَّاعَةَ﴾: ساعة تهدم النّظام الكوني.

﴿لَءَاتِيَةٌ﴾: اللام: لام التّوكيد أيضاً؛ آتية: قادمة، وآتية فيها معنىٰ المجيء بسهولة، وذلك لأنّها لم تحدث بعد. ارجع إلىٰ سورة طه آية (١٥) للبيان، والمقارنة مع الآيات المتشابهة؛ لآتية كي تجزىٰ كلّ نفس بما كسبت، أو ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم:٣١].

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾: الصّفح: هو ترك العقوبة، وترك اللوم، وعدم التّذكير بما حدث، والصّفح: أبلغ من العفو؛ أي: اصفح يا محمّد ﷺ عمن أساء إليك بالحلم، والعفو، وترك اللوم.

[٨٦] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد علىٰ كمال العلم، والخلق.

﴿ٱلْخَلَّقُ﴾: صيغة مبالغة للخلق: فهو خالق كلّ شيء، وكثير الخلق.

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: صيغة مبالغة للعلم، واسع العلم، عليم بأحوال خلقه، وأحوالهم، وأعمالهم.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿ءَاتَيْنَٰكَ﴾: الإيتاء: عطاء مع إمكانية استرداد العطاء؛ أي: ليس فيه تملك، والإيتاء: أعم من العطاء، ويشمل الأشياء الحسية، والمعنوية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ للبيان.

﴿سَبْعًا﴾: أي: الفاتحة (فاتحة الكتاب)، وقيل: أم الكتاب، وهي سبع آيات بما فيها بسم الله الرحمن الرحيم؛ فهي أول الآيات السبع.

﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾: من: بعضية.

﴿ٱلْمَثَانِى﴾: سمّيت المثاني؛ لأنّها تثنى؛ أي: يُعاد قراءتها، وتكرر في كل ركعة، والمثاني: مشتقة من الثّناء (الحمد)؛ أُثني بها على الله إذ جمعت الحمد، والتّوحيد.

﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: هذا يسمى عطف العام (وهو القرآن العظيم) على الخاص، وهو السّبع المثاني، وفائدة ذلك التّوكيد على أهمية السّبع المثاني.

[٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

بعد أن بين الله ﷻ لنبيه محمّد ﷺ، وبالتّالي لأمته: أنّه أتاه السّبع المثاني، والقرآن العظيم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وهو إيتاء للمؤمنين أيضاً، وهو

إيتـــاء عظيم، وكافٍ، وينبغي معه عدم النّظر والالتفات، أو الطموح، والرغبة إلىٰ ما عند غيرك من متاع، وزينة، ومال.

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أي: أصنـــاف من الكفار، أو المشـــركين، أو الأغنيـــاء من متاع الحياة الدّنيا، وزينتها، وزخارفها، ومالها، وذهبها؛ لأنّه متاع زائل، وأمّا السّـــبع المثاني، والقرآن العظيم: فهو متـــاع دائم، وباق، وهو المتاع الحقيقي.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: لا تذهب نفسك عليهم حسرات؛ لعدم الاستجابة لك، ورفضهم الدّخول في الإسلام، والإيمان فهم الّذين اختاروا لأنفسهم ذلك.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: وخفـــض الجنـــاح: كناية عن ليـــن الجانب، والتّواضع، والرّفق بالّذين استجابوا لك من المؤمنين، وكن كالطّائر الّذي يخفض جناحيه إلىٰ نسله؛ للرعاية، والحماية.

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾:

أي: أعلم قومك:

﴿وَقُلْ﴾: لهم.

﴿إِنِّىٓ أَنَا﴾: للتوكيد: النّذير المبين.

﴿ٱلنَّذِيرُ﴾: المنذر؛ الإنذار يعني: الإعلام مع التّحذير، والتّخويف: النّذير لهؤلاء الّذين أعرضوا، وتولوا عن الإيمان، وكذلك لكلّ النّاس.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾: البين؛ الإنذار لكلّ واحد، وهذا الإنذار لا يحتاج إلىٰ تبيان؛ لأنّه واضح من عمل صالحاً فلنفســـه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد، وويل للمشركين، والكافرين من عذاب يوم أليم.

[٩٠] ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾:

أي: كما آتيناك سبعاً من المثاني، والقرآن العظيم؛ آتينا، أو أنزلنا التّوراة، والإنجيل علىٰ المقتسمين؛ أي: اليهود، والنّصارىٰ، كما روي عن ابن عبّاس ﷺ، أو كما آتيناك سبعاً من المثاني، والقرآن العظيم؛ أنزلنا علىٰ كفار مكة.

وسموا المقتسمين: فإذا كانوا هم اليهود، والنّصارىٰ كما روي عن ابن عباس؛ لأنّهم اقتسموا القرآن؛ فجعلوه أقسام ما يوافق التّوراة، والإنجيل، أو آرائهم حقاً، وما يخالفه باطلاً، أو آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

وأمّا إذا كان يقصد بالمقتسمين كفار مكة قاله قتادة، وغيرهم من الكفار الّذين سماهم مقتسمين؛ لأنّهم قالوا: إنّ القرآن سحر، أو شعر، أو أساطير الأولين، أو مفترىٰ، أو كانوا يقتسمون طرق مكة قاله ابن السائب، كما كان يفعل الوليد بن المغيرة يأمر أنصاره بالوقوف في شعاب مكة؛ ليصدوا كلّ من يدخل مكة عن الدّخول في الإسلام، أو الإيمان بمحمّد؛ فيقولون: هو شاعر، أو مجنون، أو كاهن... وغيرها.

❖❖❖

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٢٧

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

سورة الحجر [الآيات ٩١ - ٩٩]

[٩١] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول، ويعود على المقتسمين الّذين جعلوا القرآن عضين؛ فيمكن تعريف المقتسمين: بأنّهم هم الّذين جعلوا القرآن عضين.

﴿عِضِينَ﴾: من عضيت الشّيء؛ أي: فرقته، وجعلته أجزاء؛ كلّ فرقة عضّة، أو عضين: جمع عضَه؛ بمعنى: الكذب، والبهتان؛ أي: جعلوا القرآن شيء مفترى، وأكاذيب، وأساطير الأولين أُمْليت على محمّد ﷺ، والمعنى يحتمل كلاهما معاً؛ أي: صيروا القرآن أجزاء، وقطع، وأكاذيب، أو أساطير الأولين.

[٩٢] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿فَوَرَبِّكَ﴾: الفاء: استئنافية، وربك: الواو: واو القسم؛ يقسم الرّب سبحانه بصفة الرّبوبية، والقسم هنا يفيد شدة الوعيد، أو التّوكيد.

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التّوكيد.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: للتوكيد أيضاً؛ فلا يفوت أحدٌ من هؤلاء الّذين جعلوا القرآن عضين، والسّؤال هنا سؤال توبيخ لهم، وتقريع، وليس سؤال استفهام.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاوزة، والمباعدة؛ ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي، أو مصدرية.

﴿كَانُوا۟﴾: في الدّنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون؛ يقولون؛ أي: يفترون على القرآن، ورسول الله ﷺ من الباطل، والأكاذيب، ويفعلون: بمنع النّاس وصدهم عن الدّخول في الإسلام، والإيمان بالله ورسوله، ويعبدون من دون الله تعالىٰ ما لم ينزل به سلطاناً.

[٩٤] ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿فَاصْدَعْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ اصدع: من صدع، ويقال صدع بالحجة؛ أي: تكلم بها جهاراً بما أنزل الله إليك، وأعلن، واجهر بالدّعوة، وقم بتبليغها إلىٰ كلّ فرد، وأظهر دينك، وادعوهم إلىٰ التّوحيد، والإيمان بالله، ورسوله؛ فقد انتهىٰ زمن الإسرار بالدعوة والخوف من المشركين.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ ما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي؛ تؤمر به، أو مصدرية.

﴿تُؤْمَرُ﴾: بما أنزل الله إليك، وأمرك به؛ من قول، أو فعل.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: وأعرض: من الإعراض؛ أي: لا تبال بهم، ولا تهتم بما يقولوه، أو يفعلوه، ولا تلتفت إليهم.

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾: مثل مشركي مكة، أو غيرهم، وهم الّذين جعلوا لله شركاء الجن، والإنس.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾:

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿كَفَيْنَاكَ﴾: شرَ المستهزئين؛ فلا تحتاج إلىٰ مساعدة، أو نصر من أحدٍ؛ أي: توليناك، أو تولينا أمرك؛ فلا يصلون إليك بسوء.

﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾: قيل: كانوا جماعة ذوي شوكة، وقوة من مشركين مكة عددهم خمسة، وقيل: سبعة؛ أمثال: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب.

والمستهزئين: جمع مستهزأ، والاستهزاء: هو التّحقير، والاستخفاف، أو ذم الآخرين، أو تصغير قدر الآخر، أو الشّيء، وأهميته.

[٩٦] ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾:

أي: المستهزئين.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذّم، والتّحقير.

﴿يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: أي: المستهزئين الّذين يجعلون مع الله إلهاً آخر؛ أي: أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وجعلوا له شركاء، واستهزؤوا بالقرآن، وبالرّسول.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ سوف: حرف للاستقبال؛ يفيد التّراخي في الزّمن.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمرهم في الدّنيا، وفي الآخرة، وقيل: أصابتهم الآفات، والأمراض المختلفة، وماتوا شر ميتة، وفي الآية تهديد، ووعيد للمشركين، والمستهزئين بدين الله ورسوله ﷺ.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التّوكيد.

﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ﴾: أنّ: للتوكيد، والكاف: للمخاطب، وهو رسول الله ﷺ.

﴿يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾: ضيق عارض لا يدوم طويلاً. ارجع إلى الآية (١٢) من سورة هود؛ للبيان.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي يقولون، وما: أوسع شمولاً من: الّذي.

﴿يَقُولُونَ﴾: من الطّعن، والتّكذيب؛ مثل قولهم: كاهن، ساحر، مجنون، مفتر، أو يعلمه بشر.

أو قولهم: لولا أنزله إليه ملك، لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم.

لولا أنزل عليه كنز، أو جاء معه ملك، لولا يأتينا بآية.

يقولون: ولم يقل بما قالوا: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدد، وتكرار قولهم، وأنّهم لم ينتهوا بعد، أو لحكاية الحال؛ لعظم ما يقولون، وكأنه يحدث الآن.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: فسبح: الفاء: للتوكيد؛ سبح: من التّسبيح، ومعناه: الصّلاة، وتنزيه الله سبحانه ذاته، وصفاته، وأسمائه من كلّ ما لا يليق بجلاله، وكماله سبحانه من النّقائص في الذّات، والصّفات، والأفعال.

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: وبحمده، والثّناء عليه، والشّكر على نعمه؛ أي: تنزيه مصاحب بالحمد، فالتّسبيح، والحمد علاج لضيق الصّدر، والهم، والحزن.

﴿وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾: وكن من المصلين.

﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: جمع ساجد، والسّجود يعني: الصّلاة، والسّجود: هو قمة الخضوع لله تعالىٰ، وأقرب ما يكون العبد من ربه.

[٩٩] ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾:

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾: ما دمت حياً، والعبادة تشمل كلّ قول طيب، وعمل صالح، وتشمل بضع وسبعون شعبة. ارجع إلىٰ سورة النحل، آية (٧٣)، والأنبياء، آية (١٠٦)؛ للبيان.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية؛ يعني: نهاية الغاية.

﴿يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾: هو الموت، واليقين: العلم بالحق، وليس هناك غيره، والحق: هو الأمر الثّابت الحق الّذي لا يتغير، كما قال عيسىٰ بن مريم عليه السلام: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣١].

❖ ❖ ❖

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن
مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نصف الحزب ٢٧

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

سورة النّحل [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (١٦)، وترتيبها في النزول (٧٠)، نزلت بعد سورة الكهف، وتسمى سورة النِّعم؛ لكثرة ما ذكر الله فيها من النِعم التي لا تعد ولا تحصى على عباده، كما ذكر القرطبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿أَتَىٰ﴾: دنى، واقترب؛ أي: شارف على الوقوع.

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: أي: السّاعة، أو العذاب، وأتى: فعل ماض، والسّاعة لم تقم بعد؛ فالله سبحانه أقام الماضي مقام المستقبل؛ لأنّ الزّمن عنده سواء؛ أيْ: واحد؛ لأنّه سبحانه خالق الزمان، والمكان، وإذا قال الحق سبحانه أتى فالأمر واقع لا محالة، واعتبره وقع وحصل للدلالة على التقنين أو بمنزلة ما مضى، قال سبحانه: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾، ولم يقل: جاء أمر الله؛ لأنّ هناك فرقاً بين أتى، وجاء.

أتى: فيها معنى السّهولة في الإتيان، وجاء: فيها معنى المشقة، والصّعوبة في المجيء، وكون السّاعة، أو العذاب قادم، ولم يحدث بعد؛ فقد استعمل أتى، ويوم يحل، أو ينزل العذاب، أو تقوم السّاعة يقول جاء، وهذا تهديد للكفار، وإعلام بقرب هلاكهم، والله ﷻ قادر على أن يأتي بالفعل كما يشاء.

﴿فَلَا﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: الهاء: هنا تعود على يوم القيامة، أو تعود على عذاب الله سبحانه، والاستعجال: هو طلب الحدث أو الشيء قبل وقته، وهو: مذموم غالباً، نقيض العجلة الأناة وهي محمودة.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: فالله سبحانه نهى عن الاستعجال؛ فقال: فلا تستعجلوه، ثمّ قرن النّهي بالتّنزيه له عن الشّركاء؛ فقال ﷻ: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تعني: التّنزيه الكامل لذاته، وعمّا لا يليق بجاهه؛ فلا ذات مثل ذاته، ولصفاته، وأفعاله عن أيِّ شيء يوجد في البشر، وغير البشر، وعن الشّرك، والولد، والعجز، والنّقص؛ سبحانه: مصدر سبح.

﴿عَمَّا﴾: مركبة من عن: تفيد المجاوزة، والمباعدة، وما: اسم موصول؛ بمعنى الّذي، أو مصدرية.

﴿يُشْرِكُونَ﴾: به من الآلهة، والأصنام، والولد، والصّاحبة، والشّمس، والقمر، والكواكب، والأولياء، والأنبياء، والملائكة.

يشركون: جاءت بصيغة المضارع بدلاً من أشركوا؛ لأنّ شركهم بالله يتجدَّد، ويتكرَّر، ولا ينتهي، ويتوقف.

ولا بُدَّ من الانتباه كيف توالى نزول هذه الآيات الّتي تتعلق بيوم القيامة، والسّاعة.

١ - فقد نزلت الآية (١) من سورة القمر أوّلاً: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ ترتيب نزول سورة القمر (٣٧).

٢ - ثمّ نزلت الآية (١) من سورة النّحل ثانياً: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ترتيب نزول سورة النّحل (٧٠).

٣ - ثمّ نزلت الآية (١) من سورة الأنبياء ثالثاً: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ترتيب سورة الأنبياء (٧٣).

وكأنه سبحانه يقول: اقتربت السّاعة، اقترب أمر الله (العذاب)، اقترب الحساب: بالترتيب.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾:

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: يُنزل الله ﷻ الملائكة؛ أيْ: جبريل عليه السلام، وسمِّي باسم الجمع؛ لعظم مقامه، وسمِّي بالرّوح الأمين.

﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: بالروح: الباء: للإلصاق؛ والرّوح: يعني: الوحي، أو القرآن، وسمِّي روحاً؛ لأنّ فيه حياة القلوب؛ فالقرآن هو الرّوح الحقيقية للمؤمن، إضافة إلى روحه الّتي بين جنبيه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، وبذلك نتبيَّن أنّ للمؤمن روحين، وليس روحاً واحدة.

﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: من: ابتدائية.

﴿أَمْرِهِۦ﴾: بأمر الله تعالى، وإرادته، وإذنه؛ أيْ: نزول الوحي، أو نزول الملائكة لا يكون إلا بأمر الله تعالى، وكما قال تعالى على لسان جبريل عليه السلام: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم:٦٤]، وكل ما ينزل من أمر الله فيه حياة للنفوس.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾: على: تفيد العلو، والسّمو، والمشقة.

﴿مَن﴾: بعضية.

﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾: يعني: الأنبياء، والرّسل.

﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد: التّعليل، والتّوكيد.

﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: من الإنذار: وهو الإعلام، والتّحذير، والتّخويف؛ أنذروا المشركين، والعاصين، وغيرهم من النّاس، أو النّاس كافة بالقرآن، وبالإرشاد، والدعوة.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: أنّه: تفيد التّوكيد.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾: الفاء: للتوكيد؛ اتقون: من التّقوىٰ؛ أيْ: أطيعوا أمري، وتجنبوا ما أنهاكم عنه، أو احذروا عقابي، وعبادة غيري، ثمّ ذكر سبحانه الأدلة علىٰ كمال قدرته، وعظمته، ووحدانيته، وأنّه الإله الواحد الّذي يستحق العبادة، وأنّه واجب الوجود.

ولم يرد في القرآن: فاتقوني (بياء المتكلم)؛ لأنّ التقوىٰ: لا تكون إلا لله وحده، ولأنّه لا يستطيع أحد أن يتقي الله حق تقاته. تتقون وردت في (١٩) آية، يتقون في (١٨) آية.

[٣] ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٢-٢٩) من سورة البقرة، والآية (٣٠) من سورة الأنبياء، وسورة فصلت، آية (٩-١٢)، وسورة الأعراف، آية (٥٤)؛ للبيان.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ خلق بتقدير وحساب لا يتغير، ولم يشاركه فيه أحد، والحق: هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير، ولا يتبدل؛ أيْ: بالدقة الفائقة، والقوانين الثّابتة الّتي تحكم الكواكب، والنّجوم، والمجرات بحيث كلٌّ في فلك يسبحون لا تصطدم ببعضها، ولا يتغيَّر بعدُها عن بعضها رغم اختلاف كتلها، وحركتها منذ خلقت منذ (١٣،٥ مليار سنة)، ولم تخلق عبثاً، ومن دون غاية، وفائدة.

﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزه، وتقدس عمّا يشركون. ارجع إلىٰ الآية (١) من نفس السّورة؛ للبيان.

[٤] ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿خَلَقَ﴾: الخلق: الإيجاد؛ ابتدأ بتقدير، وحساب الخلق يكون من العدم، أو من شيء، أو من بعض الشّيء.

﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: اسم جنس؛ الإنسان: مشتق من الإنس؛ الّذي يعني: فيه عنصر الألفة، والمحبة.

﴿مِن﴾: من: ابتدائية.

﴿نُّطْفَةٍ﴾: وهي نطفة الرّجل؛ أي: الحيوان المنوي، ونطفة المرأة: البويضة.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: تفيد الإسراع؛ تدل علىٰ التّعقيب، والمباشرة في الإسراع في الخصومة ما إن يبلغ سن البلوغ؛ حتّىٰ يبدأ بالخصومة، أو هي فاء السّببية؛ أي: خَلْقه كان سبباً للخصومة، أو تعني: التّوكيد؛ إذا: الفجائية.

﴿هُوَ خَصِيمٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿خَصِيمٌ﴾: كثير الخصومة، أو شديد الخصومة، والجدال، ومنكر للحقائق، أو تعني: بدلاً من أن يكون شاكراً لربه على نعمه عليه كان خصماً عنيداً جاحداً لنعمه.

﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر، وبين الخصومة؛ أيْ: خصومته، وجحوده، وعناده، وجداله لا يخفى على أحد، وهي خصومة ظاهرة لا تحتاج إلى من يُبينها، أو إلى برهان.

[٥] ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾:

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: وهي ثمانية أزواج؛ أي: الذّكر والأنثى من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الغنم اثنين، ومن الماعز اثنين.

﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾: لكم: اللام: لام الاختصاص، والتّعليل لكم خاصة، وتقديم الأنعام؛ للحصر، والاهتمام بكم.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: تكرار لكم: يفيد التّوكيد؛ لكم فيها دفء: حيث يصنع من أشعارها، وأوبارها، وأصوافها الملابس، والفرش، والأغطية للتدفئة. قدم الدفء، ثم عطف العام (المنافع) على الخاص وهو الدفء؛ لأن الدفء من أعظم المنافع التي لا ينتبه إليها الكثير من الناس.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: مثل: الرّكوب، والحراثة، والتّجارة بها، والبيع، والشّراء، والرّبح.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: ولم يقل: وتأكلون منها؛ إنما قال: ومنها تأكلون:

قدَّم الجار، والمجرور منها؛ ليدل على أنّ الأكل هو الأصل؛ أيْ: سخرها لكم أصلاً؛ لتأكلوا منها اللحم، والألبان، والشّحوم.

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾:

﴿وَلَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لكم: خاصة.

﴿فِيهَا جَمَالٌ﴾: أيْ: هي جميلة الصّورة، والمنظر، والتّركيب، كما قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧].

﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: حين: ظرفية زمانية.

﴿تُرِيحُونَ﴾: حين تردونها عشية إلى مراحها؛ أيْ: حظيرتها الّتي تأوي وتبيت فيها، أو تروح عشية إليها، والمراح: هو مكانها الّذي تأوي إليه، ويسمَّى مراحها.

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تكرار حين: يفيد التّوكيد.

﴿تَسْرَحُونَ﴾: تخرجونها في الصّباح إلى مسارحها؛ أيْ: مراعيها؛ لترعى، وتسرح؛ أيْ: تخرج لترعى، وتأكل.

❖ ❖ ❖

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۗ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

سورة النّحل [الآيات ٧ - ١٤]

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: جمع ثقل، والثّقل: هو الحمل الثّقيل؛ أي: الأحمال الثّقيلة.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾: بعيد.

﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾: لم: حرف نفي.

﴿بَٰلِغِيهِ﴾: أيْ: واصلين إليه.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾: شق: مشتقة من المشقة؛ أيْ: بجهد الأنفس، والمشقة، والتعب، والإعياء.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: لرؤوف: اللام: للتوكيد؛ رؤوف: من الرّأفة، والرأفة: أشد وأبلغ من الرّحمة، وأخص؛ فالرحمة: تكون للمؤمن، وغير المؤمن، والرأفة: فقط للمؤمن.

[٨] ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾: قدَّم الخيل: لأهميتها، والتّشريف. وقد يسأل سائل: لماذا لم يذكر سبحانه الجمال، أو الإبل؟ لأنها تدخل في

الأنعام، والسؤال الثاني: ما هو الفرق بين الحمير والحمر المستنفرة كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:٥٠-٥١]؟ الحُمر: تعني الحمر الوحشية، والحمير: للأهلية.

﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿وَزِينَةً﴾: أيْ: جمال، ولم يذكر ولتأكلوها.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ويخلق: جاء بصيغة المضارع؛ للتّجدد، والتّكرار، ويخلق ما لا تعلمون كُنْهَهُ مثل: السيارات والطائرات والقطارات والسفن، ومركبات الفضاء، والأقمار الاصطناعية، والطائرات المسيرة.

﴿مَا﴾: اسم مصول بمعنىٰ: الذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿لَا﴾: النّافية.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾: أيْ: تفضلاً من الله وكرماً منه.

﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾: وعلىٰ الله تبيين السّبيل: الطريق السهل المستقيم الموصل إلىٰ الغاية، أو القصد؛ أيْ: تبين الطريق الموصل إلىٰ الغاية، وهي التّقوىٰ، ورضوان الله، والحق، والجنة، أو طريق قصد، أو قاصد؛ إذا قصد بك إلىٰ ما تريد، وتبيان السّبيل يكون بإرسال الرّسل، والأنبياء، وإنزال الكتب، والوحي؛ للهداية إلىٰ الإسلام.

﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾: السّبل: اسم جنس، ومنها جائر: أيْ: من السّبل، أو من السّبيل (تؤنث وتذكر) ما هو منحرف، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لو: شرطية وليست للتمني.

﴿شَآءَ﴾: المشيئة: مُلزمة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأما الإرادة: فهي نوعان: إرادة إلـزام، وإرادة خيار، وفي هذه الآية تعني لـو أراد إرادة إلزام لفعل، ولكنه سبحانه لم يريد وترك لهم الخيار.

﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، والتّعليل.

﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: هداية قسرية، ولكن لم يشأْ ذلك، وترك لكم الخيار لكي تسئلوا عما كنتم تعملون.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد. قد يسـأل سـائل لماذا وقعت هذه الآية في خضم الآيات التي جاءت في سـياق تعـداد النعم الكونية والإنسـانية؟ لأن المقاصد الروحيـة مثـل الهداية لها أهمية كبرىٰ يجب أن لا ننسـاها، بـل هي أعظم من المقاصد البدنية والمعيشية.

[١٠] ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾: هو ضمير فصل يفيد التّوكيد، والحصر؛ أيْ: هو وحده الّذي أنزل من السّماء ماءً.

﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أيْ: من السّـحاب؛ أي: السّـحب الرّكامية. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون، آية (١٨)، وسورة النور، آية (٤٣)؛ للبيان.

وقوله: أنزل من السّـماء ماءً، ولم يقل: من السّحاب؛ لأنّ تعريف السّماء: هي كلّ ما يعلو الإنسـان يسمّىٰ: سماء، والسّحاب تعلو الإنسان؛ فالسّماء تعني: السّحاب في هذه الآية.

وكما قـال تعالـىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور:٤٣].

﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾: ارجع إلىٰ سورة ق، آية (٩)؛ للبيان.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة.

﴿مِّنْهُ﴾: من: بعضية.

﴿شَرَابٌ﴾: يعني: الماء العذب، وتقديم منه علىٰ الشّراب: يفيد الحصر، والاهتمام؛ أيْ: شرابكم أصله الماء؛ أمّا باقي الماء فيبقىٰ مستودَعاً، ومخزَّناً. ارجع إلىٰ سورة المؤمنون، آية (١٨)؛ للبيان.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾: ومن الماء ما يستخدم لسقاية الشّجر، والشّجر منه ما له ساق، ومنه ما ليس له ساق، وهو ما ترعاه الماشية. وقيل: الشجر يطلق علىٰ النبات ذي الساق الصلبة ويطلق علىٰ مطلق العشب والكلأ، وقال الزجاج: كل ما نبت علىٰ الأرض فهو شجر.

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: أيْ: ترعون دوابكم، ومواشيكم، والسّوم: الرّعي، وسامت الماشية: إذا رعت حيث شاءت، وتقديم: ومنه شجر؛ أيْ: أصل الشّجر الماء؛ فلولا الماء؛ لما نبت الشّجر.

[١١] ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾: بالماء، ينبت: فعل مضارع؛ يدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار.

﴿لَكُمْ﴾: خاصة، اللام: لام الاختصاص.

﴿ٱلزَّرْعَ﴾: يشمل الحب؛ مثل: القمح، والرّز، والشّعير، والذّرة.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ﴾: ثمر الزّيتون بأنواعه، وألوانه المختلفة.

﴿وَٱلنَّخِيلَ﴾: النّخل: اسم جنس؛ يضم النّخيل؛ فالنّخيل: جزء من النّخل، أو قسم من النّخل، ومنه المثمر، وغير المثمر.

﴿وَٱلْأَعْنَٰبَ﴾: بأنواعه، وأشكاله المختلفة.

وذكر هذه الأنواع الأربعة الزّرع، والزّيتون، والنّخيل، والأعناب؛ لأنّها من أهم ما يحتاجه الإنسان في غذائه.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ومن: هنا استغراقية.

﴿كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أيْ: ثمرات الأرض على اختلاف أصنافها، وأنواعها؛ مثل: الرمان، والتين، والتفاح، والبرتقال... وغيرها، وقد أحصى العلماء أكثر من ألفين نوع.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة للبعد؛ يشير إلى إنزال الماء، وإخراج الشّجر، وإنبات الزّرع، والزّيتون، والثّمرات، والنّخيل، والأعناب.

﴿لَءَايَةً﴾: اللام: للتوكيد؛ آية: دلالة قاطعة، وبيِّنة، أو علامة ظاهرة.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لكي ينظروا إليها، ويدرسوها، ويصلوا إلى النّتيجة.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: التّفكر: هو إعمال العقل في الأخذ بكلّ الدّلائل، والبدائل، وبما أن الثمرات التي تزيد عن (٢٠٠٠) نوع، وكثير منها غير معروفة أو يعلمها الناس فقد أوصى بالتفكير فقال تعالى لقوم يتفكرون للوصول إلى معرفة عظمة وقدرة الخالق ووحدانيَّته، وأنّه هو الخالق، البارئ، المصور، لا إله إلا هو، واجب الوجود؛ الّذي يستحق العبادة، والشّكر على نعمه الّتي لا تعد، ولا تحصى.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ﴾: سخَّر: خلق، وذلَّل الليل، والنّهار. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم، آية (٣٢).

وسخَّر الشّمس والقمر. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم، آية (٣٢)، وسورة يونس، آية (٥)؛ للبيان.

سخَّرها؛ ليؤدِّي كلٌّ وظيفته.

سخَّرها؛ لتستقيم بها الحياة علىٰ الأرض؛ حياة المخلوقات كلّها بما فيها الإنسان حسب ما اقتضت حكمته؛ فالليل: مسخَّر لراحة الإنسان، والنّهار: آية لطلب الرّزق، والسّعي، والعمل، والشّمس، والقمر: للنور، والدّفء، والطّاقة، ومعرفة الزّمن، والحساب، والشّهر، واليوم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٥٤)، وسورة فاطر، آية (١٣)، وسورة يونس، آية (٥)؛ للبيان.

﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾: لها مهمتها في الاهتداء بها في السّفر، ومعرفة الجهات، ولها وظيفة التّزين، والشّهب رجوماً للشياطين... وغيرها.

ونلاحظ أنّه لم يأتِ بالنّجوم معطوفة علىٰ ما قبلها بالنصب، بل رفعها وخصها بجملة جديدة، وذلك لعظمتها، وكثرتها؛ فإن مجرة درب التبانة تحوي أكثر من (٤٠٠ مليار نجم)، وأقرب نجم يبعد عنا (٤،٥ سنة ضوئية). والتسخير الأول (الليل والنهار، والشمس والقمر) واضح، ونشهده كل يوم، أما تسخير النجوم معظمه خفي، ومن ذلك مواقعها الّتي أقسم الله بها؛ فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥-٧٦]. ارجع إلىٰ سورة الواقعة آية (٧٥) لمزيد من البيان.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة؛ للبعد تشير إلى الليل، والنّهار، والشّمس، والقمر، والنّجوم.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام: للتوكيد. لآيات: ولم يقل آية كما في الآيات (١١، ١٣) من نفس السورة؛ لأن الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم آيات متعددة وليست محصورة في آية كونية واحدة، بل آيات متعددة.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: مشتقة من عقل الشّيء؛ أيْ: عرفه بدليله، ومهمته بأسبابه، ونتائجه، وبالتّالي الوصول إلى الحقيقة، وهي أنّ هذه الآيات تكفي لأي عقل أن تدرك على عظمة، وقدرة الخالق، فهو وحده الّذي سخر هذه المخلوقات الكونية؛ لتدل عليه وحده سبحانه أنه الخالق الحق ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل:٢٠].

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية.

﴿ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ذرأ: بث، ونشر بالتّكاثر، والتّوالد؛ أيْ: خلق خلقاً يتكاثر بذاته، وبثهم، ونشرهم في الأرض من إنسان، وحيوان، ونبات، ومن ذكر وأنثى.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾: من بشر، وحيوان، ونبات، وبأنواعه، وأشكاله، وعدده، وعيشه، وموته، وتجدُّده.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: ارجع إلى الآية (١١). آية: لكونها كلها محصورة في الأرض.

﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: أيْ: هي آيات سبق علمها عندكم وهي آيات بينات، فما عليكم إلا أن تذكروها، ولا تنسوها، ولم يقل: لقوم يتذكرون؛ لأنّ هذه الآيات لا تحتاج إلى زمن طويل لتذكُّرها؛ فهي أمام أعينكم بشكل متجدِّد، ومتكرِّر.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: وهو: ضمير فصل؛ يفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التّعظيم.

﴿سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾: ذلَّل، وأخضع البحر؛ للانتفاع منه؛ ليؤدِّي مهمته. والبحر: اسم جنس، وجمعه بحار، وأبحر الّتي تشكل ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية.

﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: لتأكلوا: اللام: لام التّعليل.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾: بعض حيوانات البحر؛ مثل: السّمك، وغيرها من صيد البحر.

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: مثل: اللؤلؤ، والمرجان... وغيرها.

وقدَّم منه: الجار والمجرور؛ للحصر.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: أي: الحلية الّتي تلبسها غالباً النّساء؛ كزينة وبما أنّها زينة للمرأة من أجل زوجها؛ فكأن الزّوج هو الّذي يستمتع بالحلية أيضاً.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: السّفن، والفلك: تطلق على المفرد، والمثنى، والجمع. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢)؛ للبيان.

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: صفة للفلك من المَخْر: هو الشّق يقال مخَرَ الماء: إذا شقها بصوت هادئ تشق الماء شقاً، وقدَّم الفلك على البحر؛ لأنّ الحديث، أو السّياق في وسائل النّقل: الخيل، والبغال، والحمير، والفلك من وسائل النقل، ويخلق ما تعلمون، ولم يقل: وترى الفلك فيه مواخر، كما في الآية (١٢) من سورة فاطر؛ لأنّ السّياق في هذه: هو الحديث عن البحر ذاته، وليس على وسائل النقل.

﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: وزيادة الواو تشير إلى منافع أخرى لم تذكرها الآية؛ مثل: صيد السّمك، والغوص، والسباحة، والرّكوب، ولو قال: لتبتغوا من فضله من دون زيادة الواو؛ لكان المقصود فقط المنافع الّتي ذكرت في الآية فقط، واللام: لام الاختصاص، والتّعليل. من فضل الله: من كرمه، وفضله الفضل يعني: الزّيادة عن الأجر، والجزاء.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تَشْكُرُونَ﴾: المنعم، وهو الله سبحانه على نعمه، ولا تنشغلوا فقط بالنّعمة. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لبيان معنى تشكرون.

❖❖❖

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

سورة النّحل [الآيات ١٥ - ٢٦]

[١٥] ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: الجبال. ألقى: إلقاءً حقيقياً؛ فعندما تثور البراكين تلقي بحممها من الأسفل إلى الأعلى داخل طبقات الأرض، وما إن تندفع من سطح الأرض تعود وتسقط المواد البركانية على الأرض مشكلة الجبال الّتي تمتد داخل الأرض ضعفين، أو أكثر من ارتفاعها على ظهر الأرض؛ فهذه الجبال تلعب دوراً أساسياً في عدم ترنح الأرض، أو الاضطراب، ولا ننسى كتلة الأرض؛ أيْ: لب الأرض المكون من كتلة ضخمة من الحديد غير المنصهر، وقوى الجاذبية، والألواح القارية. لمعرفة الفرق بين ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾، وقوله تعالى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الرعد:٣]. ارجع إلى سورة الرعد آية (٣).

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، وكانت تفسر بـ: لئلا تميد بكم، أو خوفاً أن تميد بكم.

﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾: تميد من ماد يميد؛ أيْ: تضطرب الأرض، أو تميل.

﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾: دائماً يربط الأنهار بالجبال؛ لأنّ الأنهار تنبع من قمم الجبال، ثمّ تنحدر على سفوحها، وما إن تصل إلى الأرض حتّى تشق الأنهار، والوديان، وبعض هذه الأنهار يجف؛ فيشكل السبل؛ أي: الطرق السهلة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعلكم: لعل: للتعليل؛ أيْ: لتهتدوا بها في سيركم على الأرض، وإلى مقاصدكم، ولتهتدوا بها إلى من أوجدها وخلقها لكم.

ما هو الفرق بين قوله تعالى تميد بكم، وتميد بهم؟

تميد بكم: بصيغة المخاطب تأتي في سياق الحديث عن ذكر نعم الله تعالى على النّاس.

أما تميد بهم: بصيغة الغائب فتأتي في سياق الحديث عن قدرة الله تعالى، وعظمته، وخلقه، كما في سورة الأنبياء آية (٣١) ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

[١٦] ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾:

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾: وألقى في الأرض علامات لتهتدوا بها في ظلمات البر، والبحر؛ كالجبال، والأنهار، والطّرق، والأشجار؛ أيْ: مختلف التضاريس الّتي تستعمل كوسائل للهداية للسيارات وللطائرات.

﴿وَبِالنَّجْمِ﴾: الباء: للإلصاق؛ أيْ: بالنّجوم، والنّجم: اسم جنس، ومثال على ذلك الاهتداء بالنّجم القطبي الّذي يتجه إلى الشمال الحقيقي، والذي من معرفة اتجاهه يمكن معرفة الشّرق، والغرب، والجنوب.

﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد. يهتدون بالعلامات الظاهرة؛ أي: هداية ظاهرة كالجبال أو الأنهار أو المدن، وهي هداية عامة، وهناك الهداية الخاصة، أو الهداية القلبية.

﴿يَهْتَدُونَ﴾: بالنّجم، كما في الزّمان القديم، ويهتدون إلى القبلة، أو في أسفارهم، أو أنّ قريش، والعرب آنذاك كانوا هم وحدهم يهتدون بالنّجم، وغيرهم لا يعرفون ذلك، يهتدون بها خاصة في ظلام الليل.

[١٧] ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿أَفَمَن﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ من: للعقلاء.

﴿يَخْلُقُ﴾: وهو الله سبحانه هذه المخلوقات البديعة كالسّموات، والأرض، والماء، والرّواسي، والبحار، والأنهار، والسّبل، والنّجوم، والعلامات؛ أيْ: هذه الآيات الكونية.

﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾: كمن: الكاف: للتشبيه؛ من لا يخلق: أيْ: كالأصنام، والآلهة المزعومة، ورغم أنّ هذه الأصنام، والآلهة لا تعقل استخدم معها حرف (من) للعقلاء؛ لأنّهم لمّا عبدوها وسموها آلهة أجروها مجرى العقلاء؛ فجيء بمن على حسب اعتقادهم الباطل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أفلا: الهمزة للاستفهام الإنكاري؛ ألا: للحثّ، والتّحريض.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: أنّ هذه الآلهة، والأصنام هي حجارة لا تنفع، ولا تضر، ولا تخلق شيئاً، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تشفع، ولا تنطق، وأنتم صنعتموها، ولا تحتاجوا إلى عمق في التّفكير، أو طول زمن؛ لتدركوا الحقيقة، أو تذكرون ولم يقل: أفلا تتذكرون التي تحتاج إلى طول زمن للتذكر؛ لأن قضية الخلق واضحة تخص الله تعالى وحده كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]، وتعودوا إلىٰ رشدكم، والصّواب؛ فقال: تذكرون، ولم يقل: تتذكرون.

[١٨] ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ ﴾: وإن: الواو: استئنافية؛ إن: شرطية تفيد الشّك، والاحتمال في عدٍّ، أو إحصاء نعمة الله.

﴿ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾: لأنّ النّعمة الواحدة تشتمل علىٰ نعم لا تُحصىٰ، ولا تعدُّ، ونِعمة: تعني نِعم لا تحصىٰ، وهناك فرق بين نِعمة بكسر النون، ونَعمة بفتح النون، والتي تأتي في سياق النِعم المنبوذة، أو سياق البطر والشر.

﴿ لَا ﴾: النّافية.

﴿ تُحْصُوهَآ ﴾: الإحصاء: هو العدُّ مع الجمع، والحفظ. ارجع إلىٰ الآية (٣٤) من سورة إبراهيم؛ للبيان، والمقارنة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ لَغَفُورٌ ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ غفور: كثير الغفران يغفر الذّنوب جميعاً مهما تعدَّدت، وكبرت الذنوب.

﴿ رَّحِيمٌ ﴾: صيغة مبالغة من الرّحمة؛ رحيم: كثير الرّحمة؛ رحيماً بالمؤمنين في الدّنيا والآخرة، ولا يعاقبهم علىٰ إنكار نعمهُ الظاهرة، والباطنة، وغفور للذنوب العظيمة، وغفاراً للذنوب المتعددة الكثيرة، وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالىٰ في سورة إبراهيم آية (٣٤): ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ فقد جاءت آية سورة النحل في سياق تعداد النعم على الإنسان وتذكيراً بعفو الله ورحمته، وذلك من أكبر النعم، أما آية سورة إبراهيم جاءت في سياق الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار، ولذلك ختمت بقوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار. ارجع إلى سورة إبراهيم آية (٣٤) لمزيد من البيان والفرق بين نعمة بالتاء المربوطة، ونعمت بالتاء المفتوحة.

[١٩] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾:

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي.

﴿تُسِرُّونَ ﴾: من السّر، والسّر: ما هو تخفيه في نفسك، ولا يعلمه أحد.

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾: إعادة ما: للتوكيد، والفصل بين ما تسرون، وما تعلنون؛ أيْ: كلاً على حِدَةٍ، وتعلنون من العلن، وهو ما تجاهر به، ويكون علناً؛ سواء أهذا العلن كان صادراً من فردٍ، أم جمع غفير الكل يتكلم في آن واحد؛ فهو يعلم كلَّ ما يتكلَّم به عبادُهُ ولو كانوا ملايين الأفراد.

[٢٠] ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾:

﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾: المشركون، والكفار؛ الّذين: اسم موصول يفيد الذم.

﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون الأصنام، والآلهة، ويطلبون منها، ويدعونها للمساعدة، والعون، والشّفاعة.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: من غير الله.

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾: لا: النّافية.

﴿يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾: شيئاً: نكرة؛ أيَّ شيء مهما كان نوعه، وحجمه، وشكله، يخلقون سواء أكان من العدم، أم غيره.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: هم: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أيْ: هم أنفسهم يحتاجون إلى من يخلقهم؛ فكيف يخلقون.

[٢١] ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾:

هذا وصف لهذه الآلهة، والأصنام المصنوعة من الحجارة، وغيرها إضافة إلى كونها لا تخلق شيئاً هي أموات لا تشعر بكم، ولا بدعائكم، وعبادتكم، وكذلك لا تعلم الغيب، ولا أيّان يوم البعث؛ أيْ: غير قادرة على البعث وإحياء الموتى، وإذا دل هذا إنما يدل على سخافة اعتقادكم بعبادة حجر لا يضر ولا ينفع.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾: فكلمة غير أحياء؛ تعني: أموات، فلماذا ذكر ذلك؟ هذا يسمَّى إثبات الشّيء، ونفي ضده، ويفيد التّوكيد.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾: ما: النّافية.

﴿أَيَّانَ﴾: للاستفهام الزّماني، وتختص بالمستقبل، وفيها معنى التّفخيم، والتّعظيم.

[٢٢] ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾:

أيْ: كلّ الدلائل، والبراهين الّتي ذكرت سابقاً تدل على بطلان الآلهة، والأصنام، وتدل على أنّه إله واحد لا شريك، وتثبت وحدانيته سبحانه، ورغم كلّ ذلك استمر المشركون على شركهم، واستمروا على عدم إيمانهم بالآخرة، والبعث، والحساب.

فالإله: يعني: المعبود، والمستحق للعبادة، وهو الّذي يأمر بالتكاليف والذي يجب أن يطاع.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: أيْ: إله لا شريك له، واحد لا يتجزأ، ولا شريك له. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: استئنافية؛ الّذين: اسم موصول.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: أيْ: بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: قلوبهم جاحدة بوجود الله، والبعث، والحساب، ولا تعرف التّوحيد، والإنكار أعم من الجحود، والإنكار يكون للشيء الظاهر، أو الباطن، وقلوبهم منكرة لنعم الله.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: جمع مستكبر: اسم فاعل من استكبر؛ أيْ: رفع نفسه فوق ما تستحق، وعظَّم من شأنه، ولا يكتفوا بذلك الإنكار، بل وهم مستكبرون؛ هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان بربهم، ورسله؛ مستكبرون: جملة اسمية تدل على ثبوت صفة الكبر عندهم، وأنّهم مصرون على شركهم وكفرهم.

[٢٣] ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾:

﴿لَا جَرَمَ﴾: لا: النّافية.

﴿جَرَمَ﴾: لا بد، ولا محالة مشتقة من الجَرْم: القطع، جرم اللحم: قطع اللحم، وهناك من قال: لا جرم تعني حقاً، أو ما يأتي بعد لا جرم دائماً يعتبر حقاً.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ﴾: ما يسرون.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: ارجع إلى الآية (١٩) من نفس السّورة.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: إنّه: للتوكيد؛ إن الله لا يحب المستكبرين: أي: عن الإيمان، والتّوحيد؛ لا يحب الظالمين.

[٢٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية شرطية؛ تفيد: حتمية الحدوث.

﴿قِيلَ لَهُم﴾: قيل: مبني للمجهول؛ لأنّ المهم هنا المقولة، وليس القائل؛ أيْ: سُئلوا.

﴿مَّاذَا﴾: استفهام أشد استفهاماً من ما.

﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: على رسوله محمّد ﷺ.

﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: بدلاً من أن يقولوا: القرآن الكريم، والوحي، أو خيراً. قالوا أساطير الأولين: أيْ: أكاذيب وأباطيل.

﴿أَسَٰطِيرُ﴾: جمع أسطورة؛ أيْ: كتابات قديمة غلب عليها الباطل، والكذب، أو قصص من الأولين، وخرافات.

[٢٥] ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾:

﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ﴾: ليحملوا: اللام: للتعليل، والتّوكيد، وحذف على ظهورهم كما قال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ﴾ [الأنعام:٣١].

﴿أَوۡزَارَهُمۡ﴾: جمع وزر؛ أصل الوزر الحمل على الظّهر، والأزر: هو الظّهر؛ لقوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾؛ أيْ: ظهري، فالأوزار: الآثام والذّنوب؛ أي: شبه الذنوب بالأوزار الثقيلة.

﴿كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: للتوكيد يوم القيامة.

﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾: ومن: بعضية، أو لبيان الجنس؛ أيْ: يحملون مثل أوزار من يضلونهم كاملة.

﴿ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾: أي: الّذين أعرضوا عن سبيل الله، وصدوا، وصرفوا غيرهم، ومنعوهم عن الإيمان، والتّصديق بالقرآن، وبالرّسول ﷺ؛ فهم رؤساء الضّلال سيحملون وزرين: وزر ضلالهم أنفسهم، ووزر إضلالهم لغيرهم.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أيْ: هؤلاء الرّؤساء يضلون من لا يعلم أنّهم يتبعون من هو على ضلال مبين، أو قد تعني: أنّ رؤساء الضّلال يضلون غيرهم جاهلين بعاقبة أمرهم، وما سيحملون من آثام، وذنوب.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: ألا: أداة تنبيه.

﴿سَاءَ﴾: بئس من أفعال الذّم.

﴿مَا﴾: بمعنى: الّذي؛ اسم موصول.

﴿يَزِرُونَ﴾: ما يحملونه من آثام، وذنوب.

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿قَدْ﴾: حرف للتحقيق؛ تفيد التّكثير.

﴿مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: مكر: ارجع إلى الآية (٤٦) من سورة إبراهيم.

مكر الكثير الّذين من قبلهم من قبل كفار مكة؛ مثل: النّمرود، والّذي ألقى بإبراهيم في النّار، وفرعون الّذي حاول قتل موسى... وغيرهم.

﴿مِن﴾: ابتدائية؛ أيْ: ما يحدث لك سبق وحدث مع من سبقك من الرّسل.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: شبّه مكر الماكرين: وهم كفار قريش حين اجتمعوا على قتل رسول الله ﷺ، واختاروا من كلّ قبيلة رجلاً فيضربوه ضربة رجل واحد؛ فيتفرق دمه في القبائل؛

فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره؛ فنجىٰ رسول الله ﷺ من مكرهم «من سيرة ابن هشام»، وأذاقهم وبال مكرهم، أو مكر النّمرود بإبراهيم، أو فرعون بموسىٰ... وغيرهم.

شبه مكرهم بحال قوم بنوا بنياناً عالياً؛ فتركهم الله سبحانه ليتموا البناء، ويشعروا بالأمن المزيف والباطل؛ فأتىٰ الله بنيانهم من القواعد: إشارة إلىٰ أن الله زلزل الأرض من تحتهم؛ مما أدىٰ إلىٰ إصابة بنياتهم من القواعد؛ أي: الأسس، وجذور بيوتهم؛ مما أدىٰ إلىٰ أن يخرَّ عليهم السقف من فوقهم؛ فيقضي عليهم.

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: خرَّ سقط بسرعة، ومن دون إنذار.

﴿ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: أيْ: خرَّ البناء من فوقهم، ويعني هم كانوا تحته واقفون، أو جالسون تحته، أو نائمون.

﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من جهة لا تخطر علىٰ بالهم؛ لكي لا يستعدوا لذلك، ولا ينجو منهم أحداً، ولا يتوقعون ذلك؛ فيكون مجيء العذاب فجأة، وهذا إنذار لهم، وأن مكرهم بالرّسل والمؤمنين سيرجع وباله عليهم، ويؤيِّد ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

❖❖❖

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

سورة النّحل [الآيات ٢٧ - ٣٤]

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

تستمر الآيات في ذكر ما سيحدث للذين أشركوا بالله، وقلوبهم منكرة للآخرة، والمستكبرون الّذين قالوا: ما أنزل الله هو أساطير الأولين.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: ثم: للترتيب، والتّراخي في الزّمن.

﴿يُخْزِيهِمْ﴾: والخزي: هو الفضيحة أمام النّاس؛ أيْ: يفضحهم أمام النّاس، أو على رؤوس الخلائق، والأشهاد بكشف أعمالهم المنكرة أمام النّاس، وقدم يوم القيامة على يخزيهم للفت الانتباه إلى عظم الخزي الذي سيحل بهم يوم القيامة والذي لا يمكن مقارنته بالخزي الضئيل في الحياة الدنيا الزائل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾: أين: استفهام توبيخي، وتقريع لهم؛ أيْ: يوبخهم، ويسكتهم بالحُجَّة؛ أيْ: يغلبهم بالحُجَّة.

﴿شُرَكَآءِىَ﴾: من الجن، والإنس؛ أيْ: تلك الأصنام، والأوثان، أو ما كنتم تعبدون من دوني. شركائي: جمع شريك في الطّاعة، والعبادة، والدّعاء.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿كُنتُمْ﴾: كنتم: في الدّنيا.

﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾: من الشّق، ويقال: شق الجدار؛ أيْ: جعلتم بينكم وبين الرّسول، والمؤمنين شق لأجلهم؛ لأجل الآلهة، والأصنام، أو الشركاء. تشاقون فيهم: تخاصمون؛ تخالفون أمري لأجلهم، تنازعونني فيهم، وتشاقون: أبقى

الإدغام ولم يفكه؛ لأنه لم يأتي فيها ذكر رسول الله ﷺ، وتشاقون: بحذف الياء؛ لأن المشاقة كانت مؤقتة في الدنيا وانتهت حين ماتوا ولم تستمر في الأخرة.

﴿فِيهِمْ﴾: ظرفية بمعنىٰ: لأجلهم؛ لأنّ مشاقة المؤمنين، أو رسوله كأنّها مشاقة لله، ولم يذكر في هذه الآية ردهم علىٰ هذا السّؤال، أو الاستفهام، بل ذكره في آيات أخرىٰ؛ كقوله: ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ [غافر:٧٤]: غابوا عنا، ولم يحضروا.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: أوتوا العلم: من الأنبياء، والعلماء، والّذين كانوا يدعون النّاس إلىٰ الإيمان، والتّوحيد؛ أوتوا العلم: علوم الدِّين، والقرآن.

﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿الْخِزْيَ﴾: الفضيحة، والعار.

﴿وَالسُّوءَ﴾: العذاب.

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: علىٰ: تفيد العلو، والمشقة.

﴿الْكَافِرِينَ﴾: جمع كافر: لم يؤمن، ويصدق بما أنزل الله، وجَحَدَ به، وبرسله. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٦) لمزيد من البيان، وسورة التوبة آية (٦٨) لمعرفة الفرق بين الكافرين والكفار.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد الذم.

﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ولم يقل: توفاهم الملائكة.

﴿تَتَوَفَّاهُمُ﴾: من الوفاة، وقيل: الوفاة: هي المرحلة الّتي تسبق قبض الرّوح (الموت)، وقد تطول هذه الفترة، أو تقصر ساعة، أو ساعات، أو أيّام، ويكون فيها المريض غيرَ واعٍ لما حوله في غيبوبة، وقد يكون علىٰ الأجهزة التّنفسية، أو

القلبية، وغيرها الّتي تساعده حتّىٰ تقبض روحه، ومرحلة الوفاة إذا بدأت لا رجعة منها، أمـا إذا كان المريض في غيبوبة، أو فاقداً وعيه، ثـمّ عاد إلىٰ الحياة الدّنيا؛ فهـذه لا تعتبر مرحلة الوفاة الّتي نتحدث عنها، ولكن مرحلة الوفاة الحقيقية تبدأ برؤية الملائكة ملائكة الموت وبعدها تستمر إلىٰ أن تقبض روحه، وهنا في هذه المرحلة قد يعذب الكافر، أو المشرك عذاباً شديداً، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٠].

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمُ﴾: بالكفر، والشّرك، والضّلال، والظلم، والمعاصي؛ أي: الكبائر، أو الآثام، والذّنوب.

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: أي: الاستسـلام، والخضوع، وأظهـروا الطّاعة، وأقروا بالرّبوبية، والوحدانية، وذلك حين أدركوا الحقيقة، وهم في سـكرات الموت. ألقوا السّلم: قيل: حين يرون الملائكة في مرحلة الوفاة الّتي تسبق قبض الأرواح، أو يوم القيامة، وما داموا ألقوا السّلم؛ فهذا يدل علىٰ أنّهم كانوا في حرب مع الله ورسـوله وأنفسـهم؛ لمخالفتهم لمنهج الله تعالىٰ، وهم اليوم يلقون أسلحتهم مستسلمين لله تعالىٰ كما يلقي الأسير سلاحه أمام عدوه.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾: ما: النّافية.

﴿كُنَّا﴾: فـي الدّنيا نعمل من سـوء؛ مـن: كفر، وتكذيب، وشـرك، ومعاصي؛ أيْ: هـم جحدوا، وأنكروا مـا كانوا عليه كقولهـم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣].

﴿مِن﴾: استغراقية.

﴿بَلَىٰٓ﴾: حرف جواب تختص بوقوعها بعد النفي فتجعله إثباتاً؛ أيْ: تؤكد الّذي كانوا يعملون من السّوء؛ أيْ: بل عملتم السّوء.

﴿إِنَّ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير العلم، بما كنتم في الدّنيا تعملون من سوء؛ تعني: يعلم كلّ أعمال السّوء الّتي قمتم بها.

﴿بِمَا﴾: والباء: للإلصاق؛ ما: حرف مصدري، أو اسم موصول؛ بمعنى: الّذي، وأوسع شمولاً من الذي

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا. تعملون: تشمل الأقوال والأعمال.

لنقارن بين هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

والآية (٩٧) من سورة النّساء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

الذين تتوفاهم في سورة النّحل: تدل على أن عددهم أكثر من الّذين توفاهم في سورة النّساء، وتدل على الظلم العام بكل أنواعه، ومنه الشرك، وظلم الغير.

أما آية سورة النّساء: فتدل على عدد الّذين توفاهم الملائكة أقل، وظلمهم كان بعدم قدرتهم على الهجرة؛ ظلم جزئي مقارنة بظلم المذكورين في آية النّحل (الظلم العام).

فاستخدم تتوفاهم للعدد الأكثر، وتوفاهم للعدد الأقل (تاء واحدة).

[٢٩] ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾:

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: فادخلوا: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أي: المباشرة. ادخلوا أبواب جهنم: لم يُبيِّن عددها في هذه الآية، وبيَّنها في سورة الحجر، الآية (٤٤)؛ فقال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

﴿أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: قيل: هي دركات؛ قيل: دركة من دركاتها، وكلمة جهنم مشتقة من الجهمومة، وهو الشّيء المخوف الكريه المنظر، وكذلك تعني: بعيدة القعر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: من الخلود: وهو البقاء، والاستمرار منذ دخولها بعد الحساب.

﴿فَلَبِئْسَ﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: لزيادة التّوكيد؛ بئس: فعل من أفعال الذّم، وجاء بأداتين من أدوات التّوكيد: الفاء، واللام؛ لأنّ قلوبهم منكرة، وهم مستكبرون، ويقولون: أساطير الأولين؛ فلما تمادوا بالكبر والإنكار أكد على عذابهم.

﴿مَثْوَى﴾: المستقر، المثوى: مكان الإقامة الدّائمة المكان السيء الضيق والمقيد لا يسمح بالحركة، أو أسوء من السجن والمطبق عليه. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥١) لمزيد من البيان ومعرفة الفرق بين مثوى ومأوى.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: جمع متكبر: الّذين أصبحت صفة الكبر عندهم ثابتة مستمرة، والكبر: هو إظهار عظم الشأن، ورفع النفس فوق ما تستحق. ارجع إلى الآية (٢٣) السّابقة من نفس السّورة.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

بعد أن بيَّن جواب الّذين لا يؤمنون بالآخرة، وقلوبهم منكرة، وهم مستكبرون يُبيِّن جواب الطّرف الآخر المقابل وهم المتقون؛ ليتَّضح الفرق بين الجوابين.

﴿وَقِيلَ﴾: مبني للمجهول؛ لأنّ القائل هنا لا يهم، أو السّائل، والمهم هو المقولة.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿ٱتَّقَوْا۟﴾: أيْ: ربهم أطاعوا أوامره، وتجنَّبوا نواهيه، واتقوا النّار بأن جعلوا بينهم وبينها حاجزاً.

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: ماذا: استفهام وأقوىٰ في الاستفهام من: ما. ماذا أنزل ربكم: علىٰ رسوله، أو عليكم؟ قالوا: خيراً؛ أيْ: قالوا: أنزل الله خيراً؛ حذف أنزل؛ للإيجاز.

﴿قَالُواْ خَيْرًا﴾: خيراً بالنّصب، ولما سأل الّذين لا يؤمنون بالآخرة، وقلوبهم منكرة، وهم مستكبرون ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: أساطيرُ الأولين بالرّفع، فلماذا نصب (خيراً)، ورفع (أساطيرُ)؟

أولاً: لأنّ الأساطير (الأكاذيب: جمع أسطورة، أو أكذوبة) ليست من الإنزال في شيء، والنّصب أقوىٰ من الرّفع، وتدل علىٰ أن إجابة المتقين كانت بسرعة، وكأنّهم يعرفون سابقاً، ومن دون تردُّد، وحيرة أنّه كان خيراً.

وخيراً: جاء بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلّ خير، والخير: هو الطّيب الحلال؛ أيْ: أنزل رحمة، وبركة، وهدىٰ، وشفاء، ووقاية، وموعظة، وحسنة.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: للذين: اللام: للاختصاص، والاستحقاق.

﴿أَحْسَنُواْ﴾: اجتهدوا في العبادة، والأعمال الصّالحة، والطّاعة، والإحسان: هو جودة العمل كماً، وكيفاً. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (١١٢) لمزيد في معنىٰ الإحسان.

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: قيل: الحسنة في الدّنيا: النّصر، والفتح، والحياة الطّيبة، والرّزق، والعافية. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الحسنة لغةً وشرعاً.

وقد بيَّن ذلك في قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل:٩٧].

﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: دار الآخرة خير: من حسنة الدّنيا؛ فحسنة الدّنيا خير، وخيرٌ منها حسنة الآخرة. ولدار الآخرة: اللام: للتوكيد.

﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾: أي: الجنة خير من الدّنيا وما فيها.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: نعمَ: من أفعال المدح.

ثم بيَّن دار المتقين: جناتُ عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار.

[٣١] ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: جنات الإقامة الدّائمة في النّعيم.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها الأنهار.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾: لهم: اللام: للاختصاص؛ تقديم فيها جار ومجرور تفيد حصراً؛ أيْ: حصراً في الجنة لهم فيها ما يشاؤون.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ يعني: الّذي، أو مصدرية.

﴿يَشَآءُونَ﴾: يختارون، ويبغون.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أيْ: مثل هذا الجزاء جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يجزي الله من اتقاه، وآمن به، وأصبحت التّقوىٰ ثابتة عنده.

[٣٢] ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٨) من نفس السّورة.

﴿طَيِّبِينَ﴾: أعمالهم صالحة طيبة (أقوالهم، وأفعالهم)، وطاهرين من الظّلم، والكفر، والمعاصي.

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾: تقول الملائكة لهم: سلام عليكم.

﴿سَلَٰمٌ﴾: نكرة ليشمل سلام التّحية، وسلام من الآفات، والمكروه، والموت، وسلام: أمان، واطمئنان، وسلام: ثابت دائم لا ينقطع؛ سلام عليكم من ربكم؛ سلام عليكم من الملائكة.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: بما: الباء: للإلصاق والبدلية، أو التّوكيد.

﴿كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: في الدّنيا، تعملون: تضم الأقوال، والأفعال.

[٣٣] ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾:

بعد أن أجابوا على السّؤال ماذا أنزل ربكم قالوا: أساطير الأولين، ثمّ بيَّن عاقبة أمرهم، وماذا سيحدث لهم يوم القيامة، وكيف تتوفاهم الملائكة؛ إذن: ما ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتيهم العذاب ليستأصلهم.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: هل: للاستفهام فيه معنى النفي؛ أيْ: ما ينظرون.

﴿يَنظُرُونَ﴾: من الانتظار، والترقب.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: لقبض أرواحهم.

﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: أي: العذاب المستأصل لهم في الدّنيا؛ كالصّواعق، والكوارث، والزلازل، أو أمر الله فيهم؛ أيْ: يوم القيامة، وأهواله، وعذابه.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: كذلك؛ أيْ: مثل الّذي فعلوه من الشّرك، والتّكذيب، والإعراض عن الرّسل؛ فعل الّذين من قبلهم من الأقوام السّابقة الّذين كذبوا برسلهم؛ فأتاهم العذاب، أو أمر الله من حيث لا يشعرون.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بإهلاكهم بالعذاب، أو تدميرهم، أو أخذهم بالبأساء، والضّراء؛ لأنّه سبحانه أنذرهم، وحذرهم، وأمهلهم.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿كَانُوٓاْ﴾: في الدّنيا.

﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: بما فعلوا ما يستوجب العذاب، أو الاستئصال؛ أنفسهم يظلمون: بالشّرك، والمعاصي، وظلم الآخرين، والخروج عن منهج الله تعالىٰ.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾:

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾: فأصابهم: الفاء: للتوكيد، أو المباشرة؛ أصابهم سيئات ما عملوا: أيْ: أصابهم جزاء ما عملوا من السّيئات، وسمَّىٰ الجزاء باسم سيئات الأعمال.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أي: نزل بهم العذاب، أو أحاط بهم العذاب؛ فلا يستطيعون الفرار، ولا يجدون منفذاً، أو ملجأ يلجؤون إليه. ارجع إلىٰ سورة غافر، آية (٤٥)؛ لمزيد من البيان، والفرق بين حاق ونزل.

﴿مَّا﴾: بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية.

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: به: تعود علىٰ العذاب، أو البعث، أو الحساب، أو الرّسل، والملائكة.

﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨) من سورة هود، والآية (١١) من سورة الحجر؛ للبيان.

❖ ❖ ❖

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ
وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ
حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ
وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ
كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ
لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ
يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

سورة النّحل [الآيات ٣٥ - ٤٢]

[٣٥] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: أيْ: مشركو مكة، وغيرهم من الكفار.

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ﴾: أيْ: من غيره من الآلهة، والأصنام؛ مثل: اللات، والعزىٰ.

﴿مِن شَىْءٍ﴾: من: استغراقية؛ تشمل أيَّ شيء؛ كالآلهة، والأصنام، وعيسىٰ، وعزير، والملائكة.

﴿نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾: أيْ: أنهم أشركوا بالله، ونسبوا ذلك إلىٰ مشيئة الله تعالىٰ بزعمهم دفاعاً عن شرعهم الباطل، وتقليدهم لآبائهم، ولو شاء الله لأجبرهم، وأقسرهم علىٰ عبادته وحده، وأنزل عليهم عذاباً من السّماء، أو آية؛ فالله سبحانه قادر، ولظلَّت أعناقهم لها خاضعين، ولكنه سبحانه لم يرد ذلك، بل خيرهم بعد أن بيَّن لهم الحق من الباطل، وأنذرهم بعاقبة أمرهم.

﴿وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾: كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام. ارجع إلىٰ سورة المائدة، آية (١٠٣)؛ للبيان.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أيْ: كذبوا، وأشركوا، وحرموا، أو أحلوا، كما يشاؤون، وليس كما يشاء الله سبحانه.

﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: فهل: استفهام تقريري.

﴿ٱلرُّسُلِ﴾: الأنبياء، والرّسل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: أيْ: ما على الرّسل إلا تبليغ الرّسالة كاملة، وبشكل واضح.

[٣٦] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد؛ أيْ: قد تحقق ذلك.

﴿بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾: بعثنا: من البعث، ولم يقل: أرسلنا. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان الفرق بين البعث، والإرسال.

﴿فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾: في: ظرفية؛ كقوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة من النّاس تجمعها عقيدة، أو ملّة، أو شريعة بغضّ النظر عن الكم، أو الحيِّز الجغرافي.

﴿رَّسُولًا﴾: كلّ رسول نبي، وليس كلّ نبي رسولاً. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ لبيان الفرق بين الرّسول والنّبي.

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: أن: مصدرية تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً.

العبادة: هي طاعة العابد للمعبـــود؛ فيما أمر ونهىٰ، ولها منهج افعل، أو لا تفعل، ولها جزاء، ولا تكون إلا للخالق، ولا بُدَّ معها من معرفة المعبود.

﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الاجتنـــاب: هو الابتعـــاد؛ أي: ابتعدوا عن عبادة الطّاغوت، أو طاعته، والاجتناب: أشـــد من التّحريم؛ أمّا الطّاغوت: فارجع إلىٰ الآية (٢٥٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾: تعـــود علىٰ أفراد الأمم المذكـــورة؛ من: ابتدائية بعضية؛ من: الثّانية تفيد التّوكيد.

﴿هَدَى ٱللَّهُ﴾: أي: اســـتجاب لأوامر الله بالطّاعـــة، واجتناب الطّاغوت، ووحَّد الله، وطلب الهداية، واستعان بالله فوفَّقه الله تعالىٰ وهداه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: ومنهـــم مثل السّـــابقة من حقت عليه الضّلالة؛ أيْ: رفض الاســـتجابة لله وعبادة الله، ووحدانيته، وطاعته، وسار في طريق الكفر، والضّلالة، واســـتمر علىٰ ذلك؛ فوجبت له الضّلالة؛ أيْ: تركه الله تعالىٰ في ضلاله يرتع ويلعب. ارجع إلىٰ ســـورة الأعـــراف، آية (٣٠)؛ لمعرفة الفرق بين حقَّت عليه الضلالة، وحقَّ عليه الضلالة.

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فسيروا: الفاء: تفيد التّرتيب، والمباشرة.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في: ظرفية؛ لأنّ الأرض تعني: الأرض، وتشـــمل: الطّبقة الغازية الّتي حولها، ولم يقل: علىٰ الأرض سيروا في الأرض؛ للاعتبار، والاطلاع علىٰ آثار الأمم السّابقة، وخراب ديارهم، وهلاكهم، ولمعرفة الفرق بين فسيروا في الأرض، ثمّ سيروا في الأرض؛ ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٣٧).

﴿فَٱنظُرُواْ﴾: الفـــاء: للترتيب، والمباشـــرة؛ انظروا: نظـــرة عينية، وقلبية فكرية، ونظرة اتعاظ.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: كيف: للاستفهام، والتّعجب، والإنكار.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: تذكير العاقبة باستعمال كان، وليس كانت؛ تعني: العذاب في كلّ القرآن الكريم؛ أمّا لو قال تعالىٰ: كانت عاقبة بالتأنيث بدلاً من كان عاقبة؛ لدلّت علىٰ الجنة، أو العاقبة الحسنة، أو الحسنىٰ.

﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: بالرّسل، وبما أنزل الله من الآيات الكونية، والمعجزات، وآيات القرآن، والمكذبين: جملة اسمية تفيد ثبوت الكذب عندهم، وأنّه أصبح صفة ثابتة عندهم؛ مقارنة بالّذين كذبوا الّذين صفة الكذب عندهم تتجدَّد، أو تتكرَّر، وأحياناً يصدقون في أقوالهم.

[٣٧] ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾:

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾: تحرص: من الحرص: هو أشد الطّمع، والرغبة؛ فرغبة الرّسول ﷺ في إسلام قومه، وهدايتهم كان شغله الشّاغل.

فجاءت هذه الآية: لتخبره أنّ حرصه وطمعه لن يجدي شيئاً لمن اختار لنفسه الضّلال، والسّير في طريق الكفر؛ فهؤلاء لا يهديهم الله، ويتركهم وشأنهم يفعلون ما يشاؤون.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد؛ إن: لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾: لا: النّافية؛ لا يهدي الله إلىٰ صراطه (دينه)، وطاعته من اختار طريق الضّلالة، ويريد أن يضل، وابتعد، وضل ضلالاً بعيداً، ولم يعد هناك أمل في عودته.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: وما: الواو: عاطفة؛ ما: النّافية.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿مِّن﴾: استغراقية تشمل كلّ النّاصرين؛ أيْ: ما لهم يوم القيامة من أيِّ ناصر، أو من يدافع عنهم، أو يشفع لهم، أو يقدِّم لهم الفداء ولو كان له ملك الأرض، ولو افتدىٰ به.

[٣٨] ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: من صفات المشركين، والمكذبين، والّذين لا يؤمنون بالآخرة؛ اعتقادهم أن البعث، والحساب أمر باطل، ولذلك يقسمون بالله جهد أيمانهم أغلظ الأيمان غير مصدقين بأنّ الله يبعث من يموت فهم يعتقدون اعتقاداً صادقاً مبنياً علىٰ الظّن، أو الباطل أنّه ليس هناك آخرة، أو حساب، أو بعث، ولم يقل: ويحلفون، وإنما قال: وأقسموا، والقسم غير الحلف. ارجع إلىٰ سورة التوبة، آية (٥٦)؛ للبيان.

﴿بَلَىٰ﴾: بلىٰ: هنا تنفي النّفي الّذي قبلها؛ فيكون معناها: بل يبعث الله من يموت؛ لأنها حرف جواب تختص بوقوعها بعد النّفي؛ فتجعله إثباتاً.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: الوعد: هو الإخبار بشيء لم يأتِ زمنه بعد.

﴿حَقًّا﴾: من الحق، وهو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير الوعد عادة يستخدم في الخير، واستعمل هنا في التّهديد بدلاً من الوعيد في سبيل التّهكم، والاستهزاء بهم؛ لأن الوعد إذا أطلق يعني: الخير، وإذا لم يطلق قد يأتي بمعنىٰ الشّر؛ للتهكم، والاستهزاء؛ كقوله تعالىٰ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [النساء:١٣٨].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لكن: للاستدراك، والتّوكيد. لا

يعلمون: أنّ الله قادر على البعث، والنّشر، وهو أهون عليه، كما أكد ذلك في قوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧].

[٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾:

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: ليبيِّن: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ يبيِّن لهم: لمنكري البعث، والحساب.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: الّذي: اسم موصول؛ الّذي يختلفون فيه من أمر البعث، والحساب.

﴿يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: ولم يقل: اختلفوا فيه؛ لأنّهم استمروا على الاختلاف، والتّكذيب به؛ حتّى يومنا هذا، وأصرُّوا على ذلك رغم كلّ البراهين، والآيات.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وليعلم: اللام: للتعليل، والتّوكيد؛ الّذين كفروا.

﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾: أنّ: للتوكيد؛ كانوا في الدّنيا كاذبين في قولهم: لا يبعث الله من يموت.

[٤٠] ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: للتوكيد والحصر.

﴿قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ شيء: نكرة؛ أيِّ شيء ذكراً، أو أنثى، أو صغيراً، أو كبيراً، أو مهما كان نوعه، وشكله، وحجمه.

﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾: إذا: ظرفية للزمن المستقبل.

﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّوكيد، والتّعليل.

﴿لَهُۥ﴾: الهاء: تعود على الشّيء.

﴿كُن فَيَكُونُ﴾: أيْ: إذا أراد الله شيئاً ما، أو أمراً ما مهما كان فبمجرَّد الإرادة فقط يُخلق ذلك الشّيء، أو يقع؛ أيْ: يحدث، وسبحانه لا يحتاج في ذلك للقول للشيء، أو الأمر كنْ فيكون، ولا يحتاج إلى زمن للانتظار؛ لأنّ القول كنْ فيكون يحتاج إلى زمن فالله سبحانه هو خالق الزّمن، ولا يحتاج حتّى إلى زمن يقدر بزمن القول كنْ ليكون، وإنما ذلك لتقريب مسألة الخلق إلى أذهان البشر، وسرعة الاستجابة إلى إرادته.

[٤١] ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾:

سبب نزول الآية: قيل: نزلت هذه الآية في نفر من الصّحابة في زمن الرّسول ﷺ هاجروا إلى المدينة، وتركوا أموالهم، وديارهم ابتغاء مرضاة الله، كما رُوي عن ابن عبّاس ، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السّبب.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾: الّذين اسم موصول يفيد المدح.

﴿هَاجَرُوا۟﴾: في سبيل الله، وليس لسبب آخر، والهجرة ترك الوطن، أو الدّيار في سبيل الدّعوة، وإقامة الدّين، أو إعلاء كلمة الله، أو استجابة لأمر من الله ورسوله، وهناك فرق بين هجر، وهاجر، هاجر تعني: أُخرج من وطنه مكرهاً، ومن دون اختيار بسبب الاضطهاد، أو عدم استطاعة إقامة شعائر دينه، أما هجر؛ أيْ: ترك وطنه باختياره، ومن دون أن يكون مضطهداً مثلاً ترك وطنه مختاراً يبحث عن عيشةٍ ، أو معاشٍ أفضل.

هاجروا في الله، ولم يقل: إلى الله؛ في الله؛ أيْ: كان أحدهم سابقاً مظلوماً،

وصابراً يتحمل الأذىٰ في سبيل دينه؛ فهو في حالة تشبه حالة الهجرة، ثمّ أُلجئ، أو اضطر إلىٰ ترك وطنه؛ فهو كأنّه استمر في هجرته في الله؛ أيْ: سواء أقام في وطنه، أو تركه إلىٰ وطن ثانٍ، هو في هجرة في الله جديدة.

أمّا إذا كان غير مضطهد، أو يتعرض لأذىٰ، وطلب منه الهجرة؛ فهو يهاجر إلىٰ الله.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: من: ابتدائية؛ أيْ: هاجروا من بعد أن ظُلموا مباشرة، ولم يكن هناك فاصل طويل بين الظّلم، والهجرة، ولو قال: بعد ما ظلموا لكان هناك فاصل زمنيٌّ طويل، أو قصير بين الظّلم، والهجرة، والفتنة: هنا في الدِّين؛ مثل الاضطهاد، والتّنكيل لكي يرتدُّوا عن دينهم.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: لنبوئنَّهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: الاستحقاق، وقد تكون لام التّعليل، أو حتّىٰ هناك من يقول: إنّها لام القسم، أو: الموطئة للقسم، أو: التّوكيد؛ نبوئنَّهم: ننزلهم، أو نسكننَّهم منازل ومساكن أفضل من منازلهم التي هجروها في سبيل الله وهي جنات الفردوس، جنات النعيم التي أعدت لهم مشتقة من فعل باء؛ أيْ: رجع. ارجع إلىٰ الآية (٨٧-٩٣) من سورة يونس؛ للبيان.

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: أيْ: لننزلنَّهم منزلة أحسن، وأفضل من الّتي كانوا عليها، ونرزقنَّهم رزقاً حسناً آمنين غير خائفين؛ أيْ: عندما يهاجروا إلىٰ الله، أو في الله؛ هذا في الدّنيا. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمعرفة معنىٰ الحسنة.

أمّا في الآخرة: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾: ولأجر: اللام: لام التّوكيد؛ أجر الآخرة: الجنة، ورضوان الله تعالىٰ أكبر بكثير من أجر الدّنيا، بل هو أفضل، وأعظم.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لو: شرطية.

﴿كَانُوا﴾: تعود إلىٰ المهاجرين لجاهدوا بأموالهم، وأنفسهم أكثر وأكثر، واجتهدوا في صبرهم في سبيل الله لنيل الأجر الأكبر فالأكبر، أو تعود إلىٰ الكفار، والمشركين الّذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم، لو كانوا يعلمون ما سيُعطىٰ لهؤلاء المؤمنين من الأجر؛ لتركوهم من دون أذىٰ، أو لآمنوا معهم، أو قد تعود إلىٰ المؤمنين الّذين لم يهاجروا، وفي هذا ترغيب للهجرة في سبيل الله، ونيل أجر الآخرة الأكبر.

[٤٢] ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: الّذين: اسم موصول؛ يفيد المدح، وتعود علىٰ الّذين هاجروا في الله.

﴿صَبَرُوا﴾: بصيغة الماضي؛ أيْ: فعلاً صبروا، وحدث منهم الصّبر علىٰ طاعة الله، وعلىٰ أذىٰ المشركين صبروا ابتغاء وجه الله وحده.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: قدَّم الجار والمجرور.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: للحصر، والتّوكيد؛ أيْ: فقط علىٰ الله وحده يتوكلون.

﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: يطلبون المساعدة، والعون من الله تعالىٰ بعد تقديم الأسباب، وتوكلهم مستمر غير منقطع، ومتجدِّد، ويدل علىٰ ذلك كلمة يتوكلون جاءت بصيغة الفعل المضارع الدّال علىٰ التّجدُّد، والتّكرار. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنىٰ التّوكل.

❖❖❖

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

سجدة الحزب ٢٨

سورة النّحل [الآيات ٤٣ - ٥٤]

[٤٣] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾:

هذه الآية ردٌّ على سؤالهم: ولو شاء الله لأنزل ملائكة وإنكارهم أن يرسل الله بشراً رسولاً، ويريدون ملكاً رسولاً.

﴿وَمَآ﴾: الواو: استئنافية؛ ما: النّافية.

﴿أَرۡسَلۡنَا﴾: بصيغة الجمع؛ للتعظيم؛ أرسلنا: تعني: بمنهج جديد، أو رسالة جديدة، وهناك فرق بين أرسلنا، وبعثنا. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: رجالاً: لها عدة معانٍ:

الأول: أي: لن يرسل ملائكة، كما يطلبون.

الثّاني: فيها دلالة على أنّ النّبوّة لا تكون إلّا في الرجال فقط، ولا تكون في النّساء.

الثالث: رجالاً نحن نختارهم، ولستم أنتم، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

الرابع: يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق رداً على قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان:٧].

﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء، وشرعاً: هو ما يلقي الله على أنبيائه ورسله من تكاليف، وتعاليم دينية، وآيات ووعد ووعيد، ويكون بإرسال رسول؛ كجبريل، أو التكلُّم من وراء حجاب، أو غيره من الوسائل. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: فاسألوا أيها المشركون أهل الذّكر من مؤمني أهل الكتاب؛ مثل عبد الله بن سلام، أو سلمان الفارسي، أو علماء التّوراة والإنجيل؛ مثل: ورقة بن نوفل، وقيل: أهل الذّكر أيضاً أهل القرآن عن الرّسل الّذين جاؤوا قبل محمّد ﷺ، هل كانوا إلّا بشراً، وما جاؤوا به الحق من ربهم، أو اسألوا أهل الذكر من هو النّبي المنتظر.

﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: إن: شرطية تفيد الشّك، والاحتمال.

[٤٤] ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: أرسلناهم بالبينات، جمع بيِّنة؛ أيْ: بالحجج الواضحة الدّالة على صدق دعواهم، والمعجزات، والآيات.

﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الكتب السّماوية السّابقة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: الزّبر.

﴿وَأَنزَلۡنَآ﴾: أيْ: جملة واحدة، أو دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، بينما نزلنا تعني: بالتدرج على دفعات خلال (٢٣) عام، ونزلنا: جاءت في سياق التوكيد والاهتمام.

﴿إِلَيۡكَ﴾: إلى: تفيد عموم الغايات؛ أيْ: للتبليغ، والإيصال إلى النّاس. ارجع إلى سورة البقرة آية (٤) لمعرفة الفرق بين إليك وعليك.

﴿ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن، وسمِّي الذكر؛ لأنّه تذكرة لمن يخشىٰ؛ لأنّه هو الشرف، والرفعة لهذه الأمة إليك، ولم يقل :عليك. ارجع إلىٰ الآية (٤) من سورة البقرة، وسورة ص آية (١).

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: لتبيِّن: اللام: للتعليل.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: للاختصاص؛ أيْ: توضح، وتشرح لهم.

﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: من الأحكام، والشّرائع، والحرام، والحلال.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لعل: أداة للتعليل.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: أيْ: ينظرون في البينات، والدّلائل للوصول إلىٰ أنّ محمّداً حقٌّ، وأنّ القرآن حقٌّ؛ فيؤمنوا به. ارجع إلىٰ الآية (١١) من نفس السّورة.

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿أَفَأَمِنَ﴾: الهمزة: استفهام توبيخي.

﴿ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الّذين: اسم موصول.

المكر: هو التّدبير الخفي الّذي يقوم به الماكر؛ لإلحاق الضّرر بالممكور به، ومن دون علمه.

الّذين مكروا السّيئات: هم مشركو، وكفار مكة؛ مكروا برسول الله ﷺ؛ ليثبتوه، أو يقتلوه، أو يخرجوه، وحاولوا سحره.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: الخسف: هو أن تنشق الأرض، وتبتلعهم، كما حدث لقارون. يخسف بهم؛ أيْ: وحدهم لا غيرهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أيْ: من أيِّ جهة لم تخطر على بالهم، ولم يأخذوا حذرهم، ويحتاطوا كما حدث لقوم لوط.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾:

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾: أو: للتخيير.

﴿يَأْخُذَهُمْ﴾: يهلكهم، ويحل بهم العذاب.

﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: من التّقلب: وهو الانتقال من مكان إلى مكان للتجارة، أو للسفر، أو حين ممارستهم لأعمالهم اليومية طلباً للرزق، أو ذهابهم، ومجيئهم، والتّقلب قد يعني: من حال إلى حال، والتّقلب: مظهر من مظاهر القوة، وفي تقلبهم يعني: وهم على استعداد، أو غير استعداد، أو على حذر، أو غير حذر.

﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: النّافية.

﴿هُمْ﴾: للتوكيد.

﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: للإلصاق، وتوكيد النّفي؛ معجزين: فائتين من العذاب؛ معجزين مشتقة من أعجزه: هرب منه؛ أيْ: فاته ولم يقدر عليه، ويغلبه، ويقهره؛ فالله قادر على اللحاق بهم، والقضاء عليهم أينما كانوا.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾: أو على خوف؛ أيْ: وهم يتوقّعون أن يحل بهم العذاب، أو هم على مخافة، وحذر، واستعداد، أو مختبئون في الملاجئ، أو في البروج المشيدة، أو يحدث بشكل تدريجي؛ أي: يرون العذاب قادماً نحوهم بعد أن

أهلك ما حولهم، وقيل: التّخوف الفزع من شيء لم يحدث بعد ،فهو يتصوَّره بألوان شتىٰ، ومخاوفَ، وخيالاتٍ مختلفة.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ﴾: فإن: الفاء: للتوكيد.

﴿رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ﴾: لرؤوف: اللام للتوكيد؛ رؤوف: مشتقة من الرّأفة، والرّأفة: أخص من الرّحمة، أو الرّأفة أشد من الرّحمة، ومنهم من قال: أنّها تخص المؤمنين، ورؤوف من رأف به؛ أيْ: أشفق عليه بأن دفع عنه السّوء، أو كره أن يحل به مكروه.

﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير الرّحمة، والرّحمة قد تشمل المؤمن، والكافر في الدّنيا؛ فلا يعجل لهم العقاب، أما في الآخرة: فهي خاصة بالمؤمن فقط.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: تعود على الّذين مكروا السّيئات؛ فبعد أن خوفهم، وحذرهم الله سبحانه بالخسف، أو أخذِهم، وإهلاكهم؛ جاءت هذه الآية تذكرهم بالقدرة الإلهية، وعظمة الخالق الّذي خلق لهم ما يتفيأُ ظلاله، ويسجد له ما في السّموات والأرض.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أولم: الهمزة: للاستفهام، والتّعجب، والتّوبيخ، والواو: تفيد التّوكيد، والانتظار.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية عقلية، فكرية، ورؤية بصرية .

﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿مِن شَيْءٍ﴾: من: ابتدائية، واستغراقية؛ تستغرق كلّ شيء.

﴿شَيْءٍ﴾: اسم جنس لكلّ شيء خلقه اللهُ.

﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾: من فاء؛ أيْ: رجع فالظّل المتحرك يسمّى الفيء؛ لأنّه يعود إلى الشّمس؛ أيْ: أصله ناشئ عن حجب حزمة من أشعة الشّمس؛ فهناك أشعة غير قادرة على الاختراق، وأشعة قادرة؛ فالأشعة غير القادرة: تسبب الفيء بسبب عدم قدرتها على اختراق جسم كثيف كالجبال، والأشجار، والإنسان، والحيوان. ارجع إلى سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنى الظل.

﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾: جاءت بالإفراد: من الصّبح إلى الظّهر من حين تطلع الشّمس من جهة المشرق يكون الظّل على يمين الشّيء (ويدوم ذلك من الصّباح إلى وقت الظّهر)، والظّل يضمحل، ويضمحل حتّى يأتي وقت الظّهر وقت الزّوال (زوال الظّل).

﴿وَالشَّمَائِلِ﴾: جمع شمال، من الظّهر إلى المغرب يكون الظّل على شمال، أو يسار الشّيء، والظّل يزداد، ويزداد؛ فعبر عن الزّيادة بالجمع؛ جمع الشمائل.

﴿سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: سُجّداً: تعود على ظلال كل شيء بما فيه ظل الكفار. سجداً؛ أيْ: خضوعاً. السّجود: هو الخضوع، وقيل: سجودها يعني: ميلها، ودورانها؛ أيْ: إذا مالت، وتغيرت من جانب إلى جانب، أو طالت، أو قصرت. وقيل: هو سجود حقيقي؛ فالله سبحانه قادرٌ على فعل ذلك، والظّل: آية من آيات الله الكونية الّتي تخضع لربها.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغرون، ذليلون؛ من دَخر يدخرُ: صَغُر، وذل، كما نرى الكفار والمشركين عندما يصابون بالمرض، أو البأساء، والضراء، والأوبئة، والكوارث الجوية... وغيرها.

[٤٩] ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾:

﴿ وَلِلَّهِ ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ اسم الجلالة للحصر؛ أيْ: له وحده يسجد.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾: ما: لغير العاقل، وصفات العاقل، وما: أوسع استعمالاً من (من في السّموات والأرض)، ما في السّموات كظرف، وكمظروف.

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: من جبال، وشجر، وحيوان، وحجر... وغيرها من المخلوقات. وما في الأرض كظرف، وما فيها كمظروف؛ الكلّ يسجد.

﴿مِن دَآبَّةٍ ﴾: من: استغراقية.

﴿دَآبَّةٍ ﴾: اسم جنس؛ تشمل كلّ دابة تدب على الأرض، وتشمل الإنسان أيضاً.

والسّجود قد يعني: الخضوع، أو يعني: السّجود الحقيقي، أو يعني الصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ﴾ [النور:٤١]، وإذا لم يسجد الكافر السّجود الطّوعي؛ فهو يسجد سجود الخضوع رغماً عن أنفه حين مرضه، أو فقره، أو موته، أو مصيبته؛ فليس في الكون شيء يخرج عن إرادة الله تعالى، وأمره.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾: فالملائكة لا تدب في السّموات، ولا يقال لهم دابة؛ فهم يتحركون بأجنحتهم، ولذلك قال: من دابة، والملائكة، وقوله: من دابة والملائكة: فيه عطف الخاص (الملائكة) على العام (من دابة)؛ للتوكيد على أن هناك بعض المؤمنين الذين يمشون على الأرض قد تصل منزلتهم منزلة الملائكة، أو أفضل من الملائكة، وهناك من البشر من هم كالأنعام أو الدواب، أو أضل.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: وهم: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ لا: النّافية.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: لا: يتكبرون عن عبادة ربهم، والسّجود له. ارجع إلى الآية (٢٩) السّابقة من نفس السّورة؛ لبيان معنى: التكبر.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾:

ولما كان الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فلماذا يخافون ربهم؟

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾: الخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛ هذا بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة للملائكة هو خوف من التّقصير، أو خوف مهابة، وإجلال، وتعظيم دون ذنب، ودون تقصير.

﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾: الفوقية هنا فوقية المكانة (المنزلة) على العرش استوى.

وفوقية: المكان فالله سبحانه منزّه أن يحيطه مكان وزمان؛ لأنّ المكان والزّمان من خلقه؛ أيْ: هو خالق الزمان، والمكان.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾: مثلاً: التّسبيح، والحمد؛ يسبحون الليل، والنّهار لا يفترون، ويستغفرون للذين آمنوا، ويفعلون ما يؤمرون فيها؛ حذف، أو إيجاز أصلها يفعلون ما يؤمرون، ويجتنبون ما يُنهون عنه.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾:

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا﴾: لا: النّاهية.

﴿تَتَّخِذُوا﴾: لا تجعلوا، لا تعبدوا، لا تصيِّروا معي شريكاً.

﴿إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: الإله المعبود؛ أيْ: لا تعبدوا إلهين.

﴿اثْنَيْنِ﴾: توكيد لأمر التّوحيد.

﴿إِنَّمَا هُوَ﴾: إنما كافة، ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد الحصر والتّوكيد.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: معبود واحد، لا يتجزأ ليس له ولد، ولا يتجزأ، ويصبح اثنين، وأمّا قوله: أحد؛ فيعني: لا مثيل له، ولا يشبه أحد؛ لله وحده الألوهية، والوحدانية، والربوبية. ارجع إلى سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: إله: صفة ثابتة.

﴿وَٰحِدٌ﴾: تأكيد للصفة الثّابتة وهي إلهٌ (صفة مؤكدة).

﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: الرّهبة: هي طول الخوف، واستمراره مع العلم بالذي تخافه، ويقال للراهب راهب؛ لأنّه يديم الخوف، والتّوخي، والحذر؛ فإياي فارهبون: يفيد القصر؛ أيْ: لا تخافوا غيري؛ فإياي فارهبون: بدلاً من فإياه فارهبون (حول صيغة الغيبة إلى المخاطب)؛ لأنّ الرّهبة من المتكلم خير من الرّهبة من الغائب، والرّهبة كما قلنا الخوف، والحذر، والعلم بمن تخافه وتعظمه.

[٥٢] ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَلَهُۥ﴾: اللام: لام الملكية، والاختصاص؛ له: تقديمها يفيد الحصر؛ أيْ: له وحده.

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما: للعاقل، وغير العاقل.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: السبع: كظرف ومظروف؛ أي: له ملكية السموات السبع وما فيها.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: ذاتها كظرف ومظروف، وملكية الأرض وما فيها.

﴿وَلَهُ﴾: وتكرار له يفيد التّوكيد، وفصل كلاً من الأمرين الملكية، والدِّين واصباً، وله وحدَه:

﴿ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾: واصباً: دائماً، وثابتاً لا يتغيَّر، ولا يتبدَّل، أو له الدِّين الخالص.

﴿ٱلدِّينُ﴾: الطّاعة، والخضوع له الدِّين، والخضوع دائماً وأبداً، أو الطّاعة واجب له. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٩) لبيان معنىٰ الدِّين.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾: أفغير: الهمزة: همزة استفهام للإنكار، والتّوبيخ؛ أفغير الله تطيعون، أو تعبدون، والتّقوىٰ: هي تنفيذ أوامر الله سبحانه، وتجنب نواهيه.

[٥٣] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾:

﴿وَمَا بِكُم﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي؛ بكم: خاصة. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾: من: استغراقية تشمل كلّ نعمة ظاهرة وباطنة.

﴿نِّعْمَةٍ﴾: نكرة تعني: صغيرة، أو كبيرة، ومهما كان نوعها، والنّعمة تعريفها: هي ما يهبه الله لعبده من خير يجلب له المسرة، ويدفع عنه المضرة، وتشمل الصّحة، والغنىٰ، والخصب، والجاه... وغيرها.

﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: ابتدائية؛ من الله سبحانه المنعم.

﴿ثُمَّ﴾: لتباين منزلة النّعمة، والضّر.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية تتضمن معنىٰ الشّرط، وتفيد حتمية الحدوث.

﴿مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: المس: أخف من اللمس مجرد المس؛ أي: الإصابة

الخفيفــة؛ أي: أصابكم الضّر، ولو إصابة خفيفة. الضُّرُّ: ســوء الحال والمرض، وهو أشد من الأذىٰ، ويكون في النفس أو غيرها.

﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: إليه وحده تجأرون: من جأر: رفع صوته بالدعاء تضرعاً؛ أيْ: ترفعون أصواتكم بالدّعاء، والاستغاثة؛ لكشف الضّر عنكم، وهذا يدل علىٰ تصوير حقيقة الإنسان الذي إذا مسه أدنىٰ ضر يضيق صدره، وينفد صبره، ويجأر إلىٰ الله لأدنىٰ أذىٰ.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الزّمني، والتّراخي، أو لتباين منزلة الإصابة، والكشف.

﴿إِذَا﴾: شرطية تفيد حتمية الحدوث، أو كثرته، كشف الضّر.

﴿كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾: رفــع البــلاء، والضّر: يشــمل الفقــر، والمرض، والجدب، والأوبئة، والكوارث.

﴿إِذَا﴾: الفجائية.

﴿فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ﴾: فريق جماعة منكم، وليس الكلّ.

﴿بِرَبِّهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد بعد أن كشف الضّر عنهم يعودون لما كانوا عليه.

﴿يُشْرِكُونَ﴾: يجعلون معه شــريكاً وندّاً، وتدل علىٰ التّجــدُّد، والتّكرار، والاستمرار في الشرك.

❖❖❖

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

سورة النّحل [الآيات ٥٥ - ٦٤]

[٥٥] ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾:

﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: ليكفروا: اللام: للتوكيد.

﴿بِمَآ﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي، وأوسع شمولاً من الذي، والكفر يعني: كفر العقيدة، وإنكار وجود الخالق ووحدانيته، أو جحد النّعمة، وسترها، وإنكار المنعم.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: من الإيتاء: وهو العطاء، ولمعرفة الفرق بينهما: ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

ليكفروا: بنعمنا، أو ليجعلوا ما أنعمنا عليهم سبباً للكفر، والشّرك، أو كلا الأمرين؛ كقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا﴾ [إبراهيم:٢٨]؛ فهم من جهة جحدوا بأنّ الله أنعم عليهم، ولم يشكروه على نعمه، ولم يكتفوا بذلك، بل صيَّروا هذه النّعم سبباً في الإسراع، والزّيادة في الكفر.

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾: الفاء: للتوكيد، والتّعقيب؛ التّمتع: الانتفاع، والاستمتاع باللذة العاجلة.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾: فسوف: الفاء: للتوكيد؛ سوف: أداة للاستقبال البعيد، والتّراخي؛ أيْ: يوم القيامة، أو في الآخرة.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة كفركم، أو شرككم، أو جحدكم لنعم الله؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر:٨]، وفي الآية تهديد ووعيد.

انتبه إلى التّحول من صيغة الغائب ليكفروا بما آتيناهم إلى صيغة المخاطب: فتمتعوا فسوف تعلمون؛ لأنّ المخاطبين في هذه الآية قسم غائب، وقسم حاضر.

قارن هذ الآية مع الآية (٦٦) من سورة العنكبوت: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: الكلّ في هذه الآية من الغائبين.

[٥٦] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: من الجعل، ويعني: التّصيير، ولم يقل: وجعلوا. يجعلون: بصيغة المضارع؛ للدلالة على التّكرار، والتّجدُّد، والاستمرار في الجعل، والفاعل: يعود على الّذين كفروا، والمشركين من أهل مكة... وغيرهم.

﴿لِمَا﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الملكية؛ ما: للعاقل، وغير العاقل.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: أيْ: للأصنام أو الأوثان التي اتخذوها آلهة، وهم لا يعلمون، وهي لا تعلم أيضاً، فهم لا يعلمون أنّ لها ضراً، ولا نفعاً، ولا حساً، ولا معرفة، ولا تبصر، ولا تسمع، والأصنام الّتي لا تعلم شيئاً عن حالتهم، وما هم فيه، والتي لا تعلم ما يقولون، أو يفعلون؛ فهذا يدل على غباوتهم وسفاهة عقولهم.

﴿نَصِيبًا﴾: نصيباً: أيْ: قسماً جزءاً.

﴿مِمَّا﴾: من: البعضية؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي وهي أوسع شمولاً.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: كصدقة للإلهة من المال ومن الحرث، والأنعام، والبحيرة،

والسّائبة، والوصيلة، والحام؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦].

﴿تَٱللَّهِ﴾: التّاء: تاء القسم، وهي مخصصة للفظ الجلالة فيها معنىٰ التّفخيم، وهي أشد أدوات القسم؛ أيْ: أوكدها.

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد؛ تسألنَّ: من السّؤال يوم القيامة هو سؤال توبيخ لهم.

﴿عَمَّا كُنتُمْ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والمباعدة؛ ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿كُنتُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿تَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق من أمر الأصنام، والآلهة. والافتراء علىٰ الله: بأن له ولد، أو شريك، أو صاحبة، أو أحل هذا، أو حرم ذلك، وهو لم يحل، أو يحرم.

[٥٧] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة، ويجعلون؛ أيْ: يعتقدون أنّ الملائكة بنات الله سبحانه.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام لام الاختصاص.

﴿ٱلْبَنَٰتِ﴾: قيل: نزلت هذه الآية في قبيلة خزاعة، وكنانة؛ حيث زعموا أنّ

الملائكة بنات لله سبحانه وتعالىٰ عما يشركون. ارجع إلىٰ سورة الزخرف آية (١٩) لمزيد من البيان.

﴿سُبْحَانَهُ﴾: أيْ: هو منزَّه عما يفترونه، ومبرَّؤٌ منه، وحاشا لله أن يكون له ولد، ولا بنت؛ تنزيهاً لذاته، وصفاته، وأسمائه من الشّريك، والولد، والولي، والبنت... وغيرها.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾: ولهم: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿يَشْتَهُونَ﴾: أي: البنين، أو ما يختارون؛ أيْ: ويجعلون لله ما يكرهون؛ أي: البنات سبحانه، ولهم ما يشتهون (ما يختارون) من البنين، والأنعام، والحرث.

[٥٨] ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل متضمِّن معنىٰ الشّرط.

﴿بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾: بُشر: من البشارة، وهي الخبر السّار نسمعه لأول مرة. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩).

﴿بِالْأُنثَىٰ﴾: أيْ: أُخبر أحدهم من المشركين، أو كفار مكة، أو العرب بأنّه قد ولِدَ له بنت.

﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: ظل: بمعنىٰ: صار وجهه، أو تغير وجهه، وأصبح مسوداً كناية عن الكآبة، والحزن، والحياء من النّاس.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿كَظِيمٌ﴾: ممتلئ غمّـاً وحزناً وغيظاً؛ أيْ: كاظم غيظـه من دون إظهاره، ولكنه يكاد ينفجر، أو يظهر ما في نفسـه من الغيظ، واسـتخدم كلمة بُشـر؛ لأنّ الأنثىٰ في الحقيقة كالولد هي بشارة.

[٥٩] ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾:

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يسـتخفي من القوم، ولا يريد أن يظهر أمامهم غيظه، ووجهه المسود.

﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: من: ابتدائية للتعليل.

﴿سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: يعتبر الأنثىٰ أمراً سيئاً، يُسـيء إليه فقد تجلب له العار عندما تكبر، أو تصبح سبباً للفقر، أو غيرها من ظنون الجاهلية الباطلة.

﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾: الهمزة: للاستفهام، أيبقيها حية.

﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: علـىٰ مذلة، والهُـون: هو الهوان الذل والعـار، وقد يعني: الحيرة، والتّردُّد، وأما الهَون: بفتح الهاء تعني التواضع والتؤدة.

﴿أَمْ﴾: أم: للإضراب الانتقالي.

﴿يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: الدّس: هو إخفاء الشّـيء في الشّـيء؛ أيْ: يدفن بنته، وهي حية (يئدُها)، وسـماها سبحانه الموءودة: البنت التي تدفن حية. ارجع إلىٰ سورة التكوير آية (٨).

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: ساء من أفعال الذّم والتّحقير؛ أيْ: قبح، أو بئس ما يحكمون.

﴿مَا﴾: مصدرية.

﴿يَحۡكُمُونَ﴾: من الحكم، وهو القضاء، ساء ما يحكمون بتفضيل الذّكر على الأنثى، وساء ما يحكمون بنسبة البنات لله، ولهم ما يشتهون، وأنّها افتراءات باطلة من أحكام الجاهلية الفاسدة.

[٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾:

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الّذين: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: لا: النّافية. لا يؤمنون بالآخرة؛ أيْ: لا يصدقون بالبعث، والحساب، والجنة، والنّار. الباء: للإلصاق والمصاحبة.

﴿مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ﴾: أيْ: صفة النّقص، وهي الحاجة إلى الأولاد، والذّكور، وكيف يعاملون البنات خشية الإملاق بالوأد، أو الإمساك على الهُون.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: تقديم الجار والمجرور ويفيد الحصر والتّوكيد، المثل الأعلى: لكونه منزهاً عن الولد، والشّريك، والصّاحبة، ومنزه عن صفات المخلوقين فله الكمال المطلق، والتّنزيه، والتّقديس.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾: القوي الّذي لا يُغلب، ولا يُقهر، والممتنع لا يضره أحد من خلقه.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: في تدبير شؤون خلقه، وكونه؛ فهو أحكم الحاكمين القاضين،

والمشرعين، وأحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

[٦١] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾:

﴿ وَلَوْ ﴾: حرف امتناع لامتناع.

﴿ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ﴾: يؤاخذ؛ أيْ: يجازي يعاقب، أو يعاجل الخلق بالعقوبة.

﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾: الباء: للإلصاق؛ باء: السّببية، أو البدلية؛ أيْ: بسبب ظلمهم (شركهم)، ومعاصيهم، وقولهم الملائكة بنات الله، وعبادتهم الأصنام، ووَأْدهم البنات، أو خروجهم عن منهج الله تعالى؛ فكل من يخرج عن منهج الله تعالى هو ظالم لنفسه.

﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾: ما: النّافية.

﴿ تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾: على الأرض.

﴿ مِن ﴾: استغراقية تشمل كلّ دابة؛ أيْ: لأهلك جميع من في الأرض، أو لأصاب العذاب كلّ إنسان، وحيوان، وجن، ولا يبقى على ظهرها مخلوق.

﴿ وَلَٰكِن ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾: بالعفو، والصّفح، والفضل؛ لكونه حليماً، وغفوراً؛ يمهل ولا يهمل.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إما الموت (انقضاء أجلهم؛ أيْ: أعمارهم)، أو إلىٰ أن يحل العذاب بهم، وهم لا زالوا أحياء، أو يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾: فإذا: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ إذا: ظرف للزمن المستقبل.

﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾: انقضىٰ أجلهم، وجاء زمن قبض أرواحهم، أو جاء زمن هلاكهم.

﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾: أيْ: إذا جاء أجلهم لا يؤخَّر ساعة، ولا أقل من ذلك، وقدم يستأخرون؛ لأن الإنسان يرغب بتأخير أجله (الموت).

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: أيْ: وإذا لم يجئْ أجلهم لا يستقدمون. ارجع إلىٰ سورة يونس، آية (٤٩)؛ لمزيد من البيان.

[٦٢] ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٦).

﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: ما يكرهون: هو البنات، ويجعلون لله البنات كما يزعمون (الملائكة بنات الله) [الزخرف:١٩]، والشّريك في الألوهية، وما يكرهون من الحرث، والأنعام. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (١٣٦)، وآية (١٣٨-١٣٩).

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾: أيْ: تقول ألسنتهم الكذب، أو يدَّعون باطلاً، ولا تكتفي بذلك، بل تصور الكذب بصوره المتعددة لتزينه للآخرين.

﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، أو الجزاء الحسن، أو الأولاد الذّكور، الحسنىٰ: تأنيث الأحسن.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: لا جرم: لا بد، أو لا محالة، وبعد أن كثر استعمالها أصبحت بمعنىٰ: حقاً، كما قال الفراء. جرم؛ أي: لا بُدَّ أنّ لهم النّار، أو لا محالة، أو حقاً لهم النّار.

﴿أَنَّ﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. ارجع إلىٰ الآية (٢٣) السّابقة من نفس السّورة.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿مُّفْرَطُونَ﴾: متركون في النّار منسيون؛ من أفرطه: إذا نسيه، وتركه، ولم يلتفت إليه؛ أيْ: حقاً أنّ لهم النّار، وأنّهم متركون فيها، أو منسيُّون فيها. وقيل: مفرطون؛ أيْ: معجلون إلىٰ النّار، ومتركون فيها منسيُّون.

[٦٣] ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿تَٱللَّهِ﴾: التّاء: تاء القسم؛ تفيد التّوكيد، فيها معنىٰ التّعجُّب، والتّفخيم، يقسم الله تعالىٰ بنفسه لرسوله، وهي أشد القسم (التاء والباء والواو واللام)

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: أرسلنا رُسلاً إلىٰ أمم من قبلك؛ فكذبت الأمم رُسُلها. من: الابتدائية. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لتبيان معنىٰ الإرسال.

﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: بالوسوسة، والإغراء، والتّزيُّن، وهو تجميل وتحسين الكفر، والشّرك (عبادة الأوثان) في أعينهم.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾: وليهم اليوم؛ أيْ: ناصرهم في الدّنيا، أطلق علىٰ زمان الدّنيا يوم، وإذا كان المقصود يوم القيامة؛ فيكون معناه: قرينهم اليوم في النّار؛ أيْ: معهم في النّار.

﴿وَلَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام، لا يقدر عليه أحد.

[٦٤] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: ما: النّافية.

﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾: ولم يقل: إليك؛ لمعرفة الفرق بين عليك، وإليك: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٤)؛ للبيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: اللام: لام التّعليل، والاختصاص.

﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: أيْ: توضح، وتشرح لهم، وهذا من واجباتك، ولذلك قال عليك.

﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: من التّوحيد، والإشراك، والهدىٰ، والضّلال، والتّحليل، والتّحريم، والحق، والباطل، والبعث، والجزاء، أو سائر الأحكام الشّرعية.

﴿وَهُدًى﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢) من سورة البقرة؛ مصدر هداية، أو هو الهدىٰ بذاته.

﴿وَرَحْمَةً﴾: رحمة لمن اتبعه؛ أيْ: يجلب ما يسر، ويدفع ما يضر، ويقي من الوقوع في الشّر والمعصية. إذن ليس فقط للتبيان، وكذلك هدىٰ ورحمة، وفي الآية (١٠٢) من نفس السورة قال تعالىٰ: ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ بالفوز بالجنة، والنجاة من النار.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: هذا القرآن هدىٰ ورحمة خاصة بمن آمن بالله وحده، ورسوله، وصدق به، وعمل صالحاً.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدد، واستمرار إيمانهم.

❖❖❖

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

سورة النّحل [الآيات ٦٥ - ٧٢]

[٦٥] ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾:

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: من السّحاب ماءً؛ أيْ: ماء المطر، وكلّ ما يعلو الإنسان يسمّىٰ سماء؛ فالسّحاب سماء، ويعني: من السّحب الركامية. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (٩٩).

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: فأحيا: الفاء: للترتيب، والتّعقيب.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: أيْ: بعد أن كانت جدباء لا زرع فيها، ولا حب. بعد موتها: أيْ: أحياها بعد فترة طويلة، أو قصيرة من زمن موتها بالزّرع، والشّجر، وإخراج الثّمر، وليس مباشرة، ولو قال من بعد موتها؛ أي: من دون تراخٍ في الزّمن؛ يعني: مباشرة بدون مهلة أو فترة كما ورد في سورة العنكبوت آية (٦٣) ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٥، ٦٣)، وفصلت، آية (٣٩)؛ للبيان المفصل.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: إن: للتوكيد.

﴿فِى ذَٰلِكَ﴾: الإحياء.

﴿لَءَايَةً﴾: اللام: للتعليل؛ آية: دليل، وبرهان محسوس علىٰ قدرته تعالىٰ وعظمته.

﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: هذا المطر، أو الماء يُرىٰ بالعين، وقليلاً ما يسمع صوته، ورغم ذلك قال سبحانه: ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ لأنّ الله سبحانه يريد أن ينتقل بنا من

آية ترىٰ بالعين إلىٰ آية تسمع بالأذن؛ لأننا أمام فهم يحتاج إلىٰ السّمع، والبصر معاً.

[٦٦] ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾:

وهذه الآية الأخرىٰ دليل محسوس علىٰ قدرة الله تعالىٰ في عالم الحيوان.

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾: وإن: للتوكيد.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لكم خاصة أيها النّاس.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: ثمانية أزواج من الغنم اثنين، ومن الماعز اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الإبل اثنين.

﴿لَعِبْرَةً﴾: اللام: لام التّعليل؛ عبرة: مشتقة من العبور، وهو الانتقال من طرف إلىٰ طرف من طرف الجهل إلىٰ طرف العلم، والعبرة: الدّلالة الموصلة إلىٰ اليقين، أو الآية الّتي يُعْبَرُ بها من منزلة الجهل إلىٰ منزلة العلم.

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾: نسقيكم: نسب السقيا إلىٰ ذاته الكريمة لأهمية وعظم فائدة هذه السقيا، والتي تدل علىٰ رحمة الرب بعباده حتىٰ يسقيهم بذاته؛ بطونه: التذكير يدل علىٰ القلة؛ لأن هذه الآية تتحدث عن إسقاء اللبن، واللبن؛ أي: الحليب يخرج من قسم من إناث الأنعام؛ هذا القسم الذي يعطي اللبن من الإناث هو قسم قليل مقارنة بعدد الأنعام عامة، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢١) من سورة المؤمنون، وهي قوله تعالىٰ: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ التأنيث يدل علىٰ الكثرة إذا قارنا عدد إناث بشكل عام بعدد الأنعام؛ الهاء: تعود علىٰ إناث الأنعام، ولم يقل مما في بطونها. انظر إلىٰ الفرق بين بطونه وبطونها في نهاية الآية.

﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: الفرث: هو الطّعام المهضوم المختلط بعصارات الهضم... وغيرها، والجاهز للامتصاص من جدر الأمعاء.

﴿وَدَمٍ﴾: بعد امتصاص الفرث ينتقل بالدّم، ويصبح كريه المنظر، والرّائحة؛ ينتقل إلى الثديين، وكل ثدي رباعي التركيب؛ كلّ ربع يعمل مستقلاً لإنتاج وتخزين اللبن بواسطة الغدد اللبنية المتصلة بالشعيرات الدموية المغذية لها؛ هذه الغدد الّتي تستخلص اللبن من الدم الشرياني المؤكسد، واللنف الحامل للفرث (الطعام المهضوم) ليصفّى، ويصبح:

﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾: حليباً صافياً.

﴿سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: السّائغ: طيب الطعم يسهل بلعه.

لنقارن هذه الآية من سورة النّحل: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾، والآية (٢١) من سورة المؤمنون: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾.

آية سورة النّحل: ممّا في بطونه: تتحدث عن نسبة الإناث الضئيلة الّتي تُحلب؛ أيْ: تعطي الحليب بالنّسبة لإناث الأنعام بشكل عام، والّتي تشمل الإناث الصّغيرة، أو المسنة، أو الّتي لا تدر باللبن؛ فإن عددها قليل؛ فجاء بصيغة المذكر (بطونه) بدلاً من بطونها؛ لتدل على القلّة.

أمّا آية (المؤمنون): مما في بطونها: فبطونها تشير إلى نسبة كلّ إناث الأنعام بشكل عام؛ لعدد الأنعام؛ فهي كثيرة؛ فاستعمل صيغة التأنيث (بطونها)؛ لتدل على الكثرة.

أو آية النّحل: تشير إلى الجنس (جنس الأنعام)، فذكر الضّمير؛ فقال: في بطونه.

أمّا آية (المؤمنون): فتشـير إلىٰ إناث الأنعام الّتي تُحلب، وتعطي الحليب أنث الضّمير.

[٦٧] ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾: من: ابتدائية.

﴿ٱلنَّخِيلِ﴾: التّمر. النخل: اسم جنس يشمل النخيل.

﴿وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾: العنب.

﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾: منه: من: هنا بعضية؛ لأنّ بعضها تؤكل، وبعضها يستخدم للعصير، والخمر.

﴿سَكَرًا﴾: أي: الخمر، ولم يصفه بالسّـكر الحسن: لأنّه سبحانه حرَّمه بعد ذلك.

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: العنب، والتّمر؛ سـواء أكله، أم التّجارة به، وبيعه، وكذلك تحويلـه إلىٰ الكحول المسـتعملة في التعقيـم، والخل، والزّبيـب، والعصير، والأطعمة، والحلويات المعمولة من التّمر، والعنب.

﴿وَرِزْقًا﴾: رزقاً حسناً؛ مقارنة باستخدامها لصنع الخمر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة للبعد.

﴿لَءَايَةً﴾: اللام: لام التّعليل، أو التّوكيد علامة.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: من العقل، ومن عقل الشّيء عرفه بدليله، وأسبابه، ونتائجه؛ أيْ: إذا فكروا، وتدبروا الأمر، وصلوا إلىٰ الحقيقة أنّ الخمر ضاراً بالنّاس.

نزلت هذه الآية قبل تحريم الخمر، والّذي جاء في الآية (٩٠-٩١) من سورة المائدة. ارجع إلىٰ سورة المائدة، آية (٩١)؛ لبيان مراحل تدرُّج تحريم الخمر.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: قلنا: إنّ الوحي: هو إعلام بخفاء، والوحي هنا يتمثَّل بالتكوين الغريزي الخلقي للنحل؛ بما يسمَّىٰ: نظام المعلومات عند النّحل، أو بما يمتلك النّحل من حواس الشّم، والذّوق، والبصر، ويستطيع النّحل أن يميز بالخلايا الموجودة علىٰ قرونه رائحة الزّهور، ورائحة الأسرة الّتي ينتمي إليها كلّ نوع من النّحل، ورائحة الخلية بما يفرزه كلّ نوع من مواد تشع في أرجاء الخلية، وتعرفها كلّ نحلة من تلك العائلة، أو الخلية، وتحمل هذه الرّائحة المميزة لها كلمة السّر، أو الهوية؛ فلا تدخل أيُّ نحلة في غير خلاياها، أو مسكنها، وللنحلة قدرة علىٰ تمييز الألوان، والقدرة علىٰ الرّؤية عندها أقوىٰ من الرّؤية في الإنسان، وتستطيع رؤية الأشعة فوق البنفسجية، ولكلّ منها حركاتها الخاصة، ودورانها، والرّقص الدّائري، والاهتزازي، وتسمَّىٰ لغة الرّقص الّتي بواسطتها تحدد المسافات بعدد الرّقصات.

وتستطيع النّحلة أن تحدِّد مساراتها، والأمكنة المطلوبُ الوصول إليها

للوقوف على الزّهور الخاصة، ثمّ العــودة، والقدرة على اجتياز الطّرق الصّعبة، والأميال الطّويلة.

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: مســاكن لكي تأوي إليها مثل الخلايا؛ من: تفيد البعضية بعض الجبال.

﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾: من: البعضية؛ أي: اتخذي من بعض الشّــجر اتخذي بيوتاً خلايا للسكن.

﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: من: ابتدائية؛ ما: اســم موصول بمعنى: الّذي يبنيه النّاس من خلايا للنحل من خشب، أو طين، أو ما نسمّيه الخلايا الاصطناعية.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ثمّ: تفيد التّباين بين تغذية النّحل بالمواد السّكرية المصنعة من قبل الإنسان، وبين تركها تأكل من كلّ الثّمرات؛ أيْ: كلّ أنواع الزهور الّتي خلقها الله سبحانه لها، أو سخرها لها بلا حصر، أو تقييد، وهو الأفضل.

﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾: فاسلكي: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ اسلكي: من السّــلوك؛ أي: الدّخول بسهولة ويُسر؛ أي: المســير في هذه السّبل الطرق، والمســالك، والمسارات الّتي ســخرها الله ســبحانه لها في رحلات الذّهاب والإياب بسهولة ويُسر، وأما لو قال ادخلي؛ الدخول فيه مشقة وصعوبة.

﴿ذُلُلًا﴾: أيْ: ذللها الله لك؛ الذُّلُل: جمع ذلــول؛ أيْ: وطّأها، ومهّدها، وسهّلها لك ربُّ العالمين.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾: الشّراب: هنا العسل بمختلف ألوانه، وأنواعه؛ منه ذو اللون الأصفر، والأحمر المصفر، والعنبري اللون، والأصفر الباهت، واللون الزّيتوني، والأبيض... وغيرها من الألوان، وله أسماء مختلفة.

وكلمة شراب: جاء بصيغة النّكرة؛ لتدل على أنّ هناك أنواعاً مختلفةً من الشّراب، أو الأشربة إضافة إلى العسل، وكلمة بطونها تشير إلى مكان تشكل العسل في النّحلة؛ أيْ: في معدتها الّتي تقع في بطن النّحلة.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾: كلمة شفاء: نكرة ليشمل الكثير من أنواع العلاج، والشّفاء؛ ففي العسل شفاء للأمراض الجلدية، والجروح، والأمراض التّنفسية والتهاب القصبات، والرّبو، والأمراض الأخرى مثل القرحة، وأمراض الكبد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: إنّ في ذلك: ارجع إلى الآية (٦٧) من نفس السّورة.

﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: في صنع الله، وعجائب مخلوقاته، والنّحل أكبر دليل على ذلك للوصول إلى عظمة الخالق، وقدرته، وأنّه هو الّذي يستحق العبادة وحده.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾: أوجدكم، والخلق يعني: التّقدير، خلقكم من تراب، ثمّ من نطفة، ثمّ علقة، ثمّ من مضغة مخلقة، وغير مخلقة، ثمّ يخرجكم طفلاً، ثمّ لتبلغوا أشدكم، ثمّ لتكونوا شيوخاً.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّرتيب، والتّراخي في الزّمن.

﴿يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾: أيْ: يأمر ملك الموت بقبض أرواحكم عند انقضاء آجالكم.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: من هنا البعضية، وليس الكلّ يُرد إلىٰ أرذل العمر: أسوأ العمر، وذلك حين يبلغ الثّمانين، أو التّسعين، ويصاب بالخرف، والنّسيان، ويصبح عالة علىٰ غيره في حاجاته اليومية، ولا يعقل ما يقول، ولا يقوىٰ علىٰ شيء، وهناك من النّاس من يبلغون الثّمانين، والتّسعين، ويقرؤون القرآن وغير عالة علىٰ غيرهم، وفي صحة جيدة.

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: كي: للتعليل الأساسي.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: ولم يقل: لا يعلم من بعد علم شيئاً بإضافة (من)، كما في سورة الحج آية (٥).

فقوله تعالىٰ: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: أيْ: لا يتذكر القريب، أو البعيد؛ أيْ: يصاب بفقد الذاكرة للأشياء القريبة، والبعيدة بعد زمن قد يقصر، أو يطول، ولو قارنّا هذه الآية مع قوله تعالىٰ في سورة الحج، آية (٥): نجدهُ أضاف كلمة (من) وقال تعالىٰ: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: أيْ: لا يتذكر الأشياء القريبة فقط، أو تدل علىٰ فقد ذاكرته للأشياء القريبة بعد زمن قصير، ويتذكر الأشياء، أو الأمور البعيدة التي فعلها منذ زمن بعيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة كثير العلم بخلقه، وكونه، وما يحدث لهم، ويصيبهم من تغيرات وكم يعيشون.

﴿قَدِيرٌ﴾: على كلّ شيء يبقي من يشاء حياً لسنين طويلة، ومن دون أيِّ ضعف، أو تغيير في الذاكرة، أو يصيب بعض الأفراد بفقدان الذاكرة في أيِّ عمر، أو زمان، وبفقدان ذاكرة واحدة للقرب، أو البعد، أو بفقدان ذاكرتين للقرب والبعد معاً.

وهناك أمر آخر يجلب انتباه القارئ: وهو كيفية كتابة كلمة (لكي لا) في كلا الآيتين: ففي آية النّحل فصل بين كلمة كي ولا، بينما في آية الحج جمع بين كلمة كي ولا فكتبها لكيلا.

فهذا يدل على براءة القرآن الكريم من أيِّ تحريف مهما كان نوعه منذ نزوله على قلب رسول الله ﷺ.

والفصل بين (لكي ولا): ربما يشير إلى شيئين؛ أي: لكل (شيء) لا (شيء)، ويشيران لفقدان الذاكرتين القريبة والبعيدة.

والجمع أو الوصل بين لكيلا: لتدل على فقدان ذاكرة واحدة، وهي القريبة، وهذا يتطابق مع تفسير الآية.

[٧١] ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾:

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾: فضل: بسط، ووسع بين أرزاقكم؛ فجعل منكم الغني، والفقير، وهذا التّفضيل للابتلاء فقط، وليس له علاقة مطلقة بالعمل الصّالح، أو السيِّئ، أو الطالح. وجعل منكم المالك، والعامل، أو رب العمل، والأجير.

﴿فَمَا﴾: فما: الفاء: للتوكيد؛ ما: للنفي.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: فما الّذين بسط الله لهم الرّزق، أو أصحاب العلم، أو المُلك بمعطين من يعملون لهم نصيباً مساوياً لنصيبهم حتّىٰ يتساوون في الغنىٰ، أو الملك، أو الربح، أو يتساوىٰ ربُّ العمل مع أحد عماله.

فكيف جعل المشركون الأصنامَ شركاءَ لله، وسوَّوا بين الله سبحانه وبين أصنامهم، وعبدوها كما عبدوا الله تعالىٰ، وجعلوا لأصنامهم نصيباً مساوياً لنصيب الله.

﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: الهمزة همزة استفهام إنكاري، فكيف يجحدون بنعمة الله فيأخذون حق الله في العبودية والألوهية، ويعطونه للشركاء؛ فأنتم لا ترضون أن تتساووا مع عمالكم، وتكونوا شركاء، فكيف ترضون أن تجعلوا لله شركاء في ملكه، وتجحدون نعم الله عليكم ولا تشكرون المنعم؟ والجحود: هو إنكار الشّيء الظّاهر، أو العلم به، والجحود أخص من الإنكار.

الإنكار: أعم من الجحود، والإنكار عادة لما هو خفي مع العلم، أو غير العلم به. ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (٥١) لمزيد من البيان.

[٧٢] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أيْ: جعل لكم أزواجاً من جنسكم من الإنس، ولم يجعل لكم أزواجاً من الجن مثلاً، أو غير جنسكم.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: البنين: هم الذّكور، والحفدة: هم وَلَدُ الولد.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الطّيبات؛ أي: الرّزق الحلال الطّيب الطّاهر من الطّعام، والشّراب.

﴿مِّنَ﴾: البعضية. ارجع إلىٰ سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: أفبالباطل: الهمزة: استفهام إنكاري توبيخي، وتعجُّبي؛ الباطل لغةً: ما لا وجود له، أو الزائل الذاهب مثل الشرك، والظلم، والكذب... وغيرها، وتقليد الآباء بتحريم البحيرة، والسّائبة، أو أنّ لله الولد، والشّريك، والاعتقاد بشفاعة الأصنام، أو أنّها تقرِّبهم إلىٰ الله زلفىٰ.

﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: التّوحيد، والإسلام، والرّزق، والصّحة، والأمن.

﴿يَكْفُرُونَ﴾: ينكرون. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٣٤) لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.

❖❖❖

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ربع الحزب ٢٨

سورة النّحل [الآيات ٧٣ - ٧٩]

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾:

بعد أن عدد نعمه سبحانه عليهم، ورزقهم من الطّيبات، وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً، وبنين، وحفدة؛ كان من الواجب أن يعبدوه لنعمه، وفضله عليهم، ولكنهم عبدوا غيره، وأشركوا به.

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: العبادة لغةً: الذل والخضوع، والعبادة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من: الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم، والمسكين، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله ﷺ، وخشية الله تعالى، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضاء بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادات؛ فالعبادة: هي طاعة الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وتشمل العبادات الظاهرة والباطنة (العبادات القلبية) من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة، ولا تكون إلا لله وحده، ولا تكون إلّا مع المعرفة بالمعبود، وتعني: كمال الحب لله مع كمال الذل لله سبحانه، كما قال ابن القيم وهي الغاية من خلق الجن والإنس،

ولهـا أجر وجاء بصيغة المضارع؛ للدلالة على التّجدد، والتّكرار، والاستمرار عليها. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله؛ أيْ: بدلاً من عبادته وحده سبحانه عبدوا غيره من الأصنام، والأوثان الّتي لا تملك لهم رزقاً من السّموات والأرض مهما كان نوعه.

﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ما: اسم موصول، وهي أوسع من الّذي للعاقل، وغير العاقل.

﴿لَا﴾: النّافية للمستقبل، والحاضر.

﴿يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مثل: المطر، أو الطّاقة الشّمسية، والنجوم المليئة بالمعادن، والأرض: مثل النّبات، والبترول، والغاز، والمعادن... وغيرها. شيئاً: نكرة لا تملك لهم نفعاً، ولا ضراً.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: الاستطاعة: هي القدرة على فعل الفاعل مما يريده من أحداث الفعل.

والقدرة: أعم من الاستطاعة، والاستطاعة: أخص من القدرة، وتكرار (لا): يفيد توكيد النّفي.

[٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: أيْ: لا تجعلوا لله شركاء، أو أنداداً، أو تشبهوه بخلقه. تضربوا: من الضّرب فيه معنى التّهييج، والتّأثير في نفس السّامع؛ لكي يصل ما يقوله ضارب المثل إلى أعماق نفس المستمع.

والضّرب يعني: صوغ المثل، ويعني: نشره على ألسنة النّاس.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: الأمثال: جمع مثل، والمثل: هو قول موجز، أو تشبيه حال بحال يراد به توضيح أمر غامض، أو المقارنة، والموازنة، أو المفاضلة بين أمرين، أو التّبين، أو التّمثيل، أو الوصف والصنع، والاتخاذ، والأمثال دائماً تكون من باب المبين (الواضح)؛ فلا تضربوا لله الأمثال؛ فالله سبحانه ينهىٰ عباده أن يضربوا له الأمثال، إنما هو سبحانه الّذي يضرب الأمثال؛ أيْ: لا تشبهوا الله سبحانه بشيء آخر؛ لأنّه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته، وأفعاله، وصفاته، وأسمائه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن: حرف توكيد.

﴿يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: هذه هي علّة النّهي عن ضرب الأمثال لله من قبلكم؛ لأنّه سبحانه يعلم بواطن الأمور، وظواهرها، ولا تخفىٰ عليه خافية في الأرض، ولا في السّماء، ويعلم الغيب، وما تخفي الأنفس.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: جزاء أو عقاب تشبيه الله بالأصنام أو بخلقه أو لا تعلمون كيف تضربوا الأمثال.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

روي عن ابن عبّاس أن هذه الآية نزلت في عثمان بن عفان ﷺ؛ كان له مولىً كافرٌ، وكان عثمان ينفق عليه، ويكفله، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٤) السّابقة من نفس السّورة.

﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: أيْ: عبد مملوك غير حر التّصرف؛ عاجز عن السّعي، والعمل؛ أيْ: مُقعد.

﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: أيْ: على التّصرف؛ أيْ: غير موكَّل بأن يعمل، أو يشارك، بل مُقعد لا يفهم التجارة.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ أيْ: لا يستفاد منه في شيء. وهذا مثل الآلهة المُقعدة لا تفيد، ولا تضر.

﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾: من: ابتدائية، وتشمل الفرد، أو الجمع، وللعاقل.

﴿مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾: أي: السّيد الحر الّذي رزقه الله رزقاً حلالاً طيباً وافراً.

﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾: أي: يسعى ويعمل في تجارته، وينفق في سبيل الله في شتّى المناسبات.

﴿سِرًّا﴾: من دون أن يعلم به أحد.

﴿وَجَهْرًا﴾: ينفق بالعلن، ومن دون رياء.

﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾: هل: للاستفهام التّقريري، والسؤال موجَّه إلى السّامع، والجواب إما بنعم، أو لا.

والجواب هنا: لا يستوون.

ولما لم يقل: هل يستويان بصيغة المثنى؛ لأنّ المراد هنا سؤال الجنس (سواء أكان واحداً، أو أكثر) النتيجة واحدة لا يستوون.

فكيف تستوي هذه الأصنام مع هذا العبد الحر؟

أو كيف يسوون بين الله سبحانه مالك الملك، الرزاق الّذي يرزق كلّ مخلوق، أو كل عبد حرٍّ يسعى في تجارته ويربح وينفق، والأصنام العاجزة المقعدة غير القادرة على شيء؟

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحمد لله لها عدَّة معانٍ، ويجب الوقوف عليها.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أنكم عرفتم الجواب: لا يستوون.

أو الحمد لله: لأنّه لا شريك له.

﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي.

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنّ الله هو واجب الوجود الّذي يستحق العبادة وحده، أو لا يعلمون توحيده، وعظمته وقدره، وهناك أقلية تعلم ذلك.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: هذا مثل آخر للأصنام؛ فهي لا تسمع، ولا تتكلّم، ولا تضرُّ، ولا تنفع عابديها.

﴿أَبْكَمُ﴾: الّذي لا يتكلّم، ولا يُفهم ما يقوله، ولا يقدر على شيء؛ على النّفع، أو الضّر، أو العمل، أو التّدبير؛ أيْ: هو عاجز.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: عالة على مولاه: سيده، أو وليه يحتاج إلى المساعدة، والإنفاق عليه؛ لأنّه غير قادر على إعالة نفسه.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾: يوجهه: يصرفه ليقوم بأمر ما لا خير فيه، أو لا يجيبه ولا يستفاد منه.

﴿لَا﴾: النّافية؛ لا منفعة فيه البتة؛ لا يفيد نفسه، ولا غيره.

﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾: هل للاستفهام التّقريري.

﴿يَسْتَوِي﴾: يشابه، أو يعادل، أو يماثل.

﴿هُوَ﴾: تعود على الأبكم الّذي لا يقدر على شيء، وتمثل الصنم، أو الوثن، أو الآلهة.

﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: ومن: ابتدائية.

﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: أيْ: يقول الحق، أو يدعو إلى طاعة الله وتوحيده، أو يأمر النّاس بالعدل: بالقسط.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿عَلَىٰ﴾: الدِّين القيم المستقيم؛ دين الإسلام.

[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾:

وبعد أن بيَّن حقيقة الأصنام، والشّركاء، وقال تعالى: بل أكثرهم لا يعلمون عظمته، وتوحيده، وقدرته يذكر هنا مظاهر أخرى لعظمته وقدرته، وكمال علمه.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لله: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة؛ يفيد الحصر؛ حصر غيب السّموات والأرض له وحده؛ أيْ: علم الغيب، وعلم ملكوت السّموات والأرض؛ لا يشاركه في ذلك أحدٌ.

والغيب: هو كلّ ما غاب عن العباد؛ عن مدركاتهم الحسية؛ مثل: السّمع، والبصر، والعقل، ويشمل ملكوت السّموات، والأرض، والجنة، والنّار، وقيام السّاعة، ومن الغيب ما هو مطلق لا يعلمه إلا الله وحده؛ مثل: قيام السّاعة، ومن الغيب ما هو غيب نسبي، غيب أطْلع الله بعض رسله عليه.

﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾: وذكر أمر الساعة، وهي لحظة تهدم النظام الكوني الحالي؛ لأنها أهم الأمور الغيبية.

﴿وَمَآ﴾: للتأكيد.

﴿أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾: حدوثها، أو مجيئها، أو الإتيان بها.

﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾: وهو النّظر بسرعة، أو طرفة الجفن، أو إغماض الجفن (العين)، وفتحها فإذا بك تراها قد قامت.

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: من لمح البصر؛ للدلالة على إظهار شأنها العظيم، ولزرع الرهبة والخوف في قلوب الذين لا يؤمنون بها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: على قيام السّاعة، والبعث. ارجع إلى الآية (٢٠) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٧٨] ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

ومن مظاهر قدرته سبحانه خلق الإنسان في أطوار مختلفة.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: أيْ: أخرجكم من الأرحام.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: لا: النّافية.

﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة؛ أيْ: لا تعلمون شيئاً حين الولادة.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾: أفرد السّمع.

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾: جمع البصر.

﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: قيل: القلوب، أو العقـول، والأفئدة بالجمع؛ لأنّ العقول مختلفة في الفهم، والإدراك، والنّتائـج، واختار هذه الحواس الثلاثة؛ لأنها أهم حواس الإدراك.

ارجع إلىٰ سـورة البقرة، الآية (٧)؛ لمزيد من البيان، وسورة الملك، الآية (٢٣)، وسبب تقديم السّمع علىٰ الأبصار، وإفراد السمع وجمع البصر.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل: أداة للتعليل؛ أيْ: لتشكروا المنعم علىٰ نعمه، أو لعلكم تستعملنا هذه الحواس؛ لتصلوا إلىٰ معرفته، وتبصروا آثار صنعه، ومن ثمّ تشكروه علىٰ نعمه عليكم. ارجع إلىٰ سـورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

هذه صورة أخرىٰ من صور قدرة الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: ألم: الهمزة: للاستفهام؛ لم: حرف نفي.

﴿يَرَوْا﴾: رؤية بصرية، ورؤية فكرية عقلية للتعجُّب من صنع الله.

﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: سخر: هيّأ لها وجعلها قادرة علىٰ الطيران بما أودع الله سبحانه في جو السّماء من خصائص، وعناصر تحمل الطير، وبما أودع في الطير من أجهزة، وصفات تجعله يطير في جو السّماء، ولا يقع علىٰ الأرض؛ مثل: شكل الأجنحة، وأنواع الطيران، وخفة وزن الطائر، وشكل عظام الصدر، وعظام الطير الّتي تحوي علىٰ أكياس هوائية، وقوة عضلات الطيران... وغيرها. ومسخرات: قد تعني مذللات لأمر الله، ومذللات لمنافعكم.

﴿فِى﴾: في: ظرفية.

﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: أعالي السّماء.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: ما: النّافية.

﴿يُمْسِكُهُنَّ﴾: من السّقوط على الأرض.

﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: إلّا: أداة حصر؛ إلا الله تعالى؛ فالمسألة ليست فقط مسألة أجنحة، بل ذلك آية من آيات قدرة الله تعالى، وبديع صنعه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: اللام: للتوكيد؛ لآيات عظيمة: تدل على عظمة قدرة الخالق، وأنّه الإله الحق لا إله إلا هو واجب الوجود الّذي يجب طاعته، وعبادته، والتّوكل عليه.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: يستفيد منها الذين يؤمنون بربهم؛ أما الكفار: فقد عميت أبصارهم عن رؤية آيات الله تعالى، وإذا رأتها فهي رؤية معدومة الفائدة؛ لأنها لا تدرك ما ترى.

في هذه الآية (٧٩) من سورة النّحل يقول سبحانه: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، بينما في سورة الملك آية ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

الاختلاف: في سورة النّحل السّياق في التّوحيد، والنّهي عن الشّرك؛ فناسب اسم الله الّذي يشير على أنّه هو المعبود، أمّا في سورة فالملك السّياق في الرّحمة؛ فناسب ذلك ذكر الرّحمن، وفي سورة النحل قال تعالى (مسخرات) كما سبق ذكرها، وفي سورة الملك قال تعالى (صافات). ارجع إلى سورة الملك للبيان.

❖ ❖ ❖

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ
وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ
شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ
قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ
فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ
إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

سورة النّحل [الآيات ٨٠ - ٨٧]

[٨٠] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾: خاصة؛ جعل ،صيَّر، أو أوجد لكم.

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾: من: الابتدائية.

﴿بُيُوتِكُمۡ﴾: جمع بيت، والبيت الّذي يبيت فيه أيْ: يقضي فيه الليل، سواء نام، أم لم ينم، وقد يكون خيمة، أو غرفة واحدة، أو دار.

﴿سَكَنٗا﴾: أيْ: جعل بيوتكم سكناً؛ أيْ: للسكون، والرّاحة، كما أنّ الزّوجة سكن لزوجها، كما قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الرّوم:٢١].

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾: جعل: صيَّر، وأوجد لكم من جلود الأنعام بيوتاً مثل الخيام، والأنعام (ثمانية أزواج من البقر، والغنم، والماعز، والإبل).

﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾: مشتقة من خفَّ يخف عليكم حملها، أو تجدونها خفيفة، وسهلة الحمل يوم سفركم رحيلكم. والظّعن: الانتقال من مكان إلىٰ مكان؛ للبحث عن الكلأ، والمرعىٰ، والماء، والعشب.

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: يوم استقراركم، وعدم سفركم تجدونها كذلك سهلة البناء، والرّفع.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾: أصواف الغنم.

﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: أوبار الإبل.

﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾: أشعار الماعز.

﴿أَثَٰثًا﴾: مثل: الفرش، والأبسطة، واللحف، والسّتائر.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: مثل: الألبسة، والأدوات، والخزائن، والمقاعد، ووسائل للزينة.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: الحين: زمن غير محدود؛ زمن طويل، أو قصير، ثمّ تحتاجون إلىٰ غيرها، وهذا الجمع يذكر بنعم الله تعالىٰ وفضله العظيم علىٰ الناس، وكثرة إنعامه.

[٨١] ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾: جعل: صيَّر، وأوجد.

﴿مِّمَّا﴾: من: ابتدائية بعضية؛ ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الجبال، والشّجر، والبيوت، والسّحاب.

﴿ظِلَٰلًا﴾: جمع ظل: وهو الواقي من بعض أشعة الشّمس، أو ما يستظل به من حر الشّمس، وهذا يشير إلىٰ أن بعض أشعة الشّمس لا تخترق بعض الأجسام؛ كالجبال، والشّجر... وغيرها، ولنعلم أن هناك أشعةً شمسيةً أخرىٰ قادرة علىٰ

اختراق أيِّ جسم. ارجع إلىٰ الآية (٤٨) من نفس السورة للبيان. وارجع إلىٰ سورة يس آية (٥٦) لمزيد من البيان في معنىٰ الظلال.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمع كنٍّ: وهو المكان الّذي يستتر فيه مثل النّفق، أو الكهف.

﴿مِّنَ ٱلْجِبَالِ﴾: من بعض الجبال، وليس كلّ الجبال.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: سرابيل: جمع سربال: وهو القميص مصنوع من القطن، أو الصّوف، أو الكتان، واكتفىٰ ولم يذكر سرابيل تقيكم البرد؛ لأنّ ذلك مفهوم من سياق الكلام، وذكر الحرَّ؛ لأنّ الحرَّ أهم عندهم من البرد؛ لأنّ الحرَّ أمر دائم، والبرد قلَّما يحدث.

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: البأس: الحرب؛ مثل: الدّروع تقيكم من الطّعن، أو الجراح، أو القنابل، والشظايا.

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: أيْ: مثلما أنعم الله عليكم هذه النّعم كذلك يريد أن يتم نعمته عليكم في الدّنيا (نعمة الإسلام والإيمان).

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: لعل: للتعليل؛ أيْ: لتسلموا، وتوحدوا الله، وتخلصوا له، وتؤمنوا بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته؛ إيمان كامل، وليس إيماناً ببعض، وكفراً ببعض.

[٨٢] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾:

﴿فَإِن﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تَوَلَّوْا﴾: ابتعدوا، أو انصرفوا، وأعرضوا عنك، ولم يسلموا، ويؤمنوا بما أنزل الله تعالىٰ بعد كلّ هذه النّعم.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ إنما: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: علىٰ: تفيد العلو، والمشقة؛ أيْ: فليس عليك أمر هدايتهم، وإنما عليك البلاغ المبين.

﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: هو إيصال الرّسالة مع التبيين، أو الأداء علىٰ أتم وجه.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾: يعني: إيصال الرّسالة لكل فرد تستطيع منهم، وغيرهم، وإيصالها كاملة من دون نقصان؛ أي: البلاغ التّام الكامل.

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: يتمتعون بكلّ هذه النّعم الّتي أسبغها الله عليهم مثل البيوت والسّرابيل، ولا يشكرون المنعم، بل أو ينكرون ذلك، وهؤلاء يمثلون الأكثرية من النّاس، ويظنون أنّهم يستحقونها بسبب جهدهم، وعلمهم كما فعل قارون، أو هم ورثوها عن آبائهم، أو غير مطالبين بشكر المنعم، أو لكونهم يظنون أن نعمت الله هي المال فقط. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم آية (٢٨) لمعرفة الفرق بين نعمة ونعمت.

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: ثم: لبيان فضل الشكر علىٰ الإنكار، وارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٥١)؛ لبيان معنىٰ الجحود، والإنكار.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أيْ: هناك أقلية تشكر المنعم، ولا تنكر إنعامه عليهم، وأمّا الأكثرية؛ فهم الكافرون جمع كافر، والكفر قد يعني: الكفر العقائدي، أو كفر النّعم؛ أيْ: سترها، وعدم الاعتراف بالمنعم، والكافرون جملة اسمية تفيد ثبوت صفة الكفر عندهم.

[٨٤] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: أيْ: يوم القيامة، والتّنكير: للتهويل، والتّعظيم.

﴿نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: البعث: هو الإتيان من كلّ أمة بشهيد، أو المجيء بشهيد، والشّهيد من كلّ أمة: هو نبيها الّذي أرسل إليها؛ يشهد على نفسه أنّه قد بلغ الرّسالة لأمته، ويشهد على أمته أنّه قد بلغها، أو يشهد له بالإيمان، والتّصديق، أو يشهد عليهم بالكفر، والتّكذيب؛ مثلاً سيبعث الله تعالى من اليهود موسى شهيداً عليهم، وسيبعث الله بعيسى شهيداً على النّصارى.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: ثم: للترتيب الذكري؛ بعد البعث لا يؤذن للذين كفروا بالاعتذار، ولا يطلب منهم العُتبى.

﴿لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: لا: النّافية.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿كَفَرُوا﴾: في الكلام، أو الاعتذار؛ لأنّه ليس لهم عذر صحيح مقبول.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: من أعتبه؛ أي: استرضاه فأرضاه؛ لا يؤذن لهم بطلب العتبى، ولا يسمح لهم، أو يُقبل عتابهم، ولو حاولوا ذلك، أو لا يشير عليهم أحد بأن يطلبوا العُتبى.

﴿يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لم يجرؤوا على طلب العتاب بأنفسهم، وإنما طلب لهم العتاب غيرهم، أو شفعاؤهم. وكلمة يُستعتبون: جاءت في ثلاث سور: النّحل، الآية (٨٤)، وسورة الروم، الآية (٥٧)، وسورة الجاثية، الآية (٣٥).

وكلمة يَسْتعتبون: جاءت في آية واحدة في سورة فصلت، الآية (٢٤)؛ أيْ: طلبوا العتاب بأنفسهم؛ لكي يرضى الله عنهم، ويعفو عنهم.

[٨٥] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾:

﴿ وَإِذَا ﴾: ظرف للزمن المستقبل يفيد حتمية الحدوث.

﴿رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾: أي: الّذين أشركوا.

﴿ٱلْعَذَابَ ﴾: النّار، وفي آيـة أخرىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان:١٢].

إذن: هـم يروها، وهـي تراهم، كمـا في قولـه: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾ [الكهف:٥٣].

﴿فَلَا ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّافية.

﴿يُخَفَّفُ عَنْهُمْ ﴾: العذاب.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: تكرار لا يفيـد التّوكيد، وفصل التّخفيف عن الإنظار، فلا يخفف عنهم العذاب من جهة، ولا هم ينظرون من جهة أخرىٰ، ولا كلاهما.

﴿هُمْ يُنظَرُونَ ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿يُنظَرُونَ ﴾: يمهلون، أو يؤجلون عن الدخول في العذاب.

[٨٦] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾:

﴿ وَإِذَا ﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ ﴾: من الّذين أضلوهـم، وزيّنوا لهم من شـياطين الإنس، والجن الّتـي عبدوها؛ أي: الّذين اتُّبِعـوا، والّذين اتّبَعوا؛ رأوا سادتهم، وكبراءَهم الّذين أضلوهم.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ﴾: أيْ: نعبـد مـن

غيرك؛ أي: اعترفوا بشركهم بعد أن حاولوا سابقاً كتم شركهم، وقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣].

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: فأنطق الله سبحانه السّادة، والكبراء، وقالوا للمشركين: إنّكم كاذبون، أو أنطق الله الأصنام والأوثان.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: اللام: لزيادة التّوكيد؛ كاذبون: جمع كاذب، وهي جملة اسمية تفيد ثبوت صفة الكذب عندهم.

[٨٧] ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾:

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: يوم القيامة.

﴿ٱلسَّلَمَ﴾: الاستسلام، والخضوع؛ فهم لم يُسلموا طواعية، واختياراً في الدّنيا فها هم يستسلمون قهراً، وقسراً يوم القيامة.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: غاب عنهم، أو بطل ولم تعد تنفعهم آلهتهم الّتي يعبدون من دون الله من شيء.

﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: من الافتراء، وهو الكذب العمد؛ يكذبون عمداً، واختلاقاً في الدّنيا؛ كقولهم :هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أو يقربونا إلى الله زلفى.

❖❖❖

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب ٢٨

سورة النّحل [الآيات ٨٨ - ٩٣]

[٨٨] ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: منعوا النّاس من الدّخول في دين الله، أو أضلوهم عن الهداية، والإيمان، وزيَّنوا لغيرهم المعاصي، والابتعاد عن دين الله.

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: عذابان: عذاب على الكفر، وعذاب على الصّد عن سبيل الله، والفساد في الأرض.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء البدلية، أو السّببية؛ ما: مصدرية، أو اسم موصول بمعنى: الّذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾: في الأرض بالكفر، وإضلال النّاس، وصدهم عن الإيمان بالله تعالى، وإثارة الفتن، وارتكاب المعاصي، والقتل، والسّرقة... وغيرها.

[٨٩] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: هذه الآية تشبه الآية

(٨٤)، مع الاختلاف الآتي: في هذه الآية قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾، بينما في الآية (٨٤): ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾.

فكلمة في: تعني: الشّهيد من خارج هذه الأمة؛ أيْ: شاهد من أمة أخرى.

أمّا من: فتعني: الشّهيد من تلك الأمة نفسها، وقلنا: إنّ الشّهيد هنا يعني: النّبي الّذي بُعث لتلك الأمة؛ فهذا الشّهيد النّبي يشهد لنفسه، ويشهد على أمته؛ مثل: موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام.

أمّا في الآية (٨٩): ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾: أيْ: من جنسهم من البشر، ومن خارج تلك الأمة مثلاً: يبعث الله شهيداً من أمة محمّد ﷺ؛ الأئمّة أو أولوا العلم الّذين بلغوا منهج الله ليشهدوا على أنّ موسى قد بلغ أمته الرّسالة، أو يشهدوا أنّ عيسى قد بلغ أمته الرّسالة، وهذا يؤكده قول الحق سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وكيف يشهد أحدهم، وهو لم يكن من معاصري تلك الأمة. ارجع إلى الآية (١٤٣) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾: وجئنا بك يا محمّد ﷺ شهيداً على هؤلاء؛ أيْ: على أمتك، وقال: شهيداً، وليس شاهداً؛ لمعرفة الفرق: ارجع إلى الآية (١٣٣) من سورة البقرة.

﴿بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾: بدلاً من القول: وجئنا على هؤلاء بك؛ تقديم

بك الجار والمجرور يدل على الحصر، والاهتمام، وأمّا تقديم هؤلاء على كلمة بك: فيدل على ضلال تلك الأمة؛ لكونهم أشركوا، أو حرَّفوا كلام الله.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: للتنبيه؛ أولاء: اسم إشارة تشير إلى أمة محمّد أمة الإسلام. ارجع إلى الآية (٤١) من سورة النّساء؛ للمقارنة.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ونزلنا؛ أيْ: منجماً مفرقاً عليك، وليس إليك. ارجع إلى الآية (٤) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن الكريم.

﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: التّبيان مصدر مبين؛ أي: المبين لكلّ شيء.

﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: شيء: اسم جنس؛ تعني: كلَّ ما يسمَّى شيئاً، بيانه في الكتاب (القرآن)، ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، ويشمل ذلك سنة رسول الله ﷺ قولاً، وفعلاً، وتقريراً.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: ارجع إلى الآية (٦٤) من نفس السّورة.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: البشرى: على وزن فُعلى: وهي الخبر السّارُّ تسمعه لأوّل مرة، وسمِّي بشرى من البشارة، والبشرة؛ لأنّه يظهر أثرها على الوجه بعلامات السّرور، والفرح، وغالباً ما تستعمل في الخير، وإذا ذكرت في سياق الشّر فيراد بها التّهكم؛ فالقرآن الكريم يُعدُّ بشرى للمسلمين.

﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: يبشرهم بالثّواب العظيم، والنّعيم الخالد في الآخرة.

[٩٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: العدل: هو إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقَّه، وهو المساواة الكاملة في الأحكام، أو المماثلة، والعدل: هو الحق، وقيل: العدل واجب، أو فرض، وأما القسط في اللغة: فهو الحظ والنصيب، واستعمله القرآن مع الميزان فقال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن:٩]، والقسط يعني: تطبيق العدل.

﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ للبيان، وهو إتقان العمل، والإحسان: تفعله وأنت محب له، والإحسان: لا يقتصر علىٰ النّفس، بل يتعدَّىٰ إلىٰ الغير، والإحسان: مندوب.

﴿وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إعطاء القربىٰ ما يحتاجونهم من مساعدة.

هذه الثلاثة عوامل هي أدوات لبناء المجتمع، وبالمقابل هناك ثلاثة عوامل تهدم المجتمع: هي الفحشاء، والمنكر، والبغي.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الزّنىٰ؛ لما يسبب من اختلاط في الأنساب، وتدنس الأعراض، والفساد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما أنكره الشّرع، وحرمه، واستقبحه العقل السّليم؛ كالكفر، والشّرك، والقتل، وهو باطل.

﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: أخذ حقِّ الغير، والتّعدِّي عليهم بالقهر، والقوة.

﴿يَعِظُكُمْ﴾: من الوعظ: وهو النّصح بالطّاعة، والعمل الصّالح، والإرشاد إلى الخير، وتذكره بالثّواب، والعقاب، والتّحذير، والنّهي. ارجع إلى سورة النّساء، آية (٥٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعل: للتعليل.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾: ما يعظكم به، ولا تنسونه كما نسيتم ذلك من قبل؛ أي: الأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى.

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾: أيْ: أتموا عهد الله، والعهد هنا عام، وشامل يشمل كلّ العهود، ما عهده الله إلى عباده، وما تعاهد عليه الخلق فيما بينهم من بيع، وشراء، ويشمل العقود المؤكدة الّتي تسمّى الميثاق، وأضاف العهد إليه سبحانه مما زاده أهمية وتفخيماً.

﴿إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾: إذا شرطية ظرفية للزمن المستقبل، وتفيد حتمية الحدوث؛ أيْ: أتموا عهد الله إذا عاهدتم.

﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: النّقض: التّخلي، وعدم الوفاء باليمين.

﴿الْأَيْمَانَ﴾: جمع يمين: وهو القسم، أو الحلف بالله، وسمِّيت باليمين؛ لأنّهم إذا تحالفوا ضرب كلّ امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه، واليمين يعني: القوة، والقدرة، ومشتقة من يمين الإنسان؛ أيْ: ذراعه الأيمن الأقوى من شماله.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿جَعَلْتُمُ﴾: من جعل، أو صير.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: تقديم عليكم: يدل على التّوكيد، والقصر.

﴿كَفِيلًا﴾: شاهداً، أو رقيباً، أو حفيظاً وكيلاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: يعلم ما تفعلون في السّر، وفي العلن، وما تخفون وتكتمون، ومن الوفاء، أو النّقض، وعليم بخفايا صدوركم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: لا: النّاهية.

﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: يضرب الله لنا هذا المثل؛ ليبيِّن حال الّذين ينقضون العهد، والأيمان؛ كالمرأة القرشية الحمقاء الّتي كانت تقوم بعملية الغزل الّذي كان يحتاج إلى جهد عظيم، وزمن طويل، ثمّ تقوم بعد ذلك بفك الغزل، والنّسيج بعد مرور الغزل في مراحل دقيقة من تلاحم الألوان، والخيوط، والقرب من إتمام الصّنع.

﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: أيْ: بعد عمل شاق احتاج إلى قوة، كما يحدث في إبرام العقد، أو أخذ العهد الّذي يحتاج إلى قوة، وجهد عظيم، ثمّ يحدث النقض.

﴿أَنكَاثًا﴾: محلولاً، جمع نِكْثٍ: وهو ما نُقــض وحُل فَتْله من الغزل؛ ليُغزل ثانية.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾: أيْ: تمكــرون، وتخدعون، وتنقضون عهدكم مع الطّرف الآخر من أجل جماعة أقوىٰ عدداً، وعدَّة، أو فائدة ومصلحة لكم.

﴿دَخَلًۢا﴾: الدّخل: أن تُدخِل في الشّــيء شيئاً آخر أدنىٰ منه في الجودة في سبيل الغش، والخداع.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾: الأمــة: جماعة مــن الناس تجمعهم شــريعة واحدة، أو مبادئ ومصالح؛ بغض النظر عن الكم، أو الحيز الجغرافي؛ مثل: القبيلة، أو القوم؛ قبيلة أقوىٰ، أو أغنىٰ من قبيلة أخرىٰ.

أيْ: تنقضــون عهدكــم خديعة، ومكراً مــع قبيلة ما لتنضمــوا، وتدخلوا في تحالف جديد مــع قبيلة أخرىٰ أقوىٰ، ولا تتموا عهدكــم إلىٰ مدته من أجل المصلحة، والطّمع طلباً للدنيا والسّمعة.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: إنما: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: بــه تعود علــىٰ العهد، والوفاء بــه، والابتلاء يكون بالوفــاء به، أو نقضه بالغدر، والخديعة، وقيل: بــه قد تعود إلىٰ الكثرة الّتي تعني كثرة العدد (أربىٰ).

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ﴾: الواو: اســتئنافية؛ ليبيننَّ: اللام: لام التّوكيد، والنّون في يبيِّننَّ

حرف النّون (زيادة التّوكيد)، والفاعل ضمير مستتر تقديره الله؛ ليبيِّننَّ: يوضح لكم، أو يُظهر لكم.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لكم خاصة.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: ليبيِّننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم في الدّنيا تختلفون فيه من أمر العهود، والوفاء بها، أو نقضها، والحق من الباطل، ويجازي كلاً على عمله، وفي هذا إنذار، ووعيد، وتحذير من مخالفة الوفاء بالعهود.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: لو: حرف امتناع لامتناع، امتناع وجود الجواب لامتناع وجود الشّرط.

﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أيْ: لهداكم أجمعين سواء بالاختيار، أو القسر، أو كلاهما معاً، أو حملكم على الوفاء بالعهود قسراً، أو جعلكم على دين واحد، أو ملّة واحدة؛ فلا اختلاف، ولا بغضاء، ولا عداوة، وألف بين قلوبكم، ولكن لم يشأ، بل منح لكم العقل، وعرض عليكم الأمانة، وبيَّن لكم الحق، والباطل، وأرسل إليكم رسله، وأنزل إليكم كتبه، وترك لكم الخيار.

﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾: يُضل؛ أيْ: من اختار لنفسه طريق الضّلال، والإعراض عن منهج الله، واستمر على ذلك وابتعد، عندها يتركه الله سبحانه لما اختاره لنفسه من الضّلال والخذلان، وكذلك يعلم سبحانه في علمه الأزلي

أنّ هذا الضّال لن يتوب؛ أيْ: يرجع عن كفره فيمدُّ له في الضّلالة مدّاً، وقدَّم يضل على يهدي؛ لأنّ الضّالين في الأرض أكثر من المهتدين.

﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾: ويهدي من اختار لنفسه طريق الهداية، والطّاعة، ويمدُّ له، ويزيد في هدايته.

﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد.

﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: عن: للمجاوزة، والابتعاد؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي، أو مصدر. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كُنتُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿تَعْمَلُونَ﴾: تقولون، وتفعلون العمل يشمل القول والفعل؛ تعملون: من الضّلال، أو الاهتداء.

ولو كانت مسألة الهداية، أو الضّلالة جبرية قسرية؛ لما سألهم عما كانوا يعملون.

❖ ❖ ❖

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

سورة النّحل [الآيات ٩٤ - ١٠٢]

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾:

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: أيْ: ولا تجعلوا.

﴿أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾: الأيمان: جمع يمين: وهو القسم، أو الحلف الّذي نؤكد عليه؛ فنقول: والله، أو بالله. ارجع إلىٰ الآية (٩١) من نفس السّورة؛ للبيان.

﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: الدّخل: هو إدخال شيء في شيء آخر أدنىٰ منه في الجودة للغش، والخداع؛ أيْ: لا تجعلوا أيمانكم وسيلة للخداع، ونقض العهود طلباً للدنيا، ومتاعها، وسبباً لوقوعكم في الضّلال.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزل: الفاء: فاء السّببية.

﴿قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: أيْ: لا تنقضوا أيمانكم بالمكر، والخديعة الأمر الّذي يؤدِّي بكم للوقوع في الضّلال بعد أن كنتم ثابتين علىٰ الاستقامة، والإيمان؛ لأنّكم إذا فعلتم ذلك، فلن يبقىٰ هناك من يثق بكم، ويأمن جانبكم، وبذلك لا يدخلون في الإسلام، وتكونون أنتم السّبب؛ بسبب نقضكم العهد.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: أي: العذاب الشّديد في الدّنيا بالمهانة، والاحتقار من قبل النّاس، وبما قمتم به من صد النّاس عن سبيل الله؛ أيْ: دين الله بسبب صنعكم، وقد يؤدِّي الأمر إلىٰ قتلكم، وأسركم، ولكم في الآخرة عذاب عظيم.

[٩٥] ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ ﴾: لا: النّاهية.

﴿تَشْتَرُوا۟ ﴾: تستبدلوا، أو تبيعوا أيمانكم بأي ثمن، أو تبتغون بها عرض الدنيا.

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾: بعهد: الباء: للإلصاق؛ باء: البدلية؛ عهد الله يشمل جميع العهود فيما بين العبد وربه، وفيما بينه وبين النّاس.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾: أيْ: تنقضوا عهودكم لأجل المال، أو لأيِّ عَرَضٍ دنيويٍّ مهما بلغ وزاد أو عظيم؛ فهو قليل مقارنة بما عند الله سبحانه. وقد ورد الثمن بأنه قليل في تسع آيات في القرآن، وورد مرة واحدة بالثمن البخس كما قال تعالىٰ في سورة يوسف آية (٢٠) ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾، والبخس: يعني الرديء، أو هو ليس من قدر الشيء الذي بيع.

﴿إِنَّمَا ﴾: إن ما: حرف مشبه بالفعل يفيد التّوكيد.

﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: عند الله من نعيم، ورضوان، وجنات، وخلود.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: أفضل لكم؛ لكم خاصة: اللام: لام الاختصاص.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشّك؛ أي: الشّك أنّكم تعلمون ذلك.

﴿كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: ما هو النّافع من الضّار، والباقي من الزّائل.

[٩٦] ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾:

﴿ مَا عِندَكُمْ ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿عِندَكُمْ﴾: من رزق، ومال، ومتاع، وسمعة، وجاه، وقوة، وما تستعمل للشيء غير المحدد؛ أيْ: عامَّة، أو كلُّ ما عندكم.

﴿عِندَكُمْ﴾: ينتهي، ولا يبقىٰ منه شيء؛ يفنىٰ، والفناء فناء آخر الشّيء بعد فناء أوّله.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم لا ينقطع.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، ونون النّسوة: لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾: ابتغاء وجه ربهم؛ الّذين: اسم موصول يفيد المدح، والتّعظيم، وصبروا علىٰ الطّاعة، واجتناب النّواهي، وصبروا علىٰ البلاء، والمحن، والبأساء، والضّراء، وصبروا علىٰ الوفاء بعهودهم، وإتمام المدَّة.

﴿بِأَحْسَنِ﴾: الباء: البدلية للإلصاق.

﴿مَا﴾: تستعمل للشيء غير المحدَّد عامة لذوات غير العقلاء، ولصفات العقلاء.

﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: في الدّنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: تشمل الأقوال، والأفعال، ولم يقل: الّذي كانوا يعملون؛ الّذي: تستعمل للشيء المعلوم (المعرّف)، أو الخاص.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾: من: شرطية.

﴿عَمِلَ صَٰلِحًا﴾: من الفرائض، والنّوافل، والصدقات، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر... وغيرها.

﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: من: ابتدائية استغراقية؛ تستغرق؛ أيْ: تشمل كلّ ذكر، وأنثىٰ، والمفرد والمثنىٰ والجمع.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: وهو: الواو: تفيد التّوكيد؛ هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد أيضاً؛ أيْ: قرن العمل الصّالح بالإيمان، فالأعمال الصّالحة لا تقبل، أو تنفع إلا إذا اقترنت بالإيمان بالله تعالىٰ.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: فلنحيينَّه: الفاء: للتوكيد، واللام: لزيادة التّوكيد.

﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: تعريف الحياة الطّيبة اختلف فيه العلماء، وجاءت بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلّ عنصر من عناصر، أو مقومات الحياة الطّيبة، والتي تشمل النّاحية المادية، والمعنوية، ومن دون خوف، وقلق، بل الرضا بقضاء الله وقدره والاستقرار والأمن والتوكل علىٰ الله، والقناعة... وغيرها. ومنهم من قال: الحياة الطيبة: هي حياة الجنة، ومنهم من قال: الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛ أي: الجنة أيضاً، والفرق بين الحياة والمعيشة: أن الحياة أعم من المعيشة؛ أي: تشمل المعيشة التي تعني الأكل والشرب والنوم واللباس وغيرها، وعكس الحياة الطيبة المعيشة الضنكا، كما ورد في سورة طه آية (١٢٤) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: اللام، والنون: للتوكيد.

﴿أَجْرَهُم﴾: الأجر مقابل العمل.

﴿بِأَحْسَنِ﴾: الباء: للإلصاق، أو باء البدلية؛ أحسن: أفضل علىٰ وزن أفعل.

﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية، وما: عامة شاملة غير محدَّدة.

﴿كَانُوا۟﴾ في الدّنيا.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: العمل يشمل القول، والفعل؛ أيْ: ما كانوا يقولون، أو يفعلون.

لنقارن هذه الآية (٩٧) من سورة النّحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

مع الآية (٧) من سورة العنكبوت: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

في سورة النّحل: من عمل صالحاً: نكرة، ذكر أو أنثىٰ؛ لذلك جعل الجزاء عاماً؛ فجاء بـ(ما)؛ فقال: بأحسن ما (للعام) كانوا يعملون.

في سورة العنكبوت: والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات: الّذين آمنوا، وعملوا الصّالحات: معرفة؛ فجاء بأحسن الّذي: اسم موصول يفيد المعرفة، أو جاء الجزاء خاص بهم؛ أي: استعمل ما: للعام، واستعمل الّذي: للخاص والمعرفة.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾:

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: فإذا: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرف زماني للزمن المستقبل، ويتضمن معنىٰ الشّرط، وتفيد حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿قَرَأْتَ﴾: أي: إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، والقراءة قد تعني: كلمة واحدة. أما التّلاوة: فأصلها إتْباع الشّيء بالشّيء؛ يقال: تلاه تبعه، والتلاوة: تكون من كتاب الله تعالىٰ فقط، أما القراءة: تكون من الصحف، أو الكتب... وغيرها.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: تعني: اللجوء، والاعتصام، والاستجارة بالله تعالىٰ؛ ألا يلبس عليك الشّيطان، أو يخلط عليك قراءتك، أو يمنعك من تدبر آيات الله تعالىٰ: بالوسوسة، والتزيين. واستعذ: السين والتاء: تعني الطلب؛ أي: اطلب

العون من الله سبحانه، واسم الله يمثل كل صفاته، ولكن تكون الاستعاذة كاملة بكل صفات الله جاء باسم الله، ولم يقل استعذ بالرحمن، أو القوي العزيز أو غيره من الأسماء؛ لأن اسم الله يمثل كل أسمائه الحسنى.

﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ لمعرفة معنى: الشّيطان.

﴿ٱلرَّجِيمِ﴾: مشتقة من الرجم، وله معانٍ مختلفة؛ منها: اللعن، والطرد من رحمة الله تعالى.

[٩٩] ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ﴾: إنّه: إنّ: للتوكيد.

﴿لَيۡسَ﴾: للنفي.

﴿لَهُۥ﴾: تعود على الشّيطان.

﴿سُلۡطَٰنٌ﴾: أيُّ سلطان؛ سواء أكان سلطان الحُجَّة والبرهان، أم سلطان القهر والغلبة؛ أيْ: ليس للشيطان أيُّ سلطان مهما كان نوعه.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: هذه بشرى للذين آمنوا؛ أيْ: ليس للشيطان عليهم أيُّ سلطان.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾: تكرار (وعلى): تفيد العلو، والسّمو.

﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾: من التّوكل. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾: إنما: كافة ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿سُلْطَٰنُهُۥ﴾: سلطان القهر، والغلبة، أو سلطان الحُجَّة، والإقناع.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: يتخذونه ولياً؛ يطيعون أمره، ويتبعون خطواته، ويخضعون لوساوسه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾: والّذين: تكرارها يفيد التّوكيد، وفصل كلاً من الّذين يتولونه، والّذين هم به مشركون.

﴿بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾: به: تعود على الله، والّذين هم بالله مشركون، أو به: تعود على الشّيطان؛ أيْ: بسببه أشركوا بالله.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف للزمن المستقبل تفيد حتمية الحدوث.

﴿بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: أيْ: نسخنا حكماً بحكم آخر، أو آية بآية أخرى، كما قال الحق: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: جملة اعتراضية، والله أعلم بما ينزل: من الآيات.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿يُنَزِّلُ﴾: بصيغة المضارع؛ للدلالة على التّكرار، والتّجدد، وينزل:

منجَّماً على دفعات، وليس جملة واحدة، والله ينسخ، ويثبت بما يُصلح خلقه، ويخفِّف عن عباده حسب حكمته، ومشيئته.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾: قالوا؛ أي: الّذين كفروا.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد، والحصر.

﴿أَنتَ﴾: ضمير تفيد التّوكيد.

﴿مُفۡتَرِۭ﴾: من الافتراء: وهو الكذب المتعمد المختلق؛ أيْ: أنت تختلقه من نفسك.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: بل: للإضراب الإبطالي.

﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: الحكمة من النّسخ، أو التّبديل، وهناك أقلية تعلم، ويقولون : كلٌّ من عند ربنا.

[١٠٢] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾:

هذه الآية ردّاً على الّذين افتروا أنّ رسول الله اختلق القرآن، أو تَقَوَّلَه.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ﴾: أي: القرآن؛ نزله من نزل ، أيْ : من الله تعالى، أو من اللوح المحفوظ.

﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: الرّوح الأمين جبريل عليه السلام منجَّماً على طوال (٢٣ سنة) بالتّدرج.

وصف بالقدس لطهارته؛ فهو حمل الرّسالة الإلهية إلى الرّسل، ووصف بالرّوح الأمين؛ لأنّه نزل بالرّوح (بالقرآن) كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

﴿مِن رَّبِّكَ﴾: وليس مفترىً، كما قالوا.

﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: علىٰ إيمانهم؛ اللام: لام التّوكيد (التّعليل)؛ يثبت: تعني: الاستقامة، والالتزام علىٰ دين الله، والإيمان، فلا تزغ قلوبهم بعد الهداية، فلا يضلوا، ولا يضعف إيمانهم.

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٤-٨٩) من نفس السّورة.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: بالنّجاة من النّار، والفوز بالجنة، أو بالفلاح في الدّارين.

ونظير هذه الآية جاء في الآية (٩٧) من سورة البقرة: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وفي الآيات (١٩٢-١٩٥) من سورة الشّعراء: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

سورة النّحل [الآيات ١٠٣ - ١١٠]

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد؛ أيْ: تحقق ذلك، وحدث.

﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد؛ حيث يمكن أن تكون الآية نعلم أن كفار مكة وغيرهم أنّهم يقولون : يعلمه بشر.

﴿يَقُولُونَ﴾: ولم يقل: قالوا؛ لأنّهم استمروا في قولهم، وتجدَّد، وتكرَّر هذا القول بينهم يقولون : إنما يعلمه بشر (أحد من النّاس).

﴿بَشَرٌ﴾: اسم جنس: يشمل المفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى مشتقة من البشرى، والبشارة؛ أيْ: حسن الهيئة؛ يقال: رجل بشر؛ أيْ: حسن الهيئة، أو تعني: الظّهور، أو علو شأنهم، ومنزلتهم، أو من الظّهور، أو من كون لا تغطيهم الأشعار.

وكلمة بشر: نكرة؛ لأنّهم ليسوا على يقين من هو ذلك البشر الّذي يعلم رسول الله ﷺ، وتضاربت الآراء عندهم حول اسمه في تسعة أقوال؛ قالوا: هو غلام لبني عامر يقال له: يعيش كان يقرأ التوراة؛ فقالوا منه يتعلم محمد ﷺ كما روي عن ابن عباس، وقالوا: غلاماً لعامر بن الحضرمي واسم يسار (أبا فُكيهة)، وقال: عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا غلامان روميان أحدهما يسار والآخر

جبر، وكانا يضعان السيوف بمكة ويقرآن الإنجيل؛ فكان النبي يمر بهما وربما استمع إليهما فظن المشركون أنه يتعلم منهما.

﴿لِسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾: لسان: العرب تستعمل لسان بمعنىٰ اللغة؛ لأنّ اللسان: هو وسيلة الكلام؛ أي: ولغة الّذي يُلحدون إليه.

﴿يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ﴾: وتقرأ ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء وتقرأ (يَلحَدون) بفتح الياء والحاء؛ أيْ: يميلون إليه، ويشيرون إلىٰ اسمه، أو يزعمون أنه يعلمه، وأصل الإلحاد الميل يقال ألحد في القبر؛ أي: أمال حفرة عن الاستقامة واستعملت للقول ألحد في دينه أو ألحد في قوله، وبشكل عام الإلحاد هو: الميل.

﴿أَعۡجَمِىٌّ﴾: أيْ: في لسانه عُجمةٌ؟ أي: الّذي تزعمون أنّه يعلم رسول الله ﷺ هو أعجمي، وليس عربياً، وزيدت الياء: للتوكيد، والأعجمي: قيل في تعريفه: من لا يتكلَّم العربية، أو لا يفصح، ولا يُبين الكلام، حتّىٰ وإن كان أصله عربياً.

والعجمي: هو من أصله عجمي، وإن كان يتكلم العربية الفصحىٰ.

﴿وَهَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة، ويشير إلىٰ القرآن الكريم.

﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: أيْ: وهذا القرآن نزل بلسان عربي بلسان قريش باللغة العربية الفصحىٰ.

﴿مُّبِينٌ﴾: واضح، وظاهر لكلّ فرد لسانه؛ أيْ: لغته العربية، ومبين: لا يحتاج إلىٰ دليل، أو برهان؛ لإثبات ذلك؛ لأنّه واضح من قراءته.

[١٠٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

هـذه الآية جواب للذين قالوا: إنما أنت مفتـرٍ، كما ورد في الآية (١٠١)، والآية (١٠٣) من نفس السّورة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: لا: يصدقون بآيات الله.

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: بآيات: الباء: للإلصـاق؛ آيات الله القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات، أو البينات، والدّلائل على وحدانيته، وعبوديته.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: ولـم يقـل: آمنوا: يدل علـى عدم إيمانهـم المتجدد، والمتكرر.

﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: هداية المعونة، أو الهداية الخاصة.

﴿لَا﴾: النّافية.

﴿لَا يَهْدِيهِمْ﴾: لأنّهم أنفسـهم اختاروا طريق الضّلالة، واستمروا عليه؛ لا يهديهم إلى الصّراط المستقيم، أو إلى سبيل الرّشد، والإيمان.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: ولهم: اللام: لام الاسـتحقاق، هـم: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: عذاب شـديد الإيلام، كمّاً ونوعـاً؛ عذاب: نكرة؛ ليدل على هوله، وعظمته.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾:

هذه الآية، والآية السّابقة هي - كما قلنا - جواب للذين قالوا لرسول الله ﷺ: إنما أنت مفتر، وقالوا: إنما يعلِّمه بشر.

﴿إِنَّمَا﴾: إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ﴾: أيْ: لست أنت المفتر؛ إنما الّذين لا يؤمنون بآيات الله هم الّذين يفترون الكذب، وأولئك هم الكاذبون؛ الافتراء: هو الكذب المختلق المتعمَّد.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية السّابقة.

﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾: وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام، وأولئك: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ يشير إلى شناعة كذبهم.

﴿هُمُ﴾: للتوكيد: الكاذبون: جمع كاذب، وصفة الكذب ثابتة عندهم لا ينفكُّوا عنها؛ لأنّ المؤمن الحق لا يَكْذب.

وتكرار الّذين لا يؤمنون بآيات الله مرتين يفيد التّوكيد مرة على قولهم إنما أنت مفترٍ، ومرة ثانية على قولهم: إنما يعلمه بشر، **والخلاصة**: الّذين لا يؤمنون بآيات الله أوّلاً: لا يهديهم، ثانياً: لهم عذاب أليم، ثالثاً: هم الكاذبون.

[١٠٦] ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿مَن﴾: شرطية للعاقل؛ تعني: المفرد، أو الجمع، أو المثنى.

﴿كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾: كفر: كفر إلحاد بوجود الله، ووحدانيته بعد أن دخل في الإسلام.

﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق. ارجع إلى سورة البقرة آية (٦) للبيان.

﴿مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾: من: تفيد المباشرة، مباشرة من بعد إيمانه وإسلامه.

﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: إلا: أداة حصر، أو استثناء؛ أيْ: إلا من أكره على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان.

﴿مَنۡ﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي.

﴿أُكۡرِهَ﴾: بأن أصبحت حياته في خطر مهدَّد بالقتل، أو العذاب، والفتنة، فأكره على التّلفظ بالكفر، أو كلمة الكفر؛ فقالها لفظاً، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان.

﴿مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: مليءٌ بالإيمان، واليقين بالله تعالى، ورسوله ﷺ.

سبب نزول الآية: قال ابن عبّاس : نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر بعد أن قتل المشركون أباه ياسر، وأمّه سُمَيَّة، وهما أوّل قتيلين في الإسلام، ولما جاؤوا إلى عمار أعطاهم ما أرادوا بلسانه من أجل التّقية.

فمن أكره على الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فهو أمام خيارين:

الأوّل: أن يصمد ويصدع بالحق، وإذا قتل، أو مات مات شهيداً في سبيل الله .

والثّاني: أن يأخذ بالتّقية، ويستخدم الرّخصة على شرط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان، وأمّا إذا أكره على الكفر، وأُمر بأن يقتل أحداً؛ فلا يجوز فعل ذلك، والامتناع، والصّبر.

﴿وَلَٰكِن مَّن﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿مَّن﴾: شرطية، أو اسم موصول، وتعني العاقل، والمفرد، أو الجمع.

﴿شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾: أيْ: نطق بكلمة الكفر، وهو راضٍ وغير مبالٍ بها، أو سعيد بها، أو طابت نفسه بها.

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: على: تعني: الجميع.

﴿غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: سبحانه في الدّنيا؛ الغضب: أشد من اللعن الّذي هو الطّرد من رحمة الله تعالىٰ. غضب من الله: جملة اسمية تدل علىٰ ثبوت لعنة الله عليهم، ولا رحمة، ولا مغفرة لهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: اللام: لام الاختصاص، هم: للتوكيد.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، وهو أشد أنواع العذاب، والعظيم: هو العذاب الّذي يشمل الأليم، والشّديد، والمهين، والمقيم.

[١٠٧] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: ذا: اسم إشارة؛ يشير إلىٰ الوعيد أنّ غضب الله عليهم، ولهم عذاب عظيم.

﴿بِأَنَّهُمُ﴾: الباء: للتعليل؛ أنّهم: للتوكيد.

﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: لم يقل: أحبوا، وإنما استحبوا؛ أيْ: تكلّفوا، وغالوا في حبها؛ أيْ: حبهم زاد عن الحب الطّبيعي، بل انغمسوا، وأوغلوا في حبها، وساروا في طريق الشّهوات، والملذات، وآثروا الحياة الدّنيا علىٰ الآخرة.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: وأن: تفيد التّوكيد؛ لا: النّافية للجنس.

﴿لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: الّذين اختاروا الكفر على الإيمان، وأصروا عليه، ولم يعد لهم أمل في ترك الكفر.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾:

﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلى سوء حالهم، ومنزلتهم.

﴿الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: الطّبع: أشد من الختم؛ فلا يدخل قلوبهم أيُّ إيمان، ولا يخرج منها أيُّ كفر، وقوله تعالى: طبع الله على قلوبهم، ولم يقل: وطُبع على قلوبهم بالبناء للمجهول؛ للدلالة على شدة الطبع والتحذير منه.

﴿وَسَمْعِهِمْ﴾: السّمع: وسيلة من وسائل الإدراك، والختم على سمعهم يعني: فلا يسمعوا الوحي، أو القرآن، ولا الموعظة، ولا البينات، وأفرد السّمع؛ لأنّ الكلام المسموع هو نفسه بالنّسبة لكلّ فرد، وقدَّم السّمع على الأبصار؛ لأنّ السّمع أهم من البصر، وخلق السّمع قبل البصر. ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة، والآية (٢٣) من سورة الملك؛ لمزيد من البيان.

﴿وَأَبْصَارِهِمْ﴾: جمع الأبصار؛ لأنّ كلّ عين ترى أشياء مغايرة للآخر.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: أولئك: ارجع إلى أولئك في مطلع الآية نفسها.

﴿هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد؛ أيْ: إذا كان هناك غافلون فهم أغفلهم، ولا أحد أغفل منهم، أو الّذين غفلتهم تامة كاملة.

﴿الْغَافِلُونَ﴾: جمع غافل، وغافلون تفيد أنّ صفة الغفلة ثابتة، وملازمة لهم، ولن يَصحُوا منها، ويعودوا إلى رشدهم؛ الغافلون عن الآخرة، والبعث،

والحساب، والغافلون عن عاقبة أمرهم، ومصيرهم، وما لهم في الآخرة، وما ينتظرهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنى: غافلين.

والخلاصة: هؤلاء المرتدون الّذين كفروا بعد إيمانهم، وانشرحت صدورهم بالكفر عليهم غضب الله، ولهم عذاب عظيم، ولهم خمس صفات استحبوا الحياة الدّنيا على الآخرة، وحرموا من الهداية، وطبع الله على قلوبهم، وسمعهم، وأبصارهم، وهم من الغافلين والخاسرين.

[١٠٩] ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾:

﴿ لَا جَرَمَ ﴾: لا محالة، ولا بُدَّ، أو حقّاً من جرم. ارجع إلى الآية (٦٢) من نفس السّورة؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنَّهُمْ ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ﴾: هم: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾: جمع خاسر؛ خسروا أنفسهم بأن أوردوها النّار، وقد تشمل أهليهم؛ أيْ: حقّاً، أو لا محالة هم الخاسرون. وإذا قارنا هذه الآية من سورة النحل مع الآية (٢٢) من سورة هود، وهي قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ فالأخسرون: هم أشد خسارة من الخاسرون والأخسرون؛ إذا نظرنا في سياق الآيات تعني: الذين صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم، أما الخاسرون جاءت في سياق الذي صد نفسه فقط، ولم يصد غيره، فالأخسرون يضاعف لهم العذاب كما ورد في سياق الآيات مقارنة بالخاسرون.

[١١٠] ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: تدلُّ على تباعد حال هؤلاء من أولئك الّذين كفروا وشرحوا بالكفر صدراً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص.

﴿هَاجَرُوا﴾: من مكة إلى المدينة. ارجع إلى الآية (٤١) من نفس السّورة؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنْ بَعْدِ﴾: من بعد: منذ زمن قريب.

﴿فُتِنُوا﴾: أيْ: عذِّبوا؛ لأنّهم أسلموا؛ فتنوا: عن دينهم؛ ليكفروا، أو يرتدوا.

﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾: ثم: للترتيب الذّكري؛ أيْ: قاتلوا مع رسول الله ﷺ بعد الهجرة.

﴿وَصَبَرُوا﴾: على دينهم، وجهادهم، أو صبروا على الطّاعات، وتجنب المحارم، وصبروا على الفتنة، والبلاء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد الفتنة، أو الهجرة، أو المجاهدة.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ غفور: كثير الغفر: وهو السّتر، ومحو الذّنب؛ غفور: كماً وكيفاً؛ يغفر الذنوب جميعاً؛ إلا الشرك والكفر بالله.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم، رحيم: على وزن فعيل؛ رحيم بهم في الآخرة، ورحيم: خاصة بالمؤمنين؛ لم يعجل لهم العقوبة؛ لعلهم يتوبوا وينيبوا إلى ربهم فيغفر لهم.

❖ ❖ ❖

ثلاثة أرباع الحزب ٢٨

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

سورة النّحل [الآيات ١١١ - ١١٨]

[١١١] ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: منصوب جاء بصيغة النكرة؛ ليدل على هول ذلك اليوم، وعظيم أحداثه، ويعني: يوم القيامة.

﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: كلّ إنسان له نفس واحدة، وهذه النّفس لها حق الاختيار في أن تفعل، أو لا تفعل، ما أمرها ربها في الدّنيا، أما في الآخرة فيصبح كلّ إنسان يجادل عن نفسه؛ أيْ: يدافع، أو يحاول الاعتذار ليخلص نفسه من العذاب، ولا يهمه شأن غيره؛ يقول: نفسي نفسي، والنّفس الأولى: هي عينها، أو ذاتها النّفس الثّانية.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: تعطى كلّ نفس جزاء عملها تاماً غير ناقصاً؛ مما عملت من خير، أو شر. ما عملت، ولم يقل: ما كسبت؛ العمل: أعم من الكسب، العمل يشمل الكسب وغيره.

﴿مَّا﴾: حرف مصدري، أو بمعنى الّذي، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: هم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿لَا﴾: النّافية للجنس.

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: وإن كان مثقال حبة من خردل؛ لا يظلمون: ينقص شيئاً

من حسناتهم، أو يُزاد إلىٰ سيئاتهم سيئة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]، أو ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤].

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾:

بعد أن هدَّد الله سبحانه الكفار، والمرتدين بالغضب، والعذاب العظيم في الآخرة؛ يهددهم في هذه الآية بآفات الدّنيا، وما يمكن أن يحل بهم إذا كفروا بأنعم الله.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٤) من نفس السّورة؛ لمعرفة معنىٰ ضرب المثل، وضرب الأمثال يكون من باب المُبين.

﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾: قرية: قيل: هي مكة، كما قال أغلب المفسرون، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السبب.

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾: من الخوف من الاعتداء، والقتال.

﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: عندها مقومات الحياة الطّيبة، والمستقرة.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: لا يحتاج أهلها إلىٰ الانتقال والتّرحال طلباً للرزق، رزقها يأتيها من كلّ مكان من الثّمرات، والمنتجات، والطّعام، والشّراب، ومن متاع الدّنيا في رحلة الشّتاء، والصّيف من الشّام، واليمن.

﴿رَغَدًا﴾: الرّغد: العيش الهنيء الواسع.

وقدَّم الأمن علىٰ الرّزق؛ لأنّ الرّزق لا يأتي إلا إذا توافرت الطّرق الآمنة؛ لوصول الرّزق، والسّفر، والتّنقل من دون خوف.

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: الفاء: تدل على التّرتيب، والمباشرة؛ كفرت بأنعم الله؛ أي: الربانية الظاهرة؛ أيْ: جحدت النّعم، وأنكرت توحيده، وأشركت به، وكذبت برسوله محمّد ﷺ، واستعملت نعم الله تعالى في سبيل التّصدي، ومنع النّاس من الدّخول في الإسلام، والصّد عن سبيل الله بدلاً من شكر المنعم، والثّناء عليه.

وكلمة أَنْعُم: وردت مرتين في كل القرآن في هذه الآية، والآية (١٢٠) من نفس السورة، والأَنْعُم: جزء من النِعَم؛ النعم: شاملة للظاهرة والباطنة، أما الأُنْعم: فهي الظاهرة.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ إذا نظرنا في هذه الآية نجد ثلاثة أسئلة:

الأوّل: لماذا استعمل كلمة: أذاقها بدلاً من مسها الجوع والخوف؟ الجواب: لأن التذوق يعني: تمكن الطعام من الامتصاص أو التسرب إلى اللسان؛ أي: جسم الإنسان، وأما المس: فهو الإصابة الخفيفة التي قد لا يكون لها أثر، فالتذوق أشد من المس؛ فيدل ذلك على أن الجوع والخوف قد أثر فيهم، وترك آثاره لزمن طويل، وكذلك التذوق قد يكون مراً كما هو الحال في بعض الأطعمة، وكذلك الجوع والخوف كان مراً مكروهاً عندهم.

والثّاني: لماذا شبه الجوع، والخوف باللباس؟ لأن اللباس يحيط بالجسم كاملاً، وكذلك أحاط بهم الجوع والخوف، وتمكن منهم، فالكل أصيب بالجوع والخوف معاً.

والثّالث: لماذا قدَّم الجوع على الخوف؟ أولاً: لأن الجوع أشد على الإنسان من الخوف؛ أي: يمكن أن يتحمل الإنسان الخوف، ولكن لا يتحمل

الجوع. ثانياً: لأن الجوع يسبق الخوف، أو يؤدي إلىٰ الخوف حيث أن الجوع قد يؤدي إلىٰ السرقة والقتل، وهذا بدوره يؤدي إلىٰ الجريمة والخوف.

فالمس يعني: الإصابة الخفيفة، والذّوق يعبر عن الإصابة الأشـد؛ فأذاقها تعنـي: الجوع؛ أيْ: أجاعها، والجوع: أقوىٰ الحواس، وأشـد ألماً وحسـاً من المس؛ فلذلك استعمل الذوق. ارجع إلىٰ سورة هود، آية (٩)؛ لمزيد من البيان.

واستعمل لباس الجوع، والخوف: لشدة الجوع؛ أي: الحرمان من الطّعام، والذي استمر عدة سنين، والخوف الّذي حل بمكة، وقريش؛ فعندما يقل الطّعام يحتاج الجسـم إلىٰ الطاقة الحرورية، وعندما تنقص السكريات في الجسم؛ مما يؤدّي إلىٰ التّحول إلىٰ اسـتعمال الدّهون (المادة الشـحمية)؛ كمصدر للطاقة، وإذا اسـتمر الجوع يؤدّي في النّهاية إلىٰ اسـتعمال البروتينات في توليد الطّاقة، وعندها تظهر علىٰ الجسم علامات شدة الجوع علىٰ البشرة الجلدية الّتي تجف، وتنكمش، وتتغير معها ملامح الوجه، ويظهر الشّـحوب، ويقل وزن الإنسـان، ويصبح متعب مرهق.

فالجوع الشّديد تصاحبه تغيرات في البشـرة، واللون، والجسم، والوزن، تغيُّرات ظاهرية تشـبه باللباس الّذي يحيط بالإنسـان، كما أحاطت مظاهر شدة الجوع بجسـم الإنسـان، وهذا ما حدث لقريش أصابهم الفقر الشّديد في سبع سنين؛ فكانوا يأكلون الجيف، والعظام.

وأمّا الخوف الشّـديد ، فكذلك يؤدّي إلىٰ تغيُّرات في جسم الإنسان تؤدّي إلىٰ فرز هرمونات تؤدّي إلىٰ إثارة نهايات الأعصاب الّتي تقبض مسـام البشرة، وبالتّالي مما يؤدّي بالخائف إلىٰ اضطرابات في عدد ضربات القلب، ويقشـعر جلده، ويتغير لونه، وبالتّالي تحيط تلك التّغيرات بكامل الجسم، وهذه التّغيُّرات العامة الناتجة عن الخوف تشـبه اللباس الّذي يحيط بالإنسان؛ فقد كانت قريش

تعيش حالة غير آمنة مهددة من القبائل الأخرىٰ، واليهود، والرّعب الّذي بثَّه الله في قلوبها، وهذه الآية من آيات الإعجاز العلمي الطّبي في القرآن الّذي يدل علىٰ عظمة القرآن، وأنّه منزل من الخالق.

والجواب علىٰ السّؤال الثّالث: أمّا تقديم الجوعّ علىٰ الخوف؛ فلأنّ الإنسان يحتاج إلىٰ الطّعام قبل الأمن؛ لأنّ الجوع إذا اشتد قد يؤدِّي إلىٰ السّرقة، أو القتل أحياناً، وإشاعة الخوف، والرّعب في قلوب النّاس؛ فقدَّم الأهم أولاً، وهو الجوع علىٰ الخوف.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: بما: الباء: باء البدلية، أو السّببية.

﴿يَصْنَعُونَ﴾: ولم يقل: يعملون؛ لأنّهم أصبحوا علىٰ درجة عالية من ممارسة الشّرك والكفر، والإصرار عليه، ومعاداة الرّسول ﷺ، وأصبحوا ماهرين لا يفوقهم أحد، فهم تجاوزوا مرحلة العمل إلىٰ مرحلة الصّنع، والصّنع: هو حسن العمل؛ أيْ: أصبحوا راسخون في صناعة الكفر؛ أيْ: تفنَّنوا في الكفر، والشّرك، ولم يكتفوا بذلك؛ فحاولوا قتل رسول الله ﷺ؛ فدعا عليهم رسول الله فاستجاب الله تعالىٰ لرسوله ﷺ، وألبسهم لباس الجوع، والخوف.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله سبحانه في الآية السّابقة ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾، ومن أعظم نعم الله تعالىٰ الّتي كفروا بها هي أن: ﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد؛ أيْ: تحقق ذلك.

﴿جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾: جاءهم، ولم يقل: أتاهم، جاء فيها معنىٰ: المشقة، والصّعوبة، والإتيان: فيها معنىٰ السّهولة، وجاء يعني: وصل إليهم، جاءَهم

على فترة من الرّسل، وكانت أخلاقهم أخلاق الجاهلية. جاءهم: ليقوم ويصلح فسادهم، ومبادئهم.

﴿مِّنْهُمْ﴾: من العرب من قريش يعرفونه وعاش بينهم ولقبوه بالصادق الأمين.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ كذبوه ولم يصدقوا به، ويتبعوه.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: فأخذهم: الفاء: للترتيب والمباشرة؛ الجوع، والخوف، ولم يقل: فأخذهم الله بالعذاب؛ قال: أخذهم العذاب؛ كأنّ العذاب نفسه يريد أن ينقض عليهم؛ لأنّهم عاملوا رسولَ الله ﷺ بالمعاملة السيئة.

﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: وهم: الواو: واو الحالية للتوكيد، وهم: ضمير للتوكيد.

﴿ظَٰلِمُونَ﴾: جمع ظالم: كافرون، ومشركون صفة الظّلم أصبحت ثابتة عندهم. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٤) لمعرفة معنى الظلم.

[١١٤] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾:

الخطاب هنا في هذه الآية للمؤمنين ليأكلوا من الرّزق الحلال الطّيب، أو الخطاب موجَّه لقريش بعد أن أكلوا الجيف، وأصابهم لباس الجوع، والخوف.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: لأنّهم كانوا قبل نزول هذه الآيات لا يتورَّعون عن أكل ما حرَّم الله، أو أكل الخبيث؛ فجاءت هذه الآية تحثهم على أكل الطيبات؛ أي: الحلال والطاهر. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٦٩).

وكذلك كانوا لا يشكرون نعمه، فجاءت هذه الآية؛ لتحذرهم أن يقعوا مرة أخرىٰ فيما وقعوا به سابقاً، وتحثهم علىٰ شكر المنعم.

﴿إِن كُنتُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الشّك.

﴿إِيَّاهُ﴾: إياه: للحصر، والتّوكيد.

﴿تَعْبُدُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٣) من نفس السّورة، وفي الآية حث علىٰ العبادة، والاستمرار عليها.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: الّتي خرجت منها الرّوح، سواء أكانت منخنقة، أو موقوذة، أو متردية، أو نطيحة، أو ما أكل السَّبُع، أو قتلت بوسائل أخرىٰ، أو ماتت لكبر سنها، أو ماتت لمرض؛ فكل هذه الأسباب تؤدي باللحم إلىٰ التفسخ، والفساد نتيجة موت الخلايا لنقص الأوكسجين، وتحلل الأنسجة، وسرعة انتشار الميكروبات والجراثيم، وحدوث الخثرات الدموية في الأوعية والأنسجة.

﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾: والدم: يحمل كل نفايات الجسد السامة، والمواد الكيماوية، والمركبات الضارة؛ مثل: البولة الدموية التي يحاول الجسم التخلص منها، وكذلك البكتريا، والدّم الجاري المسفوح حرم شربه، واستعماله بأيِّ وسيلة، ومستثنىٰ من ذلك الكبد والطحال، ولحم الخنزير؛ لأن الخنزير حيوان قذر ونجس يأكل القاذورات، ولحمه بؤرة مناسبة لنمو الفيروسات والبكتريا والديدان التي هي متعايشة مع الخنزير فلا تؤثر عليه، وكذلك لحمه يحوي علىٰ

نسبة عالية من الحموض الدهنية غير المشبعة، والحاوية على الكولسترول، ومسببات الأمراض، ومنها ارتفاع الضغط، والبرودة الجنسية.

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: بأن ذكر اسم غير اسم الله عليه عند ذبحه؛ مثل: اسم اللات، والعزى، أو اسم هذا الولي، أو ذاك بدلاً من القول باسم الله، والله أكبر؛ فقد أثبتت التجارب العلمية على أن تذكية الحيوان بالذبح كما شرع الله يؤدي إلى زيادة في تصفية لحم الحيوان من الدم، وكذلك ذكر اسم الله عليه عند الذبح، والقول باسم الله والله أكبر يؤدي إلى مزيد من تصفية اللحم من الدم نتيجة الاختلاجات الناتجة عن الذبح والتكبير، وبذلك يكون أطهر وأطيب للجسم، وندرك بعض الحكمة من التحريم.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾: أن يأكل عليه أن لا يكون باغ ولا عاد. ارجع إلى سورة المائدة، آية (٣)؛ للبيان.

﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: أيْ: ليس عنده بدائل عن أكل الميتة، أو غيرها من المحرمات؛ أيْ: يأكل طعام يسد رمقه.

﴿وَلَا عَادٖ﴾: يأكل غير متجاوز حدَّ حاجته؛ أيْ: لا يملأ بطنه، وإنما يأكل لسدِّ رمقه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: فإنّ: الفاء: للتوكيد؛ إنّ: لزيادة التّوكيد.

﴿غَفُورٞ﴾: لأنّه يغفر الذّنب للمضطر، وغفور: كثير الغفر؛ أي: السّتر، يغفر الذّنوب جميعاً.

﴿رَّحِيمٞ﴾: لإعطاء الرّخصة بالأكل من الميتة، والدّم، ولحم الخنزير في حالة الاضطرار التي قد يؤدِّي إلى التّهلكة.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَلَا تَقُولُوا﴾: لا: النّاهية.

﴿تَقُولُوا﴾: هذا حلال، وهذا حرام.

﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾: أيْ: لا تصفوا الشّيء بالكذب، وتقولوا: هو حلال، أو حرام؛ مثال: لا تصفوا البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، أو الحام بالكذب، أو تقولوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرَّم علىٰ إناثنا، وتقولوا: هو حلال، أو هو حرام من دون الاستناد إلىٰ دليل شرعيٍّ.

﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: لتفتروا: اللام: لام التّعليل؛ لتقولوا عن الحلال حرام، والحرام حلال، أو تحلوا، أو تحرموا حسب أهوائكم، أو ما وجدتم عليه آباءكم؛ لتفتروا علىٰ الله الكذب بدلاً من: لتفتروا الكذب علىٰ الله؛ تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر، والقصر.

﴿الْكَذِبَ﴾: جاء بألف التّعريف؛ لأنّه كذب معروف؛ مثل: البحيرة، والسّائبة، والوصيلة، والحام، أو الميتة، ولم يقل: كذباً بصيغة النّكرة الّذي يشمل كلّ أنواع الكذب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد الذّم.

﴿يَفْتَرُونَ﴾: من الافتراء: وهو الكذب المختلق المتعمَّد، ويفترون: بصيغة المضارع الدّالة علىٰ التّجدد، والتّكرار.

﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: يكذبون على الله سبحانه؛ يقولون: هذا ما حرَّم الله، وهو تعالى لم يحرِّمه، أو بالعكس.

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: لا: النّافية.

﴿يُفْلِحُونَ﴾: في الدّنيا، والآخرة، والفلاح: النّجاة من النّار، والفوز بالجنة؛ أيْ: لن ينالوا الخير، وينجوا من النّار. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥)؛ للبيان.

[١١٧] ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: النّفع، والفائدة الّتي حصلتم عليها من جراء الافتراء على الكذب؛ متاع قليل، وزائل، ولن يدوم طويلاً.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام في الآخرة؛ غير قادر على تحمُّله أحدٌ.

[١١٨] ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه ما حرَّم مشركو مكة افتراء على الله، وقالوا: هذا حلال، وهذا حرام؛ يذكرنا الله سبحانه ما فعله الذين هادوا من قبل.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾: كان كلّ الطّعام حلالاً لهم، ثمّ حرَّم الله عليهم ما قصصنا عليك يا محمّد ﷺ. والسؤال: لماذا قدم (على) في هذه الآية بدلاً من (وحرمنا على الذين هادو)؟ للدلالة على أن ذلك التحريم خاصاً بهم، ولم يكن محرماً في شريعة إبراهيم عليه السلام، وإنما حرم عليهم ابتداءً عندما صدوا عن سبيل الله، وأخذوا الربا، وأكلوا أموال الناس بالباطل عندها حرم عليهم كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم، وهذا التحريم كان خاصاً بهم دون غيرهم.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أيْ: ما ذكرناه في سورة الأنعام، الآية (١٤٦)، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾: لأنّ سبب التّحريم: هو ظلمهم، وصدهم عن سبيل الله، وغيرها من الأسباب الّتي ذكرها الله سبحانه في سورة النّساء، الآية (١٦٠-١٦١)؛ فقد قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾، وكذلك: اتخاذهم العجل، ونقضهم ميثاقهم، فكانت هناك الأسباب الكثيرة الّتي أدت إلى التّحريم، ولم يكن ظلماً من الله سبحانه.

﴿وَلَٰكِن﴾: وما ظلمهم الله، ولكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بما ارتكبوا من المعاصي، وببغيهم، وطغيانهم.

❖❖❖

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

سورة النّحل [الآيات ١١٩ - ١٢٨]

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتوكيد، أو للترتيب الذكري.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لِلَّذِينَ﴾: للذين: اللام: للاختصاص؛ الّذين: اسم موصول.

﴿عَمِلُوا السُّوءَ﴾: كفروا بأنعم الله، وافتروا على الله الكذب بالتّحليل، والتّحريم، والكفر، والشّرك، وسمِّي سوءاً لسوء عاقبته.

﴿بِجَهَالَةٍ﴾: الباء: للإلصاق؛ جهالة: أيْ: عملوا السّوء مع العلم بالعقوبة، أو عاقبة أمرهم، ولكنهم تغافلوا عنها سفهاً، وطيشاً، وتهاوناً لنيل الشّهوة العاجلة، ولو فكروا، وتدبروا لما فعلوا ذلك، وقيل: كلّ عاص هو جاهل حين معصيته، أو سُمُّوا جهالاً لكونهم ارتكبوا المعصية ، والجهل ناتج عن عدم العلم.

إذن: الفرق بين الجهل، والجهالة: الجهل: هو عدم العلم بالعقوبة مثلاً، والجهالة: هي العلم بالعقوبة، ولكن لم يتجنَّبها سفهاً، وحماقة أصابته حين قام بها.

﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: ثم: للبعد، والتّباين بين الحالين عمل السّوء، والتّوبة، والإصلاح.

﴿تَابُواْ﴾: استغفروا ربهم، وتابوا، وكفوا عن عمل السّوء، ولم يعودوا إليه، وندموا على ذلك، وعملوا الصّالحات.

﴿مِنۢ﴾: تفيد قصر الزّمن، أو الفترة؛ أيْ: تابوا مباشرة بعد عمل السّوء.

﴿بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: أيْ: بعد عمل السّوء بزمن قصير، ولمعرفة أركان التوبة ارجع إلى سورة النساء، آية (١٧-١٨).

﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: إصلاح ما أفسدوا بأقوالهم، وأفعالهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ﴾: المربي، والخالق، والمدبر.

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: من بعد التّوبة، والإصلاح.

﴿لَغَفُورٞ﴾: اللام: للتوكيد؛ غفور: كثير المغفرة يغفر لهم ذنوبهم، وما عملوا من السّوء، وغفور؛ أيْ: كثير المغفرة يغفر الذنوب جميعاً إلا الشّرك، والكفر.

﴿رَّحِيمٞ﴾: كثير الرّحمة لا يعجل لهم العقوبة لعلهم يتوبون، ويعودون إلى رشدهم. رحيم: تخص المؤمنين بأنّه رحيم بهم في الدّنيا، وفي الآخرة.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾:

المناسبة: بعد ذكر الّذين كفروا بأنعم الله، وافتروا على الله الكذب بالتّحريم، والتّحليل، والشّرك، وذكر الّذين هادوا وما حرم عليهم، يذكرهم بجدهم إبراهيم عليه السلام الأسوة الحسنة الّتي يجب اتباعها، وأنّه تعالى أوحى إلى نبيه محمّد ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿كَانَ أُمَّةً ﴾: الأمّة: هنا تعني: الإمام كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾، أو فلان أمة في مقام أمة؛ أي: جماعة من الناس في الطّاعة، والعبادة، والخير فيه خصائص الأمة.

﴿قَانِتًا لِلَّهِ ﴾: مطيعاً لله قائماً بأوامره، وخاشعاً لله.

﴿لِلَّهِ ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿حَنِيفًا ﴾: مائلاً عن الملل الباطلة إلى الدِّين الحق.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: لم: نافية تنفي النّفي المتصل إلى زمن التّكلم، وتنفي الاستمرار.

﴿يَكُ ﴾: ولم يقل: يكن؛ يك: أقل من يكن، وأدنى منها؛ أيْ: لم يشرك بالله، ولو أدنى الشرك.

[١٢١] ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾:

﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾: بينما أنتم يا أهل مكة كفرتم بأنعمه، وأنّكم تزعمون أنّكم على ملة إبراهيم، وإبراهيم عليه السلام كان شاكراً لأنعم الله.

الأَنْعم: هي أخص من النّعم، وتعني: النّعم الظّاهرة؛ فهو شاكراً لأنعم الله الظّاهرة. والنِّعِم: تعني الظاهرة والباطنة، وشاكراً لأنعمه: أي: بعض نِعِمِهِ؛ لأن شكر النِّعِم كلها لا يستطيع عليها أحد، كما إن إحصاؤها لا يقدر عليه أحد، كذلك شكرها، والنِّعِم: جمع كثرة، والنَّعَم: جمع قلة مقارنة بالنِّعِم.

﴿ٱجْتَبَىٰهُ ﴾: مأخوذ من جبيت الشّيء: إذا أخلصته لنفسك وجبيت الماء

في الحوض؛ إذا جمعتــه، أو خصه الله بنعم خاصة بــه، أو الاجتباء يكون بعد الاختيار: اختاره للنبوَّة، وأن يكون خليلاً للرحمن.

﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: هداه هداية خاصة، هداية المعونة إلىٰ الإسلام، الصّراط المستقيم الّذي لا عوج فيه.

والصّراط: تعني: الواســع، والموصل إلىٰ الغاية، وهــي النّجاة من النّار، والفوز بالجنة بأقصر زمن، ومسافة، ومن دون عوائق.

[١٢٢] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾: من الإيتاء: وهو العطاء من دون تملك، وإمكانية اســترداد ما أعطي، والإيتاء: أعم من العطاء، ويشمل الأشياء الحسية، والمعنوية.

﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: قيل: الحســنة في الدّنيا تعني: الثّناء عليه من قبل جميع أهل الأرض، ومحبتهم له، والحســنة: هي الذّكر الحســن، أو الثّناء الحســن، والصّلاة عليه المقرونة بالصلاة علىٰ محمّد ﷺ، وقيل: الحسنة هي النّبوَّة.

أو هي الذّرية الطّيبة: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٣٧]، وجاء بصيغة النّكرة؛ لكي تشــمل كلّ أنواع الحســنات، ولمعرفة معنىٰ الحسنة: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: إنّ: للتوكيد؛ أيْ: إبراهيم.

﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في: ظرفية زمانية، ومكانية.

﴿لَمِنَ﴾: اللام: للتوكيد، والاختصاص.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة، الآية (١٣٠).

لنقارن هذه الآية من سورة النّحل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

مع الآية (٢٧) من سورة العنكبوت: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

استعمل أجره بدلاً من حسنة؛ لأنّ في سورة العنكبوت: ذكر تبليغ الرّسالة، والدّعوة إلىٰ التّوحيد فيها ذكر العمل المتواصل، ولذلك ذكر الأجر المقابل للعمل به.

بينما في سورة النّحل: لم يذكر أيَّ دعوة، أو تبليغ لإبراهيم، وإنما ذكر محاسن إبراهيم، ولذلك ليس هناك ذكر للأجر المقابل للعامل.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تفيد التّباعد، والتّراخي في الزّمن بين زمن إبراهيم، وزمن رسول الله ﷺ، أو التّباعد، والتّباين بين منزلة الرّسول ﷺ، وإبراهيم عليه السلام.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: من الوحي: هو الإعلام بخفاء أخبرناك يا محمّد ﷺ. ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنىٰ: أوحينا إليك.

﴿أَنِ﴾: أن: مصدرية تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿ٱتَّبِعْ﴾: الخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ، وأمته.

﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: شريعة إبراهيم الحنيفية السّمحة؛ شريعة التّوحيد، والإسلام. ارجع إلىٰ سورة إبراهيم، آية (١٣)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الملة.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الملل الباطلة إلىٰ الدِّين الحق، دين التّوحيد.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ومـا: الـواو عاطفة؛ ما: نافيـة. ما كان من المشركين: توكيد لقوله تعالىٰ حنيفاً.

﴿وَمَا كَانَ﴾: تنفي عنه الشّـرك نفياً يشـمل كلّ الأزمنة، وبكل أنواعه، وفي الآية (١٢٠) نفىٰ عنه مقداره؛ فقال: لم يك من المشركين.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾:

المناسـبة: وأنتم كذلك اتبعوا ملة إبراهيـم عليه السلام، ولا تختلفوا كما اختلف اليهود في السّبت.

واختيار يوم الجمعة كان دليلاً علىٰ اتبـاع محمّد ﷺ؛ ملة إبراهيم حنيفاً؛ لأنّ إبراهيم كان قد اختار يوم الجمعة في شرعه، بينما اليهود اختاروا يوم السّبت الّذي لم يكن من شرع إبراهيم.

فقد قال موسـىٰ لهـم: تفرغوا لعبـادة الله يوم الجمعـة؛ فرفضوا ذلك، واختاروا يوم السّبت، فرجعوا إلىٰ أحبارهم؛ فقال أحبارهم: اسمعوا لأمر نبيكم؛ فأبوا فذلك اختلافهم، كما روي عن ابن عباس.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾: فرض تعظيم السّبت، والانشغال بالعبادة فيه، أو جعل وبال تركه حُجَّة علىٰ الّذين اختلفوا فيه.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: علىٰ الّذين اختلفوا: أي: اليهود.

﴿فِيهِ﴾: قد تعود إلىٰ اختيارهم يوم السّبت للتفرُّغ للعبادة بدلاً من الجمعة، أو تعود إلىٰ إبراهيم.

الّذين اختلفوا فيــه؛ أي: اليهود، والنّصارىٰ، هــل كان يهودياً أم نصرانياً، وإذا كان الاختــلاف يرجع إلىٰ السّــبت؛ فقد كان اختلافهــم بينهم، وبين نبيهم موســىٰ عليه السلام، وليس بين اليهود بعضهم مع بعض؛ لأنّ الكلّ اختار السّــبت، أمّا موســىٰ عليه السلام فقد اختار الجمعة؛ فخالفوه، واختاروا السّبت؛ فجعل السّبت حُجَّة علىٰ الّذين اختلفوا فيه.

وقــد تعود إلىٰ القرية الّتي كانت حاضرة البحر؛ إذ يعدون في السّــبت بأن أحلوا الصيد منه، فاختلف أصحاب القرية، فانقســموا إلىٰ ثلاث طوائف. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، الآيات (١٦٣-١٦٦).

﴿عَلَىٰ﴾: تفيــد العلو، والمشــقة؛ أيْ: كان عاقبة اختيارهم للســبت ليس لمصلحتهم، وإنما عليهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: ليحكــم: إن والــلام: تفيــدان التّوكيد.

﴿لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين اليهود أنفســهم؛ بين أهل الملة الواحدة بالمجازاة علىٰ أعمالهم.

﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أيْ: ســيجازي هؤلاء الّذيــن خالفوا أمر نبيهــم، ويجازي الّذين أحلُّوا حرمته، واصطيادهم يوم السّــبت، والّذين عظموا حرمته.

[١٢٥] ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾:

بعد أن أمر الله سبحانه نبيه محمّد باتباع ملة إبراهيم حنيفاً؛ جاءت هذه الآية لتبين كيف يتم منهاج الإتباع، وبالتّالي الدّعوة إلىٰ دين الله وشرعه.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾: ادع: من الدّعوة، والدّعوة كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية: الدّعوة إلىٰ الله: هي الدّعوة إلىٰ الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا.

وقيل: الدّعوة إلىٰ الله: تتضمن الأمر بكلّ ما أمر الله به، والنّهي عن كلّ ما نهىٰ الله عنه.

وقيل: الدّعوة: هي إبلاغ النّاس، ودعوتهم إلىٰ الإسلام بالوسائل، والأساليب المناسبة لكلّ زمان، ومكان.

﴿سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾: هو الإسلام؛ أيْ: دين ربك، والإسلام كما جاء في حديث جبريل عليه السلام حين قال لرسول الله ﷺ: أخبرني عن الإسلام؟ قال ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وتقيم الصّلاة، وتؤتي الزّكاة، وتصوم رمضان، وتحج إلىٰ البيت إن استطعت إليه سبيلاً». رواه مسلم عن عمر بن الخطاب.

والإسلام لغةً: يعني: الخضوع، والاستسلام، والانقياد لله رب العالمين اختياراً لا قسراً؛ أي: الخضوع الاختياري لله رب العالمين.

وقيل: هو مجموع ما أنزل الله سبحانه علىٰ رسوله محمّد ﷺ من أحكام العقيدة والشّريعة، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات في القرآن والسّنة.

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: لها تعريفات كثيرة منها: هي إصابة الحق بالعلم، والعقل، وقد تعني: النّبوَّة والرّسالة.

وقيل: هي القرآن، أو الفقه في الدِّين، ومعرفة الأحكام، والتّفسير، والتّأويل، وتطلق على الحق، وعلى البصيرة، والإصابة في القول والفعل.

وقيل: هي القول المناسب في الوقت المناسب، والأسلوب المناسب. وقد تعني: مزيج من كلّ هذه التّعاريف؛ أي: الصّواب، والسّداد، والحق، والعلم، والعدل، والحلم، والقرآن، والسّنة، والباء بالحكمة تعني: باء الإلصاق، والاستعانة.

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: والموعظة: مأخوذة من الوعظ، وهو زجر مقترن بتخويف.

وقيل: التّذكير بالخير بأسلوب التّرغيب، والتّرهيب، والموعظة تشمل: القول، والفعل، والنّصح بالطّاعة، والعمل الصّالح، والإرشاد إلى الخير، والتّذكير بالثّواب، والعقاب، والتّحذير، والنّهي. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمعرفة معنى الحسنة.

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أي: الدّعوة تكون بالحكمة، والموعظة الحسنة أوّلاً وأخيراً؛ أيْ: مقصورة أوّلاً على الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال يضاف إلى وسائل الدّعوة إذا لزم الأمر واحتيج إليه، وعندها فليكن بالّتي هي أحسن.

والجدال: مشتق من الجَدْل: أصلها الفتل؛ فتل الحبل، واصطلاحاً: هو حوار بين طرفين، أو أطراف؛ لإثبات حق، أو إظهار حُجَّة، أو دفع شبهة،

والجدال: أشد من الحوار؛ قد تحدث فيه مخاصمة، وغضب. ارجع إلىٰ سورة غافر، آية (٤).

﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أيْ: أحسن الطّرق في المجادلة، وهي الرّفق، واللين، واليُسر، وتجنب الغضب، والتّكبر، والمراء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ هُوَ﴾: هو: للتوكيد، والحصر.

﴿أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: أعلم: علىٰ وزن أفعل صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

﴿أَعْلَمُ بِمَن﴾: بمن: الباء: للإلصاق؛ من: اسم موصول؛ من: للعاقل، وتشمل المفرد، أو الجمع.

﴿ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: تاه، وضاع، ضل عن دينه، وعن الصّراط المستقيم.

﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض، خرج عن دينه أيّام، أو أسابيع، أو شهر، وسنين، وسار في طريق الكفر، أو المعصية بسبب قلة علمه، وهواه، والشّيطان. وإذا قارنا هذه الآية من سورة النحل مع الآية (١١٧) من سورة الأنعام وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: جاءت بصيغة المضارع التي تدل علىٰ التجدد والتكرار. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (١١٧) لمزيد من البيان.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾: وهو: تكرار يفيد التّوكيد.

﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بالمهتدين منذ الأزل حتّىٰ قبل خلقهم، وهو أعلم بالسّائرين علىٰ الصّراط؛ أيْ: دينه؛ أي: ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالّتي هي أحسن، وما عليك

إلا البلاغ، وهون عليك، واصبر، واعلـم: أنّ أمر الهداية الخاصة بيد الله تعالىٰ يهدي من اختار لنفسه طريق الهداية، ويضل من اختار لنفسه طريق الضّلال.

[١٢٦] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾:

قال ابن عبّاس ، وجمهور المفسـرون: إنّ سـورة النّحل سورة مكية؛ إلا ثلاث آيـات منها نزلت بالمدينة بعد قتل العبّـاس، وهي: (١٢٦، ١٢٧، ١٢٨) نهاية سورة النّحل.

وسبب النّزول: بعد انتهاء معركة أُحُدٍ: رأىٰ رسول الله ﷺ حمزة رضي الله عنه وقد مُثِّل به، فشق ذلك علىٰ رسول الله ﷺ، وتوعَّد رسول الله ﷺ المشركين بالثّأر لحمزة؛ فنزلت هذه الآية.

المناسبة: بعد أن أمر الله تعالىٰ نبيه محمّد ﷺ بالدّعوة إلىٰ الله بالحكمة، والموعظة الحسنة؛ يأمر الله كذلك نبيّه بالعدل، والمماثلة في القصاص، وبالصّبر علىٰ المصائب، والبلاء، أو التّسامي إلىٰ درجة الصّفح، والعفو بدلاً من المقابلة، والمماثلة في القصاص؛ فقال: ولئن صبرتم لهو خير للصابرين.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: إن: شـرطية؛ تفيد الافتراض، أو نـدرة الحدوث، وكأنّ المعنىٰ الأفضل ألا تعاقبوا، ولم يقل: وإذا ، الّتي تفيد الحتمية، وكثرة الحدوث، والتّأكيد.

﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾: أي: للمقتـصّ حقُّ المماثلة؛ أيْ: يماثل الجاني.

﴿فَعَاقِبُوا﴾: الفاء: فاء السّببية، وقد ورد هذا المعنى في سورة البقرة، الآية (١٩٤): ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: ولئن: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، والنّدرة.

﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾: لهو: اللام: للتأكيد؛ أي: الصّبر خير من الانتقام، أو العقوبة، وفيه حثٌّ على الصّبر، والعفو لنيل الثّواب، والأجر.

﴿لِّلصَّابِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: صبركم خيرٌ لكم من معاقبتكم الجاني.

[١٢٧] ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾:

﴿وَاصْبِرْ﴾: الخطاب موجَّه إلى رسول الله ﷺ، وبالتّالي إلى أمته، أو إلى الجميع بالصّبر على الأذى، والبلاء، وعدم الانتقام، صبراً وأنت قادر على الانتقام، والثّأر؛ أيْ: صبراً ليس بسبب الضّعف، والجبن، ولكنه صبر تطوع ابتغاء مرضاة الله؛ الصّبر له درجات، وأنواع؛ انظر في ملحق هذه الآية؛ للبيان.

﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: وما: النّافية.

﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِاللَّهِ﴾: أي: استعن بالله على الصّبر؛ فإن لم يصبرك؛ فلن تصبر؛ لأنّه هو المعين على الصّبر، ولو قال: واصبر، وما صبرك إلا لله؛ أي: اصبر ابتغاء وجه الله، أو مرضاة الله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: لا: النّاهية.

﴿تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أيْ: لا تحزن على قومك إن لم يؤمنوا، أو لا تحزن على كفرهم، وشركهم، وعنادهم، أو ما فعلوا بك يوم أُحُدٍ. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (٣٢)؛ لمعرفة معنى الحزَن، والحزُن.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: ولا: الواو: عاطفة؛ لا: النّاهية.

﴿تَكُ﴾: أيْ: لا يكن في صدرك أيُّ ضيق مهما قلَّ، أو صغر، وحذف النّون، ولم يقل: ولا تكن في ضيق مما يمكرون، كما في الآية (٧٠) من سورة النّحل: إشارة إلى أقل الضّيق مما يمكرون؛ أي: اطمئن وهوِّن عليك، ولا تهتم بمكرهم، ولو أقل الاهتمام، وأدناه، ولتعريف المكر: ارجع إلى الآية (٤٦) من سورة إبراهيم.

﴿يَمْكُرُونَ﴾: جاء بصيغة المضارع؛ لتدل على تجدُّد، وتكرار مكرهم، وأنّه لن يتوقف.

ارجع إلى الآية (١٢) من سورة هود؛ لمعرفة الفرق بين ضائق صدرك، ويضيق، وضيق مما يمكرون.

والصّبر: خمس مراتب: صابر، مصطبر، متصبر، صبار، صبور.

صابر: اسم فاعل لفعل صبر.

مصطبر: مليء بالصّبر مداوم على الصّبر، اصطبر: داوم على الصّبر.

متصبِّر: يحمل نفسه (يجاهد) على الصّبر.

صبَّار: صيغة مبالغة كثير الصّبر في الكم.

صبور: صيغة مبالغة كثير الصّبر كيفاً عنده كلّ أنواع الصّبر.

أنواع الصّبر: صبر على طاعة الله، وصبر عن المعصية، وصبر على الشّدائد، والمصائب.

وأما الصّبر الجميل: الصّبر الّذي لا شكوى فيه، وإذا اشتكى لا يشتكي إلى أَحَدٍ إلّا الله فقط حصراً.

اصبروا: على الدِّين، والتّكاليف الشّرعية، وعلى تجنب المعصية، وعلى القضاء، والقدر.

صابروا: أشدُّ من اصبروا؛ كن أكثر صبراً من عدوك: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

صابروا: أعداءَكم.

وهناك صبر بالله كقوله تعالى في هذه الآية: واصبر وما صبرك إلا بالله؛ أي: استعن بالله؛ أي: اعلم أنّه هو المُصبر إن لم يُصبرك هو؛ فلن تصبر.

صبر لله: صبر لوجه الله ابتغاء مرضاة الله؛ الباعث على الصّبر: هو محبة الله، ومرضاته كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ [الرعد:٢٢].

صبرٌ مع الله: صبر الصّديقين: هو أصعب أنواع الصّبر؛ صبرٌ وفقاً لأوامر الله تعالى، ومحارمه؛ صبرٌ على الطّاعات، واجتناب المحرمات، والشّدائد؛ صبر التّسامي إلى درجة الصّفح، والعفو كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

[١٢٨] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾: مع: أصلها اسم لمكان أو زمان، ومع تعني: ضم الشيء إلىٰ الشيء، أو اسم معناه الصحبة، كما جاء في لسان العرب؛ أي: إن الله سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون بعلمه وبرعايته وبالقرب منهم، وكونه معهم فهو شرف لهم. التّقوىٰ خاصَّة بالفرد نفسه، تقواه تعود بالفائدة عليه نفسه.

والتّقوىٰ: أعلىٰ درجة من الإيمان، والتقوىٰ: هي امتثال أوامر الله تعالىٰ، وتجنب نواهيه.

الإحسان لا يقتصر علىٰ الفرد نفسه، بل يتعداه إلىٰ غيره.

فالإحسان: أعلىٰ درجة من التّقوىٰ.

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنّه يراك.

فالّذين اتقوا لهم جزاء، ولهم معيَّة مع الله سبحانه، كلّ حسب درجته.

والمحسنون: لهم جزاء، ولهم معيَّة مع الله سبحانه، كلّ حسب درجته.

والإحسان: يشمل الكمَّ، والكيف، والمحسنون: أصبحت صفة الإحسان عندهم ثابتة لا تتغيَّر. ارجع إلىٰ الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لمعرفة المزيد عن الإحسان.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

ترتيبها ١٧ | آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ
وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء [الآيات ١ - ٧]

ترتيبهـا في القرآن (١٧)، وترتيبها في النزول (٥٠)؛ نزلت بعد عام الحزن بعـد أن فقد رسـول الله ﷺ زوجه خديجـة، وفقد عمه أبا طالـب، ولجأ إلىٰ الطائف؛ فقُذف بالحجارة، وعاد إلىٰ مكة حزيناً منكسـر القلب؛ فجاءت حادثة الإسـراء والمعراج؛ لتغطي علىٰ تلك الأحداث، وتدخل الأمن، والطمأنينة إلىٰ قلبه ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾:

﴿سُبْحَٰنَ﴾: اسـم مصدر لفعل سبّح؛ أي: أنزهُ الله تنزيهاً مطلقاً: أن يكون له شـبيه، أو مثيل في كمال الذات، وكمال الصفات، وكمال الأفعال؛ لتبقىٰ ذاته متفـردة بالوحدانية، وكمال القـدرة العجيبة الّتي خلقـت الأزواج كلها، والّتي سَرت بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ثم عرجت به؛ ليكون قاب قوسـين أو أدنىٰ، والّذي بيده ملكوت كل شـيء رب السّموات والأرض، رب العرش العظيم، تنزيهاً له عن ذوات خلقه، وعن الولد، والبنت، والصّاحبة، والشّـريك تنزيهاً ثابتاً ودائماً من قبل أن يخلق من ينزهه، تنزيهاً يدل علىٰ الثبوت والدوام. ارجع إلىٰ سورة الحديد آية (١) لمزيد من البيان.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسـم موصول (معرفة) يختص بالمفـرد المذكر يفيد التّعظيم؛

أي: الله سبحانه، ولم يقل: سبحان من أسرىٰ. من: عامة تشمل المفرد، والجمع، ونكرة.

﴿أَسْرَىٰ﴾: من السُّري: وهو السير ليلاً مبني علىٰ السّر، والخفاء.

﴿بِعَبْدِهِۦ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: بمحمد ﷺ ببدنه، وروحه، ونفسه معاً، وليس فقط بالروح، والهاء: تعود إلىٰ الله سبحانه، وتدل علىٰ التشريف.

﴿لَيْلًا﴾: تعني: في تلك الليلة، وتفيد التّوكيد؛ لأنَّ أسرىٰ تعني: السير ليلاً، وتعني: الإسراء، تم في جزء من الليل، ولم يستغرق الليل كله، ولو قال: سبحان الّذي أسرىٰ بعبده الليل؛ لكان يعني: أن الإسراء استغرق كل الليل.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: من: ابتدائية؛ ابتداء الغاية المكانية.

﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: يشمل البيت الحرام: الكعبة، وكل ما هو داخل في حدود الحرم، وهو أول بيت وضع للناس للعبادة، وأول من بناه الملائكة، واختاره الله سبحانه، وسمي المسجد الحرام؛ لأنّه حرّم فيه ما لم يُحرم في غيره من المساجد.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾: الأقصىٰ؛ أي: الأبعد، وسمي الأقصىٰ؛ لبعده عن المسجد الحرام، أو عن مكة في ذلك الزمن، ولم يكن وراءه مسجد حينذاك.

﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: دليل علىٰ المبالغة في البركة، بركة دينية كونه مهبط الرسالات والأنبياء، والصّلاة فيه تعادل في الثّواب بـ(خمسمائة صلاة)، وكونه كان قبلة المسلمين الأولىٰ قبل تحويلها إلىٰ بيت الله الحرام؛ فقد صلّىٰ رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس (١٦-١٧) شهراً، كما أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وكونه مسرىٰ النبي ﷺ، وموضع عروجه إلىٰ السماء، كما أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك، وكونه ثاني مسجد وضع

للناس في الأرض بعد المسجد الحرام، كما روي عن أبي ذر الغفاري وأخرجه البخاري ومسلم، وبركة دنيوية: من بساتين، وثمار، ومياه، وسعة في العيش، والرّزق، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الأرض المقدسة وأرض الشام.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾: اللام: لام التّعليل، والهاء: ضمير يعود إلىٰ رسول الله ﷺ؛ فقد أعطاه الله القدرة والقوة علىٰ رؤية وتحمل الأشياء التي لا تقوىٰ عليها أي رؤية بشرية؛ سواء أفي الإسراء والعروج إلىٰ السموات العليا التي تحتاج إلىٰ استعداد وتحضير وأجهزة وأوكسجين لا يتصوره العقل.

﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: من: بعضية، وليس كلها.

﴿ءَايَٰتِنَآ﴾: الكونية، والمعجزات الخارقة للعادة بالإسراء من مكة إلىٰ بيت المقدس، ثم العروج إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وتكليمه من وراء حجاب، والعودة إلىٰ مكة في أقل من ليلة واحدة، ورؤيته ﷺ للجنة، والنّار، وملكوت السّموات. وإضافة الآيات إلىٰ الله سبحانه يدل علىٰ تشريف الآيات.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: السّميع لأقوال رسوله ﷺ، وأقوال المشركين في السر، والعلن؛ الّذين كذبوا رسول الله ﷺ بعد الإسراء، والمعراج، كما كذبوه قبل الإسراء، والمعراج، ولم يصدقوا ما أخبرهم به عن الإسراء، والمعراج، وأقوال من صدقوه مثل: أبي بكر. والسميع لأقوال خلقه جميعاً.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: بأفعال رسوله ﷺ، وأفعال المشركين حين آذوه في الطّائف، وبعد عودته إلىٰ مكة من رحلة الإسراء، والمعراج، وأفعال الّذين صدقوه؛ أمثال: أبي بكر وغيره من الخلق جميعاً.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: فيه وعيد للكفار على تكذيبهم لمحمّد ﷺ.

[٢] ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾:

المناسبة: بعد ذكر حادثة الإسراء، والمعراج، وما حصل من تكريم رسول الله ﷺ يذكر كذلك إكرام الله سبحانه لموسى عليه السلام.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التّوراة.

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وصيرناه هدىٰ: مصدراً لهداية بني إسرائيل (بني يعقوب)، والموصل إلىٰ الغاية: وهي إخراج بني إسرائيل من الظلمات إلىٰ النّور إلىٰ صراط العزيز الحميد.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾: ألا: مركبة من أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، ولا: للتوكيد.

﴿تَتَّخِذُوا۟﴾: من الاتخاذ، أو التصيير.

﴿مِن دُونِى﴾: من سواي، أو من غيري.

﴿وَكِيلًا﴾: الوكيل الّذي تسند إليه الأمور؛ لتدبيرها، ومن يطلب منه العون، ويأتي بالخير والنفع؛ لأنّه سبحانه القوي، وهو علىٰ كل شيء قدير.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ ... ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾: فيه انتقال من صيغة الغائب إلىٰ صيغة المخاطب؛ للفت الانتباه بعدم اتخاذ من هو دون الله وكيلاً. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنىٰ: التّوكل.

[٣] ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾:

﴿ذُرِّيَّةَ﴾: منصوبة على الاختصاص بقصد المدح؛ أي: أنتم خاصة يا ذرية نوح، وحذف (يا) ياء النداء بدلاً من (يا ذرية) من حملنا مع نوح، وحذف الياء؛ للقرب المعنوي، أو الحقيقي.

﴿مَنْ﴾: تدل على القلة، قلة من حملنا مع نوح على الفلك، ولو قال: الّذين؛ فتدل على الكثرة؛ من: ابتدائية.

﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في الفلك، أو السفينة.

وذرية: الذّرية أصلها: الأولاد، وتقع على الصّغار، والكبار، أو النسل، وهذه «من حملنا مع نوح»، أي: أولاد نوح: سام، وحام، ويافث.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا﴾: إنّه: للتوكيد.

﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: أي: كان نوحٌ عبداً شكوراً: كثير الشكر؛ صيغة مبالغة.

﴿شَكُورًا﴾: ولم يقل شاكراً؛ لأنّ شاكراً: يشكر الله أحياناً، أمّا شكوراً: دائب الشّكر، أو كثير الشّكر.

أي: يا ذرية نوح: تشبهوا بأبيكم نوح عليه السلام الّذي كان كثير الشّكر وكونوا مثله.

[٤] ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾:

﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أي: أعلمنا؛ قضى إليه؛ أي: أعلمه، وأخبره. أما: قضى به: فصل الأمر على التّمام؛ أي: حكمنا.

﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: بني يعقوب.

﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في التّوراة.

أي: أعلمنا بني إسرائيل في التّوراة؛ أي: أخبرناهم.

﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾: لتفسدن: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد.

تفسدن: من الإفساد: تخالفن شرع الله بالمعاصي، وبمخالفة التّوراة، وتحلُّون ما حرم الله، وتحرِّمون ما أحل الله، وتقتلون الأنبياء بغير حق، وقتل الّذين يأمرون بالمعروف من النّاس، وتحريف التّوراة، وكتمانه... وغيره من طرق الفساد. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥١).

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾: لم يحدد القرآن الزّمن قبل الإسلام، أو بعد مجيء الإسلام.

﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾: ولتعلن: الواو: عاطفة؛ لتعلن: اللام: لام التّوكيد، والنون: كذلك لزيادة التّوكيد، والعلو: هو التّكبر في الأرض عن طاعة الله، والاستعلاء على النّاس: بالظلم، والبغي، ومعصية الله، والعلو: الغرور بالقوة، أو القدرة، والشّعور بالفوقية.

[٥] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرف زماني للمستقبل، شرطية تفيد حتمية الحدوث.

﴿جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾: أولى مرتي الفساد، أو الفساد الأول. قيل: هو ما

حدث من يهود بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة الّذين خالفوا العهد مع رسول الله ﷺ، واعتدوا على حرمات المسلمين.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾: أي: جالوت وجنوده كما قال ابن عباس، وقيل: بختنصر وجنوده كما قال ابن المسيب والفراء، وقيل: العمالقة (القوم الجبارين).

﴿عَلَيْكُمْ﴾: تفيد العلو، والسيطرة.

﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أولي قوة شديدة وعدد.

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: من: جاس يجوس؛ أي: فتّش، ونقّب، وبحث، أو دخل الدار بدون حرب، واستولى عليها بدون مقاومة، أو طافوا خلال الديار يبحثون عنكم لقتلكم؛ فقتلوا الكثير، وأحرقوا التّوراة، وخربوا المسجد الأقصى.

﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: بين الديار؛ أي: تتبعوا آثاركم ينظرون هل بقي أحدٌ لم يقتل؛ حتّى يقتلوه.

﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾: أي: وعد صدق قادرين على إنجازه؛ نافذاً لا محالة.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الزمني، والتّراخي.

﴿رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾: الحديث موجّه إلى بني إسرائيل؛ أي: جعلنا لكم الغلبة، والقوة، والنّصر على أعدائكم، وسلطناكم عليهم، وسواء أكان ذلك بقتل داود لجالوت، أو قتل بختنصر، وقيل: الكرة الأولى: كانت للمسلمين في عهد الرسول ﷺ، والكرة الثانية: كانت لليهود على المسلمين.

﴿ٱلْكَرَّةَ﴾: أي: الغلبة، من: الكر، والفر الّذي يحدث في الحرب.

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: أمدهم الله بالمال، فأصبحوا أكبر أصحاب رؤوس الأموال في العالم، والبنوك، والتجارات، وازدادت أعدادهم بإمدادهم بالبنين والهجرة.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: من النفير، أو النافر؛ أي: من ينْفرُ مع الرجل من عشيرته للتصدي للعدو، ونصرته علىٰ أعدائه؛ أي: سخرنا الكثير من الدول الكبرىٰ؛ لنصرتكم، أو مساندتكم، أو جعلنا الكثير من الدول تهب لنصرتكم، ولا زالت هذه قائمة.

[٧] ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾:

﴿إِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: الخطاب لا زال لبني إسرائيل: إن أحسنتم أحسنتم بالإيمان، والطاعة، والعمل الصالح من قول، وفعل، في الدنيا أحسنتم لأنفسكم بالثواب؛ كقوله: من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: وإن: شرطية كالسّابقة.

﴿أَسَأْتُمْ﴾: بالمعاصي، والكفر.

﴿فَلَهَا﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: للاختصاص؛ أي: جزاء ذلك عائد إلىٰ نفسه؛ كقوله: ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره، أو كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، أو الإساءة تعود إليه؛ أي: يسيء إلىٰ نفسه، والإثم والعقوبة يقع عليه، أو يعود عليه.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: مرة الفساد الثانية. قيل: هذا الفساد الثاني: هو ما

نراه يحدث الآن في فلسطين، وبلاد الشام من خراب، ودمار من اليهود. انظر إلىٰ الآية (٥) السّابقة.

﴿فَإِذَا﴾: إذا: شرطية زمانية جوابها محذوف؛ تقديره: بعثناهم مرة أخيرة؛ أي: المؤمنين.

﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: الخطاب لبني إسرائيل؛ أي: تظهر علىٰ وجوههم آثار الإساءة، آثار الهزيمة، والخزي للمرة الثّانية.

﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: ليدخلوا: اللام: للتوكيد؛ أي: ليدخلوا أي: المسلمون المؤمنون المسجد الأقصىٰ؛ أي: يسترجعونه من أيدي اليهود كما دخلوه أول مرة، قيل: في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان المسجد الأقصىٰ عندها في أيدي المسيحيين النّصارىٰ، أو في زمن بختنصر.

وهذه الآية: تدل علىٰ أن المسجد الأقصىٰ سيستولي عليه اليهود، وسيدخله المسلمون، ويطهرونه من رجس اليهود دخولاً ثانياً، وبعد المرة الثانية لن يكون لليهود غلبة بعدها.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾: يتبروا؛ أي: يهلكوا، ويدمر المسلمون ما أقامه اليهود، وما بنوه، وشيدوه؛ ليزيلوا آثاره، ومعالمه، والتتبير: هو الهلاك.

﴿مَا عَلَوْا۟﴾: ما استولوا عليه، أو ما أقاموه، وما شيدوه، وليس بذاتهم، وأموالهم، وإنما بمساعدة أنصارهم.

﴿تَتْبِيرًا﴾: هلاكاً.

❖❖❖

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ
الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء [الآيات ٨ - ١٧]

[٨] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾: أداة للترجي؛ أي: أن تكونوا راجين ربكم أن يرحمكم، ولا تعني: أن الله سبحانه هو الّذي يرجو.

﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: أن: أداة استقبال خاصة بالمستقبل، والخطاب لبني إسرائيل؛ أي: عسىٰ ربكم أن يرحمكم حينذاك؛ أي: حين يجيء وعد الآخرة، أو في المستقبل.

انتبه إلىٰ الفرق بين: عسىٰ أن يرحمكم، أو عسىٰ أن ترحموا، وبين: لعلكم ترحمون.

عسىٰ أن ترحموا، أو أن ترحموا: أن: تفيد الاستقبال؛ أي: الرّحمة في المستقبل، ولا تعني الآن، وعسىٰ دائماً تقترن بأن في القرآن.

بينما لعلكم ترحمون: زمن الرّحمة مطلق في الماضي، والمستقبل، والحاضر، وفيها تجدد، واستمرار.

ولعلكم ترحمون: معناها اتخاذ الأسباب الّتي توصل إلىٰ الرّحمة مع رجاء الرّحمة من الله معاً، ولو أراد اتخاذ الأسباب فقط بدون رجاء الرّحمة من الله لقال بدلاً من لعلكم ترحمون: لترحموا.

﴿وَإِنْ﴾: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿عُدتُّمْ عُدْنَا﴾: أي: إن عدتم إلىٰ الفساد للمرة الثّالثة، عدنا إلىٰ عقوبتكم،

ولم يقل: وإن تعودوا نعد، الّتي تدل علىٰ كثرة العودة مرات عديدة. ارجع إلىٰ سورة الأنفال، آية (١٩)؛ للمقارنة.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾: جهنم: ارجع إلىٰ الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿حَصِيرًا﴾: أصل الحصير: البساط المنسوج الّذي يفرش علىٰ الأرض، وحصير من الحصر؛ أي: التضييق؛ أي: جعلنا جهنم سجناً، أو محبساً ضيقاً يحبسون فيه؛ أي: لا يخرجون منها، وهي ضيقة مطبقة عليهم لها ميزتان: الحبس، والضيق. وفي سورة الهُمزة، آية (٨-٩): وصفها «إنها عليهم مؤصدة في عمد ممدة».

[٩] ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾:

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: إن: للتوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة، والهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب؛ لكونه يهدي، والهداية تحتاج إلىٰ شيء قريب.

﴿الْقُرْآنَ﴾: من كونه مقروءاً، أو من القراءة، والقراءة تحتاج إلىٰ قرب؛ إذاً الهداية والقراءة كلاهما يحتاجان إلىٰ قرب؛ فاستعمل «هذا».

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: يهدي للوصول إلىٰ الغاية؛ يهدي إلىٰ الّتي هي أسَدُّ، وأصوب، وهي ملة الإسلام، أو الصراط المستقيم بأقصر زمن، وأقل مسافة، ودون عائق.

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يبشر من البشارة. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة، والبشارة: هي الإخبار بأمر سارٍّ لأول مرة.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: الّذين أصبح الإيمان صفةً ثابتةً لهم؛ المؤمنين بالله، وما أنزل على رسله.

﴿يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يعملون: تدل على التّجدد، والتّكرار لعمل الصالحات.

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾: الأجر مقابل العمل.

﴿كَبِيرًا﴾: تدل على عظم الأجر؛ فالكبير كل ما عداه صغير.

[١٠] ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:

مقابل المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات في الآية السّابقة: الّذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾: أن: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النّافية.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون بالآخرة؛ أي: بالبعث، والحساب، والباء: للإلصاق.

﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أعتدنا؛ أي: أعددنا، وهيّأنا.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: شديد الإيلام، لا يتحمله أحد.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾:

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾: الإنسان: اسم جنس؛ يدعو: من الدعاء بالشر على نفسه، أو ولده، أو ماله عند الضجر، والغضب، والعجلة، وعدم الصّبر؛ يدعو بالموت، والهلاك، أو اللعنة، ولا ينظر في عاقبة دعائه.

﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: أي: يدعو بالشر كما يدعو بالخير بالسلامة، والرزق، والعافية، سواء بشهوة أم بغضب متعجلاً بدون صبر وتمهل فيدعو على نفسه أو أولاده، ولو استجاب الله سبحانه له لأصابه الضر، وربما هلك، ولكن من رحمته سبحانه، وفضله لم يستجب لدعائه، وعليه الكف عن هذا للخوف من أن تكون ساعة استجابة فيندم حين لا ينفع الندم.

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ أي: كان عجولاً في كل الأوقات؛ عجولاً في دعائه، وأفعاله، وأقواله؛ عجولاً: صيغة مبالغة: كثير العجلة. وكما قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧]، ولا تعني أن الله خلقه عجولاً، وإنما من كثرة عجلته التي هي مكتسبة، أو من صنع يده يظهر كأنه خلق عجولاً. وهناك من الناس من يتجمَّل بالصبر ولا يتسرع، ولكن هذه الفئة قليلة، والغالبية ممن يبدو كأنه مجبول على العجلة، وعدم الصبر والتريث، وهناك أمور يستحب فيها العجلة مثل: دفن الموتى، والإسراع في سداد الدين، والرجوع إلى الله بالتوبة والإنابة، وكذلك الزواج في سن مبكرة وغيرها.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: الجعل يتم بعد الخلق.

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: علامتين دالتين على كمال قدرة الله سبحانه، وعظمته على الخلق، ووحدانيته.

﴿ءَايَتَيْنِ﴾: مثنى آية: آية كونية تدل على كروية الأرض، وأنّها تدور حول نفسها، وحول الشّمس؛ مما يؤدي إلى تعاقب الليل، والنّهار؛ الأمر الهام لاستقامة واستمرار الحياة على الأرض. ارجع إلى سورة يونس، آية (٦٧)؛ للبيان.

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: في بداية خلق الأرض كان الليل يضاء بستائر من نور تنزل من السّماء بشكل رأسي، ثم تنحني قليلاً حين وصولها إلى الأرض، وتكون على أشدها في القطبين الشمالي، والجنوبي، وتضعف كلما اتجهنا إلى خط الاستواء، وكانت تسمى: ظاهرة الفجر الكاذب، وكان النهار يضاء بالشمس؛ فكان النور، أو الضوء يعم الليل، والنّهار، ولكن الله سبحانه منَّ على البشرية بأنه خلق نُطُق الحماية الّتي لم تكن موجودة في بداية الخلق، وتكونت على مراحل؛ فقامت هذه النُّطُق بحجب هذه الأشعة، أو الستائر الّتي هي آية الليل، وبقي النهار مبصراً.

فالغلاف الجوي لم يكن موجوداً عند نشأة الأرض، وإنما تكون على مر العصور، وكان الليل هو السائد على الأرض في بداية الخلق رغم وجود الشّمس، وشروقها، ثم تكون الغلاف الجوي الّذي يضيء؛ لكونه يحتوي على غازات قابلة للإضاءة بنور الشّمس، واستغرق ذلك ملايين السنين؛ فبدأ الليل ينجلي تدريجياً، وضوء النهار يزداد قوة؛ فزالت الظلمة المحيطة بالكرة الأرضية،

فمع بداية الفجر تدخل أشعة الشّمس الطبقات العليا للغلاف الجوي، الّتي تتميز بكثافة ضعيفة، ثم تدخل أشعة الشّمس الطّبقات السفلى ذات الكثافة العليا؛ فإذا بالشّمس تشرق، ويصبح النهار مبصراً، وتنمحي آية الليل عن نصف الكرة الأرضية المقابلة للشّمس. ارجع إلى سورة يونس آية (٦٧) لمزيد من البيان.

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: لليل مهمة: وهي لتسكنوا فيه، وللنهار مهمة: هي لتبتغوا فيه فضلاً من ربكم؛ تسعون فيه لطلب رزقكم، وتبحثون عن أسباب عيشكم.

﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ﴾: الواو: عاطفة؛ أي: جعلنا الليل والنهار آيتين؛ لتبتغوا فضلاً من ربكم أولاً، وثانياً: لتعلموا عدد السنين والحساب؛ فالشّمس تحدد لنا الأيام؛ فالأرض تستغرق في دورتها حول الشمس (٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية)؛ أي: ما يعادل (٣٦٥١٢٥ يوماً)، وتقرر جمع أرباع اليوم وإضافتها إلى السنة الرابعة لتصبح (٣٦٦ يوماً)، وتسمى السنة: الكبيسة، والسنة القمرية تقدر بـ(١٢ دورة للقمر حول الأرض)، وتقدر كل دورة بـ(٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوان)؛ فالسنة القمرية تعادل (٣٥٤ يوماً و٨ ساعات و٤٨ دقيقة و٣٤ ثانية)، بحوالي (١١ يوماً) الفرق بين السنة الشمسية والقمرية، وكل (٣٣ سنة) يصبح هناك فرق سنة واحدة بين النظام الشمسي والنظام القمري. ارجع إلى سورة يونس، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: وكل شيء تحتاجون إليه في أمور دنياكم، وحياتكم، وأمور الدين؛ أي: دينكم، وأمور آخرتكم بيّنّاه بياناً لا التباس فيه.

نظير ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

[١٣] ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾:

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾: هنا يذكر مبدأ المسؤولية الفردية؛ فبما أن كل إنسان مخير في عمله؛ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وكل إنسان ألزمناه عمله في عنقه.

العمل شبه بالطائر؛ أي: طائره بمعنىٰ: عمله؛ فقد كانت العرب في الماضي إذا أراد أحدهم أن يقوم بعمل ما يأتي بطائر، ثم يطلقه؛ فإن طار عن يساره يتشاءم، ولا يقوم بذلك العمل، وإن طار عن يمينه يتفاءل به، ويقوم به.

وبعد ذلك يلوم الطائر علىٰ عمله، ويتهمه.

وأما بالنسبة للعنق: كانت العرب تعبر عن تلازم الشّيء بالشّيء بما يوضع في العنق؛ تقول: هذه أمانة في عنقك، كما تلازم القلادة العنق، هكذا يكون عملك ملازماً لك.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾: سجل أعماله، ويقول: ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها؟! ووجدوا ما عملوا حاضراً؛ يخرج له كتابه يوم القيامة كي يراه، ويقرأه، ونخرج: نون الجمع للتعظيم، أو الملائكة يخرجون له كتابه.

﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾: مفتوحاً معداً للقراءة قبل وصول صاحبه إليه ليقرأه.

[١٤] ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾:

﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾: اقرأ سجل أعمالك بنفسك، وانظر إلىٰ ما عملته في الدّنيا، وحاسب نفسك بنفسك؛ القائل هو الله سبحانه علىٰ ألسنة الملائكة.

﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ﴾: يوم القيامة.

﴿عَلَيْكَ﴾: على: تفيد العلو، والمشقة.

﴿حَسِيبًا﴾: محاسباً؛ أي: حاكماً، أو قاضياً.

[١٥] ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾:

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: من: شرطية.

﴿ٱهْتَدَىٰ﴾: يعني: التزم بمنهج الله، وسار على دينه، واهتدى إلى الصّراط المستقيم.

﴿فَإِنَّمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إنما: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾: لنفسه: اللام: تفيد الاختصاص، والاستحقاق؛ أي: هو المنتفع بذلك.

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا﴾: مثل: من اهتدى فإنما.

﴿يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: على: تفيد الاستعلاء؛ أي: عاقبة الضّلال، والإعراض عن منهج الله تقع عليه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: هذه الآية تؤكد الآية السّابقة (١٣).

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: نافية.

﴿تَزِرُ﴾: تحمل. والوزر: هو الحمل الثقيل (أو الثقل العظيم)، وعبر بالوزر بدلاً من الإثم، وكما أن الحمل الثقيل (الوزر) يتعب صاحبه (حامله) كذلك الإثم فإنه قد يقصم ظهر حامله.

﴿وَازِرَةٌ﴾: أي: نفس آثمة، أو وازرة محملة بالذنوب.

﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: أي: إثم نفس أخرىٰ، وإنما تحمل إثمها فقط.

وهذه القاعدة تنطبق علىٰ الّذي ضل في ذاته، ولم يتعدَّ ضلاله إلىٰ غيره، وأما إذا تعدىٰ ضلاله إلىٰ غيره فسوف يحمل وزره، وأوزاراً مع وزره؛ أي: وزره ووزر من أضله، كما بيَّن رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». أخرجه مسلم.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: ونظير ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: ليُبين لهم ما نُزل إليهم، وما كنا معذبين أحداً في الدّنيا والآخرة علىٰ فعل شيء، أو تركه إلا بعد إرسال الرّسل، والإنذار، وإقامة الحجة، وإعطائهم المهلة الكافية للتوبة. ولمعرفة الفرق بين نبعث، ونرسل: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩).

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل يتضمن معنىٰ الشرط.

﴿أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّوكيد، والتّعليل.

﴿قَرْيَةً﴾: أي: سكان القرية، وكلمة القرية تعني: أهل القرية، والبنيان.

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: أمرنا أغنياءها بالطاعة، والالتزام بمنهج الله علىٰ لسان الرّسل، ولكنهم خالفوا، وعصوا، أو معنىٰ أمرنا: كثرنا. قيل: أمر كثر؛ أي: كثرنا عدد المترفين فيها؛ لكي يشتد فسادهم، وفسقهم.

﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾: ففسقوا: الفاء: للتوكيد؛ فسقوا: خرجوا عن طاعة الله تعالىٰ، أو عن دينه، وخالفوا، وعصوا.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾: فحق: الفاء: للتوكيد؛ حق: وجب عليها العذاب، أو استحقت القول (العذاب)، ولم يقع بعد، وسيقع لا محالة في الدّنيا.

ولو قال: ووقع القول كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل:٨٥]؛ أي: قد وقع وانتهىٰ، أو يقع الآن.

﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾: التدمير يعني: الخراب، والهلاك، والدمار: هو دائماً يأتي كعقوبة، ويشمل كل شيء بلا استثناء. ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٤٥)؛ لمعرفة معنىٰ: الهلاك.

أي: أهلكنا كل أهلها، ولم يُستثنَ أحد من المترفين وغيرهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾؛ أي: تصيب الجميع؛ لأنّ غير المترفين لم ينهوا المترفين بالكف عن عصيانهم، وضلالهم، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، وحديث رسول الله ﷺ: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»، كما روىٰ البخاري عن زينب بنت جحش.

[١٧] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾:

﴿وَكَمْ﴾: الواو: استئنافية؛ كم: الخبرية تفيد الكثرة؛ أي: أهلكنا الكم الكثير من القرون.

﴿أَهْلَكْنَا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤) من سورة الأعراف؛ لبيان معنىٰ الهلاك.

﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: من: ابتدائية.

﴿ٱلْقُرُونِ﴾: جمع قرن، والقرن (مائة سنة)، أو القرن قوم عاشوا في زمن واحد مقترنين، مأخوذة من الاقتران.

﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾: ولم يقل من بعد آدم. قيل: كان النّاس بين آدم ونوح على دين الإسلام أمة واحدة، ومن هذه القرون الّتي أهلكت من بعد قوم نوح عاد، وثمود، ولوط، ومدين، وفرعون، وأصحاب الرس، وقرون بين ذلك كثير.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: أي: سبحانه لا هو يخبر أحداً من عباده عن ذنوب عباده، وهو سبحانه لا يحتاج من أحد من البشر؛ أي: من خلقه، أن يخبره، أو ينقل إليه ما يفعله عباده؛ لأنّه سبحانه خبير، عليم ببواطن الأمور، وخفاياها. بصير: يرىٰ ويبصر أعمال عباده؛ فلا تخفىٰ عليه خافية، سواء أكانت أعمالاً ظاهرة، أم باطنة، وسواء أكانت في السر، أم في العلن.

❖❖❖

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ
جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ
ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ
سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ
رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا
بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا
﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾
۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا
يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ
أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ
وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ
كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ربع الحزب ٢٩

سورة الإسراء [الآيات ١٨ - ٢٧]

[١٨] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾:

﴿مَّن﴾: ابتدائية شرطية.

﴿كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: العاجلة: مؤنث العاجل؛ أي: الدّنيا، ولم يقل: من أراد الدّنيا؛ إنما قال: يريد: فعل مضارع يدل على التّجدد، وطلب الدّنيا باستمرار، وعدم الكف عن ذلك.

﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾: بالقدر الّذي نشاء، ولمن نختار، أو لمن نريد، وليس حسب ما يريده ويطلبه العبد، أو بالقدر الّذي يشاؤه العبد؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧]. وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران:١٤٥]؛ لأن الثواب متجدد في كل عمل.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿جَعَلْنَا﴾: صيرنا، أو هيَّئنا.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾: يحترق بها، ولمعنى جهنم: ارجع إلى الآية (١٨) من سورة الرعد.

﴿مَذْمُومًا﴾: مذموماً، من الـذم: من الله، والملائكـة، والناس أجمعين، والذم يعني: أتى بعمل يستحق الذم؛ أي: اللوم على أمر قبيح، سواء أكان المذموم أمامك، أم غائباً، وهو نقيض المدح.

وأما الفرق بين اللوم، والذم؛ اللوم: قد يكون على فعل حسن؛ كاللوم على كثرة الصدقة.

أما الذم: فلا يكون إلا على فعل قبيح فقط.

﴿مَدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله سبحانه، أو مبعداً عنها.

الفرق بين يريد، وأراد:

يريد: تدل على التّجدد، والاستمرار في طلب الدّنيا، وأنه دائماً مشغول بها.

أراد: بصيغة الماضي تدل على قلة الطلب، والانشغال، والركض وراء الدّنيا.

ولربط الذم بالدحر مذموماً مدحوراً.

مذموماً: أي: فعل أمراً قبيحاً يستحق أن يُذم عليه، واستحق أن يُطرد، ويُبعد عن رحمة الله بسببه؛ أي: مدحوراً: اسم مفعول من دحر: طرد، وأبعد.

ولربط الذم بالخذلان: مذموماً مخذولاً.

مذموماً: أي: فعل أمراً قبيحاً يستحق أن يذم عليه، ولن يجد من يدافع عنه، أو ينصره؛ أي: مخذولاً من: خذله ترك عونه ونصرته، ومخذولاً: اسم مفعول.

[١٩] ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾:

﴿ وَمَنْ ﴾: ابتدائية شرطية.

﴿أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ ﴾: ولم يقل: يرد الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: (الفعل المضارع الذي يدل علىٰ التكرار والتجدد). إنما أراد؛ أي: ولو مرة واحدة، أو أرادها بقليل من العمل الصالح والمستمر، والإرادة: تعني العزم علىٰ القيام بالفعل، أو تعني الثبات والرسوخ في الإرادة، أو كان أدنىٰ من إرادة الدنيا علىٰ الأقل.

﴿وَسَعَىٰ﴾: سعىٰ من السعي: الحركة، والعمل بجد بالأعمال الصالحة المقرونة بالإيمان.

﴿لَهَا ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ لها؛ أي: للآخرة.

﴿سَعْيَهَا ﴾: عمل ما في وسعه من الأعمال الصّالحة؛ لنيل ثواب الآخرة.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾: وهو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مُؤْمِنٌ ﴾: إيماناً ثابتاً راسخاً في القلب بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أولئك: اسم إشارة يشير إلىٰ منزلتهم العالية.

﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾: كانوا مثابين علىٰ سعيهم (عملهم)، وسعيهم مقبولٌ مضاعفُ الأجر والثواب.

[٢٠] ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾:

﴿كُلًّا﴾: أي: كلا الفريقين السابقين: الفريق الّذي يريد العاجلة (الدّنيا الفانية)، والفريق الّذي أراد الآخرة، وسعىٰ لها سعيها.

﴿نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: هؤلاء: الّذين أرادو الدّنيا، وهؤلاء: الّذين أرادوا الآخرة نمدهم من عطاء ربك.

الفرق بين المد، والإمداد:

المد: هو الإعانة، والتقوية، والزيادة في الخير والشر.

والإمداد: لا يكون إلا في الخير.

﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: من عطاء الربوبية الّذي ينال المؤمن، والكافر، والطائع، والعاصي، بينما عطاء الألوهية: فهو عطاء خاص بالمؤمنين دون غيرهم.

﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحالية، أو التّوكيد؛ ما: النّافية.

﴿كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة.

﴿عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾: ممنوعاً من أحد، لا يمنعه من المؤمن، أو الكافر، والحظر: هو المنع. إذن: عطاء الربوبية الكل له نصيب منه.

ما هو الفرق بين: محظوراً، وقوله تعالىٰ في الآية (٥٧): ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾؟

المحظور: الممنوع، الحظر: المنع؛ عطاء ممنوع.

المحـــذور: من الحذر؛ أي: اتخاذ الوقايـــة، والحيطة، والخوف من وقوع الأمر المحذور منه.

[٢١] ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾:

﴿ ٱنظُرْ ﴾: انظر نظرة قلبية، وفكرية.

﴿كَيْفَ ﴾: للاستفهام، والتّعجب.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾: لكي يحدث تكافلٌ في المجتمع، كل فرد يحتاج إلىٰ الآخر؛ كقوله: ليتخذ بعضهم بعضاً سُـــخرياً، وفضلنا بعضهم علىٰ بعض: قد تعني: في الرزق، والجاه، والعافية، وغيره من أمور الدّنيا؛ للابتلاء، والاختبار.

﴿وَلَلْآخِرَةُ ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ ﴾: أعظم درجات التفاوت تكون في درجات الجنة.

﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: من الدّنيا؛ لأن تفضيل الآخرة هو التّفضيل الحقيقي، والأعظم، والدائم، وتفضيلاً: مصدر لفعل فضّل (الرباعي).

[٢٢] ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾:

﴿ لَّا تَجْعَلْ ﴾: لا تتخذ؛ لا: النّاهية.

﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: شـــريكاً، أو نداً في ألوهيته، وعبادته، وربوبيته، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه.

فـــإن فعلت ذلك عندها ﴿فَتَقْعُدَ﴾: فتصبح كالّذي خارت قواه علىٰ القيام؛

فأصبح غير قادر على القيام ولم تعد لك قوة، وتصبح ﴿مَذْمُومًا﴾: من قبل الله، ومن قبل النّاس.

﴿تَخْذُولًا﴾: من الخذلان، وهو عدم النصرة، أو العون؛ أي: لا ينصرك أحد، ولا يدافع عنك، أو يُعينك أحد. ارجع إلى الآية (١٨) من السّورة نفسها.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أي: أمر، وألزم، وأوجب، وقضى: قد تأتي بمعنى: حكم، أو تدل على انتهاء المدة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص:٢٩].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: أي: حكم، وأمر الله سبحانه: أَلَّا: أصلها: أن، ولا؛ أن: حرف مصدري يفيد التّعليل، والحكم، ولا: نافية، أو ناهية.

﴿تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: لمعرفة معنى العبادة: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١)، أو الأنبياء، آية (١٠٦).

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿إِيَّاهُ﴾: للتوكيد.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: وبالوالدين: الوالد والوالدة، ولم يقل بالأبوين؛ اختار لفظ الولادة على الأبوة وبالوالدين؛ أي: من الولادة، والتي تقوم بها الأم؛ الباء: باء الإلصاق، والاستمرار؛ أي: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحساناً؛ أي: أن تبروهما؛ فقد قرن الإحسان للوالدين بعبادته سبحانه، وقضى بالإحسان إلى الوالدين؛ لأنّهما هما السبب، أو الوسيلة في

وجودنا؛ لما تتحمله الأم خلال الحمل، والوضع، والرضاعة، والسهر، والتربية، وما يوفره الأب من المعاش، والإنفاق، والتربية، ولهذين الوالدين حقوق، كما أن للخالق الحقيقي حقوقاً. ارجع إلى سورة النساء آية (٣٦)، وسورة البقرة آية (١١٢) لمزيد من البيان.

﴿إِحْسَٰنًا﴾: مصدر أحسن؛ حذف الفعل، وجاء بالمصدر؛ ليفيد التّوكيد.

﴿إِمَّا﴾: مركبة من: إن، وما؛ إن: الشّرطية، وزيدت عليها ما: للتوكيد.

﴿يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾: يبلغن: من بلغ؛ أي: أدرك، أو وصل؛ أي: بلغا الكبر؛ أي: وصلا إلى سن الكبر عندك، أو أحدهما، والنون في «يبلغن» للتوكيد، ولم يقل يبلغا.

انتبه إلى تقديم كلمة «عندك»، ولم يقل: يبلغن الكبر عندك، العنديَّة هنا هامة، ومقصودة، وخاصة، ويجب فهم معناها.

وتعني المعية (أي: معك)؛ أي: حافظ على والديك؛ أي: أبقِ والديك عندك، ولا تُلقِ بهما في دور العجزة، أو دور إقامة المسنين، أو الكهول؛ فالمكان بحد ذاته مهم، والأهم منه رعايتهما، والإحسان إليهما، والاهتمام بهما، وإذا كان هناك أخوة، وأخوات؛ فالكل يشارك في المسؤولية.

ولتثبيت هذا المعنى في النفس انظر إلى ما قالته امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١] قدمت كلمة «عندك» بدلاً من القول: رب ابن لي بيتاً عندك في الجنة، تبغي العنديَّة؛ أي: المعية؛ أي: الرعاية، والقُربى؛ عندك أنت خاصة، وهي أهم من المكان.

﴿ٱلْكِبَرَ﴾: بعد مرحلة القوة والشباب تأتي مرحلة الكبر؛ مرحلة الحاجة، والضعف، والمرض، وهنا تتجلى صورة الإنسان بشكل واضح.

﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾: قدم الأهم أحدُهما؛ لأن كليهما قد يساعد أحدهما الآخر؛ أما حين يكون الإنسان وحيداً؛ فهو بحاجة أشد للعون، والإحسان.

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَقُل﴾: مضارع تدل على الاستمرار، والتّجدد.

﴿أُفٍّ﴾: صوت يدل على ضجر المتكلم من شيء ما، ومنهم من قال: أف اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر فيكون المعنى لا تشعر تضجرك للوالدين، وهي أقل لفظة يمكن أن تقال، وجاءت بصيغة التنكير؛ تعني: أي: شيء، أو قول؛ أي: لا تضجر بأدنى تضجر منهما، أو من غيرهما فتضجر أمامهما.

﴿وَلَا﴾: ولا: الواو: عاطفة؛ لا: ناهية، وتكرار لا: تفيد التّوكيد.

﴿تَنْهَرْهُمَا﴾: النهر: هو الزجر بقسوة، وانفعال تالٍ للتضجر؛ أي: احذر من التأفف، والتضجر منهما، ولا ترفع صوتك عليهما.

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: وقل سبقتها كلمة: فلا تقل، ثم جاء بقل: لتفيد التّوكيد.

﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾: سمحاً ليناً فيه مظاهر الرّحمة، والمحبة، والحنان خاصة إذا حدث خطأ منهما، أو تصرف غير طبيعي.

[٢٤] ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾:

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: جناح الذّل: كناية عن الطاعة،

والحنان، والتواضع، والخضوع، والذل قد يأتي بمعنىٰ: القهر، والغلبة، أو بمعنىٰ: العطف، والرحمة، كما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٤]؛ أي: عطوفين رحيمين بالمؤمنين؛ بينما القول: أذلة للمؤمنين؛ أي: قاهرين ليس عندهم رحمة، أو رأفة بالمؤمنين.

وقوله تعالىٰ: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: كالطائر الّذي يخفض جناحيه حين يريد أن يحنو علىٰ صغاره، ويغذيهم، وإذا أراد أن يطير يرفع جناحيه، ويرفرف، ويعني: التواضع السمع والطاعة، وتنفيذ أوامرهما، والإصغاء لما يقولانه، والنظر إليهما بعين الرأفة والحنان والعطف.

﴿مِنَ﴾: تعليلية.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: أي: لا يكفي رعايتك لهما، ورحمتك بهما، بل لا بد من أن تدعو لهما، وتطلب لهما الرّحمة من الله سبحانه؛ فهو أرحم الراحمين، وقل هذا الدعاء: رب أرحمهما، كما ربياني صغيراً؛ أي: مثلما رباني صغيراً، وهذا الدعاء يشمل كل مربٍّ شارك الوالدين في تربيتك.

﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: تفيد التّعليل، والاعتراف بفضل الوالدين.

[٢٥] ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾:

المناسبة: ذكرت هذه الآية بعد ذكر: وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً؛ إذن: المطلوب هو الإخلاص في العبادة، والتّوحيد، وكذلك معاملة الوالدين بالبر، والإحسان لهما، وربكم أعلم بما في نفوسكم من الإيمان، ومن النفاق، والرياء، أو الإخلاص، والإحسان، والصدق، وكما أن النفاق يكون

في الدين، والإيمان، هناك نفاق في بر الوالدين؛ بحيث يقول بلسانه ما ليس في قلبه، يقول بلسانه رياءً.

فهناك من الأبناء من يظهر بمظهر البار بوالديه أمام النّاس، وفي الداخل يتمنى، أو يسأل الله سبحانه أن ينقضي أجَلُهما، أو يتخلص منهما، فجاءت الآية لتحذر من هذا النفاق، والرياء في عبادة الله، والبر بالوالدين؛ فقال:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: ربكم المتولي تربيتكم، وشؤونكم الحياتية. ربكم: يعلم ما يصلحكم.

﴿أَعْلَمُ﴾: ولم يقل: يعلم، بل قال: أعلم على صيغة أفعل؛ صيغة مبالغة كثير العلم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق. وما: اسم موصول بمعنى الذي، وأوسع شمولاً من الذي.

﴿فِي نُفُوسِكُمْ﴾: ولم يقل أنفسكم؛ نفوسكم تعني: كل نفس، وجميع النفوس المؤمنة، والكافرة، والمنافقة على الإطلاق؛ بينما «أنفسكم» تعني: بعض الأنفس، وليس كلها، وقد وردت النفوس في آيتين فقط في هذه السورة، وفي سورة التكوير آية (٧).

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشك.

﴿تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾: إن: كنتم صالحين كان بها، ولكم أجركم، وإن لم تكونوا؛ فتوبوا إلى الله، وأصلحوا نفوسكم، واحذروا ما لا تحمد عقباه.

﴿فَإِنَّهُ﴾: إنه: للتوكيد، والفاء: جواب الشرط.

﴿كَانَ﴾: ولا زال، وسيكون:

﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: جمع أوّاب: صيغة مبالغة من آب، يؤوب؛ من الأوب: الرجوع، والعودة إلى الله بالتوبة، والإنابة. للأوابين؛ أي: للتوابين، والراجعين إلى ربهم بالتوبة، والإنابة.

﴿غَفُورًا﴾: صيغة مبالغة من: «غفر» كثير الغفران يغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت، أو عظمت، والغفران: صفة أزلية فيه سبحانه، وغفوراً تشير إلى أنه يغفر الذنوب العظيمة الكبيرة.

[٢٦] ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله سبحانه البر إلى الوالدين، وقرن ذلك بعبادته يوسع دائرة الإحسان، والبر؛ لتشمل ذوي القربى، والمساكين، وابن السبيل؛ فقال تعالى:

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي: أعطِ ذا القربى حقه؛ أي: جعل الله سبحانه حقاً للأقارب يجب الإيفاء بهذا الحق؛ أي: حقه من المال إذا كان محتاجاً، أو فقيراً، وحقه من المساعدة بشتى صورها، وإن لم يكن محتاجاً؛ فعليك البر إليه (صلة الرحم) بالمعاملة الكريمة، والسؤال عنه، وتفقد حاله، وزيارته، وبالإهداء إليه.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾: تعريف المسكين: الّذي عنده مال لا يكفيه، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩].

والفقير: هو الّذي لا يملك شيئاً؛ أي: هو أسوأ حالاً من المسكين.

وقوله: المسكين: يشمل الفقير، والمسكين؛ لأن الفقير أجدر بالعطاء من المسكين؛ حقه من الزكاة، والصدقات.

﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: ابن الطريق المنقطع الّذي ضاع ماله، أو سُدَّت السبل

أمامه، وليس معه ما يسد حاجته إلى العودة إلى دياره، والأكل. ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة النساء؛ للبيان.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: ولا: النّاهية.

﴿تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: التّبذير: هو إنفاق المال فيما لا يحل مثل إضاعة المال في المعاصي، والقمار... وغيرها.

والتّبذير أعظم من الإسراف، والتّبذير: مصدر لفعل: بذَّر (الرباعي).

والتّبذير: مأخوذة من البذر: وهو العملية الّتي يقوم بها الفلاح حيث يأخذ البذور الّتي يريد زراعتها، وينشرها بيده؛ فإن كان ماهراً يجيد البذر، تراه يبذر الحب؛ أي: يوزع الحب على الأرض بنسب متساوية بدون أن يضيع كمية من الحب في أمكنة لا تحتاج البذر.

وإن من الخطأ أن يظن القارئ: أن المقصود بهذه الآية أن التّبذير يعود على ذي القربى، والمسكين، وابن السبيل، وإنما الآية تشير إلى الإسراف في الأمور غير المباحة.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾:

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الْمُبَذِّرِينَ﴾: جمع مبذر، والتّبذير: هو إنفاق المال في غير حلِّه، وهو يعتبر معصية، وكفراً لنعمة الله. ارجع إلى الآية (٢٦) السّابقة.

﴿كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾: كانوا: من كان، وكان: قد تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كانوا في الماضي، وسيكونون في الحاضر والمستقبل؛ كانوا في الدّنيا:

﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: الإخوان: قوم اجتمعوا على مبدأ واحد خير، أو شر، وفي هذه الآية: اجتمعوا على مبدأ التّبذير.

وسموا بإخوان الشّياطين: إما لكونهم يكفرون، أو يجحدون نِعَم الله، أو إضاعة المال؛ فهم مثل إخوانهم الشّياطين؛ لكونهم تجمعهم صفة الإسراف في المعاصي، والتبذير والكفر؛ أي: ساتر لنعم الله أو جاحدها. ارجع إلى سورة الحجرات آية (١٠) لبيان معنى إخوان وإخوة.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ﴾: كان: كما قلنا تشمل كل الأزمنة الماضي، والحاضر، والمستقبل، والشيطان: يمثل الشياطين.

﴿لِرَبِّهِۦ﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿كَفُورًا﴾: كثير الكفر: صيغة مبالغة: كثير الكفر لنعم الله تعالى، أو محترفاً في مهنة الكفر؛ فهو كافر، ويعمل على تكفير غيره.

وإذا عدنا إلى كلمة أخ؛ فهي تجمع على: إخوة، وإخوان، والقرآن استعمل كلمة إخوة في سياق إخوة النسب، وكلمة إخوان تأتي في سياق قوم اجتمعوا على مبدأ واحد في الخير والشر؛ أمثلة إخوان لوط (في الفاحشة)، أو سياق النسب كما في قوله في سورة النور آية (٣١) إخوانهن، أو بمعنى الأصدقاء كقوله إخواناً على سرر متقابلين (في الجنة في الخير).

❖ ❖ ❖

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

سور الإسراء [الآيات ٢٨ - ٣٨]

[٢٨] ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾:

﴿وَإِمَّا﴾: مركبة من إن: الشرطية؛ تفيد الاحتمال؛ ما: للتوكيد.

﴿تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾: خجلاً، وحياءً؛ لأنك لم تعطهم من حقهم، كما جاء في الآية (٢٦): ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ﴾: إذن تعرض عن ذوي القربى أو المساكين، أو ابن السبيل بعد أن يسألوك، تعرض عنهم، ولم تعطهم شيئاً قليلاً، أو كثيراً بسبب فقرك، أو القلة، أو ليس عندك الكفاية، أو ما يسد حاجتهم.

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: طلباً للرزق الّذي تنتظره أن يأتيك فتعطيهم منه.

﴿فَقُل لَّهُمْ﴾: فقل: الفاء: للتوكيد؛ قل لهم: اللام: لام الاختصاص.

﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: قولاً سهلاً ليناً بالاعتذار لهم، أو الوعد بأن تعطيهم حين يتوفر لك الرزق.

﴿مَّيْسُورًا﴾: اسم مفعول من: يسر.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية؛ لا: النّاهية.

﴿تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: أي: لا تجعل يدك الّتي تعطي بها الصدقات مغلولة؛ أي: مقيدة، أو مربوطة إلى عنقك (مشهد من مشاهد يوم القيامة) كقوله

تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس:٨]، وحين تقيد اليد إلىٰ العنق فهي لا تمتد بالعطاء، كناية عن الإمساك، والبخل.

﴿مَغْلُولَةً﴾: مقيدة بالغل، والغل: هو القيد الّذي يوضع في اليدين، والعنق.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ كناية عن الإسراف والتبذير؛ أي: تنفق كل ما لديك.

والواجب الاعتدال؛ أي: التوسط في الإنفاق، كما جاء في آيات أخرىٰ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧].

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾: فتقعد: ارجع إلىٰ الآية (٢٢).

﴿مَلُومًا﴾: من اللوم؛ سواء أكان من نفسك، أم من النّاس، وهو تنبيه الفاعل علىٰ شيء فعله غير جيد أو مناسب، يُعاتب عليه، أو يلام عليه، ويؤنب من أجله، وهو الإسراف.

ملوماً: تمثل البخيل.

محسوراً: تمثل المسرف الذي أسرف ماله فأصبح كالبعير الحسير الذي أتعبه السير فلم تعد له قوة.

﴿مَّحْسُورًا﴾: من الحسر؛ كالبعير الّذي ذهبت قواه؛ لكونه أنفق كل ما عنده، وافتقر، ولم يدخر شيئاً؛ فأصبح غير قادر علىٰ القيام بسبب الإسراف؛ فهو في كلا الحالين ملوم إن قبضت يدك، وملوم إن بسطت يدك كل البسط.

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: إن: للتوكيد. ربك: أي الخالق الرازق

والمدبر؛ أي: يوسع الرزق لمن يشاء من عباده؛ أي: يُغني من يشاء حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه، وهو ابتلاء من الله تعالىٰ.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يفقر، أو يضيق علىٰ من يشاء؛ ابتلاءً لهم، وحسب الحكمة الإلهية، وحسب ما يصلح حال عباده.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والحال، والمستقبل.

﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿خَبِيرًۢا﴾: يعلم بواطن أمورهم، وخفايا صدورهم، ومصالحهم، فيرزقهم حسب مصالحهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾: ولا: الواو: استئنافية؛ لا: النّاهية.

﴿تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾: بالوأد، أو غيره من الطرق؛ مثل: الإجهاض، أو إسقاط الحمل.

﴿أَوْلَـٰدَكُمْ﴾: تعني: الذكور، والإناث (البنين والبنات)؛ لأن قتل الأولاد هو اعتداء علىٰ إرادة الله، وحكمته.

﴿خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾: خوفاً من الإملاق، وهو شدة الفقر، والخشية تعني: الفقر لم يحدث بعد، وإنما مظنة أنه سيحدث في المستقبل؛ بينما في سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ﴾ [آية:١٥١]؛ أي: الفقر قد وقع، وهم الآن يعانون منه.

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾: أي: لا تقتلوا أولادكم سنرزقهم أولاً، ونرزقكم أيضاً، أو ترزقون برزقهم.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ﴾: إن: للتوكيد؛ قتلهم: بالوأد، أو غيره من الوسائل؛ كالإجهاض.

﴿كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾: خطئاً: الخطء: الإثم، أو الذنب العظيم؛ أي: قتلهم كان إثماً كبيراً.

أو خِطئاً: بكسر حرف الخاء، ولها معان أخرىٰ بالإضافة إلىٰ الإثم؛ منها: ضد الصواب؛ اسم من: أخطأ.

أو خطئاً: اشتقَّت من: خطا يخطو؛ أي: خروجاً عما تعارف عليه النّاس؛ أي: خروجاً عن العادة، والعرف. ولم يقل خَطأ: بفتح الخاء؛ لأن الإثم لا يكون إلا عن قصد وتعمد، وأما الخطأ بفتح الخاء هو السهو أو غير العمد وفعله أخطأ واسم الفاعل مخطئ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، وهذا يدل علىٰ أن قتلهم للأولاد إثم كبير.

﴿كَبِيرًا﴾: توكيد.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية؛ لا: النّاهية.

﴿تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ﴾: الزنىٰ: هو الوطء من غير عقد شرعي، واستمرار عملية الزنىٰ يسمىٰ الفجور، وإذا استمر الفجور وأقامت الزانية مع الزاني يسمىٰ السفاح، والسفاح للرجل والمرأة، أما البغاء: يطلق علىٰ المرأة التي تجاوزت حرم الله وتسمىٰ البغي، تقربوا أشد وأبلغ في التحريم من قوله: لا تزنوا، أو حرم عليكم الزنىٰ، أو لا تأتوا الزنىٰ، ولو قال ذلك؛ لكانت عملية الزنىٰ هي فقط المحرمة، وأما ما يجري من لقاءات، ومجون؛ لكان كله غير داخل في التحريم.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾: أي: لا تقربوا أسبابه من اختلاط، وخلوة، وعدم غض البصر.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ ﴾: تشمل كل الأزمنة.

﴿فَاحِشَةً ﴾: عمل شيء قبيح.

﴿وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾: ساء: فعل لإنشاء الذم يشبه بئس؛ لأنّه يؤدي إلىٰ هتك الأعراض، واختلاط الأنساب، والاعتداء علىٰ الآخرين، وهدم الأسرة، وانتشار الأمراض الفتاكة، والفقر، والهوان، والفساد في الأرض، ونرىٰ اقتران آيات قتل النفس التي حرم الله مع آيات الزنىٰ، وذلك في سورة الإسراء والفرقان والممتحنة؛ قد يكون الاقتران إشارة إلىٰ أن الزنىٰ قد يؤدي إلىٰ الحمل؛ فتلجأ المرأة إلىٰ الاجهاض؛ لتغطية جريمة الزنىٰ، وقتل الجنين حتىٰ بعد الولادة أحياناً.

﴿سَبِيلًا ﴾: طريقاً، ونهاية؛ لأنّه يؤدي إلىٰ عذاب النّار، وبئس المصير.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾، مع الآية (٢٢) من سورة النّساء: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ زاد في هذه الآية مقتاً؛ لأنّه في آية الإسراء زنىٰ بامرأة محرمة عليه، وفي آية النساء زنىٰ بامرأة أبيه؛ فزاد مقابل ذلك مقتاً. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (٢٢).

[٣٣] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾:

﴿ وَلَا ﴾: انظر في الآيات السّابقة.

﴿نَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿بِالْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، وبالحق تعني: القصاص من القاتل إذا لم يعفُ ولي المقتول، أو بالردة بعد الاستتابة، أو الثيب المحصن.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: من: شرطية.

﴿قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: أي: عدواناً، وظلماً، وعمداً، أما القتل الخطأ؛ فلا يدخل تحت حكم هذه الآية.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾: لولي المقتول؛ اللام: لام التّعليل، والاختصاص، وقد يكون أباه، أو أخاه، أو الابن، أو العم، وإن لم يكن له ولي فالحاكم يتولىٰ إقامة الحكم.

﴿سُلْطَانًا﴾: سلطان القوة، والقهر بالقصاص، والدية، أو العفو.

﴿فَلَا﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾: بأن يقتل غير القاتل، أو يعذب القاتل، أو يقتل أكثر من فرد، أو يقتل شريفاً بدلاً من عبد، أو رجلاً بدلاً من امرأة، ولا يمثّل بالجثة.

﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾: إنه: للتوكيد؛ أي: ولي المقتول.

﴿مَنصُورًا﴾: لأنّه أعطي حق القصاص، والخيار.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٢) السّابقة، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تسرفوا مال اليتيم.

﴿مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾: اليتيم: الّذي فقد أباه في سن الطفولة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: إلا بأحسن الطرق؛ فهو يحتاج إلىٰ من يدبر، ويحسن التصرف بماله، وينمي ماله. ارجع إلىٰ الآية (١٥٢) من سورة الأنعام؛ للبيان، وسورة النّساء، آية (٢).

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: حتّىٰ: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: اختلف في معنىٰ يبلغ أشده؛ فمنهم من قال: يبلغ سن الرشد، وهو (٢١ سنة)؛ أي: سلامة العقل، وحسن التصرف، أو يصبح قادراً علىٰ إنجاب مثله؛ أي: سن البلوغ.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾: أي: أتموه، ولا تنقضوا عهودكم، والعهد: كل ما يلزمه، ويعقده الإنسان علىٰ نفسه باختياره؛ مثل: النذر، والباء: للإلصاق، والاستمرار، والتّوكيد.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾: أي: مسؤولاً عنه مطلوباً منه، وعلىٰ المعاهد ألا يضيعه، ويفي به.

﴿ٱلْعَهْدَ﴾: هو وعد مقرون بشرط، ويقتضي الوفاء، وهناك فرق بين العهد، والعقد؛ العهد: يكون بطرف واحد؛ كالنذر، أو ما يعاهد العبد ربه، أو يعاهده ربه علىٰ لسان نبيه؛ أما العقد: لا يتم إلا بطرفين متعاقدين، وهو أوثق، أو أبلغ من العهد.

[٣٥] ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾:

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ ﴾: أتموه، والكيل: المعايير لما يكال حجماً.

﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾: أي: حين البيع، والشراء؛ أي: وقت كيلكم؛ للتأكيد على إتمامه، وعدم التأخير.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل متضمن معنى الشرط، وإذا: تعني: الحتمية.

﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: القسطاس: من القِسط، وهو العدل والحصة والنصيب، والغاية من الميزان: هو أن يأخذ كل إنسان نصيبه، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الرحمن:٩]، ودائماً يأتي الوزن مقروناً بالقسط، والقسطاس: هو الميزان، وزنوا بالميزان السويِّ العدل؛ الميزان الصغير؛ كميزان الذهب، أو الكبير (مثل: القبَّان) بأعدل الموازين.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد يشير إلى الوزن بالقسطاس، وإيفاء الكيل خير وأفضل لكم عند الله من التطفيف.

﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾: عاقبةً، ومآلاً؛ أي: نتيجةً في الجزاء؛ تأويلاً: مشتقة من: آلَ؛ أي: رجع، أو ما يؤول إليه.

[٣٦] ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾:

﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾: لا: النّاهية؛ تقف: القفو: اتباع أثر الشخص، أو السير خلفه، والقيافة: تتبع الأثر، وقفوت الشّيء: أي: تبعت أثره.

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: من قول، أو فعل؛ أي: لا تقل ما لا تعلم، ولا بد من التحقق، والتثبت إذا جاءكم إنسان بخبر لمعرفة صدقه أو كذبه، أو حق، أو باطل.

ويندرج تحت ذلك شهادة الزور، وقول الزور، وعدم الظن، والقذف.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾: هذه الحواس كل إنسان مسؤول عنها، ويحاسب عليها، وقدم السمع على البصر. ارجع إلى سورة البقرة آية (٧)، وسورة الملك آية (٢٣) لمعرفة السبب.

وأما الفؤاد: فقد قيل هو القلب، والحقيقة: الفؤاد هو الخلايا القلبية المتميزة والقادرة على الذكرى والشعور والحنان والعاطفة، وكأنها تشبه خلايا الذاكرة في الدفاع. ارجع إلى سورة الحج آية (٤٦) لمزيد من البيان.

﴿كُلُّ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: كل: أي: السّمع، والبصر، والفؤاد عبر عنها بأولئك؛ أي: أعطاها صفة العاقل العقل، والإدراك.

﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾: محاسب على كل واحدة منها، وكل منها سوف تشهد له، أو تشهد عليه يوم القيامة.

وقدم السّمع على البصر؛ ارجع إلى الآية (٧) من سورة البقرة؛ للبيان، وإلى سورة الملك، آية (٢٣)؛ للبيان.

[٣٧] ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾:

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: في الأرض، ولم يقل على الأرض؛ لأنّ الطبقة الغازية المحيطة بالأرض جزء من الأرض.

﴿مَرَحًا﴾: بتكبُّر، وخيلاء، وفخر.

﴿إِنَّكَ لَن﴾: إن: للتوكيد؛ لن: تنفي المستقبل القريب والبعيد معاً.

﴿تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: في القريب، أو الزمن البعيد القادم؛ تعليل للنهي، ولن يحدث ذلك أبداً مهما حاول الإنسان، وفيه تهكم بالمختال؛ فقد دلت البحوث على أن قطر الأرض يبلغ حوالي (١٢،٧٥٦كم).

﴿تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: لن تستطيع أن تحفر الأرض، أو تقطعها أو تنفذها إلا بقدر؛ فقد تبين أبعد ما وصل إليه الباحثون في الحفريات في عمق الأرض هو حوالي (٨ميل)، أو (١٢كم) فقط، ولم يتمكنوا بعدها من الحفريات؛ لأن أدوات الحفر بدأت تنصهر وتذوب بسبب شدة ارتفاع درجة الحرارة.

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾: ولن: كالسّابقة.

﴿تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾: أي: لن تبلغ بطولك طول الجبال؛ أي: علوها؛ فهي أعلى منك؛ فقد أشارت الدراسات إلى أن ارتفاع جبال هيملايا (قمة أفرست) حوالي (٨،٨كم)؛ أي: (٥،٥ميل) من سطح البحر، وتكرار لن: تفيد التّوكيد، وفصل كل منهما عن الآخر: خرق الأرض، وبلوغ الجبال طولاً، ولذلك لا يجوز للعاجز في هاتين الحالتين أن يتكبر، ويختال، ويفخر؛ فالتواضع أفضل، والأرض والجبال أقوى منك؛ فإياك والغُرور.

[٣٨] ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾:

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾: كل: للتوكيد.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ تشير إلى ما وصى، ونهى، وأمر به الله تعالى عباده في الآيات السّابقة (٢٣-٣٨) من سورة الإسراء. ذلك: تصلح للواحد، والجمع، والمؤنث، والمذكر.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾: أي: السيئ: هو المكروه عند الله؛ أما الأمور الحسنة: مثل: بر الوالدين، وإيتاء ذي القربى، والوفاء بالعهد هذه أمور حسنة،

ومخالفتها كعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيـــم، وعدم الوفاء بالعهد يحولها إلىٰ أمور سيئة.

﴿مَكْرُوهًا﴾: والمكروه عند ربك: هو المخالف لمنهج العبودية، والربوبية، والمخالف لما جاء به رسول الله ﷺ، ويمكن تلخيص الآيات السّابقة بما يلي:

١ - عبادة الله وحده، وتحريم الشرك.

٢ - الإحسان إلىٰ الوالدين.

٣ - إيتاء ذي القربىٰ، والمساكين، وابن السبيل، والقول الميسور إذا تعذر الإيتاء.

٤ - عدم التبذير، والإسراف، وعدم البخل.

٥ - تحريم قتل الأولاد من الإملاق، أو خشية الإملاق.

٦ - تحريم الزنىٰ.

٧ - تحريم قتل النفس إلا بالحق؛ حق القصاص؛ وتحريم الإسراف في القصاص.

٨ - تحريم أكل مال اليتيم.

٩ - الوفاء بالعهد.

١٠ - إيفاء الكيل، والميزان بالقسط (بالعدل).

١١ - التثبت من الأخبار، وتجنب الظن.

١٢ - تجنب التكبر، والخيلاء.

❖ ❖ ❖

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم
بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾
قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا
﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن
لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ
ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا
مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا
﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ
إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ
كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

سورة الإسراء [الآيات ٣٩ - ٤٩]

[٣٩] ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ تشير إلىٰ ما سبق ذكره من الوصايا، والأوامر، والنواهي الإلهية، وكرر كلمة ذلك؛ للتوكيد، وذلك: تصلح للواحد، والجمع.

﴿مِمَّآ﴾: مركبة من كلمتين: من: الابتدائية البعضية؛ وما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي، وما: أوسع في المعنىٰ من: الذي.

﴿أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾: أوحىٰ: من الوحي: وهو الإعلام بخفاء، والوحي في الشرع: هو ما يُلقي الله إلىٰ رسله من تكاليف وتعاليم وآيات، ووعد، ووعيد... وغيره.

﴿إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾: الرب: هو الخالق المربي، والمدبر. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الوحي.

﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾: من: هنا بعضية؛ أي: بعض الحكمة، ولذلك أحد تعاريف الحكمة: هي التّكاليف الشّرعية، أو الفقه بأمور الدّين، ولتعريف الحكمة: ارجع إلىٰ سورة النحل، آية (١٢٥).

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: كرر النّهي عن الشرك مرة أخرىٰ في أول آية؛ آية

(٢٢)، وآخر آية؛ للتوكيد، وللتذكير بأن التّوحيد هو البداية والنهاية، والفاتحة، والخاتمة، وبدون الوحدانية لا تُقبل تلك الأعمال، وليس لها ثواب.

﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾: ملوماً: أي: لا تجعل مع الله إلهاً آخر؛ أي: لا تشرك بالله تعالىٰ؛ فيكون سبباً في إلقائك في جهنم موبخاً ملوماً علىٰ شركك. ارجع إلىٰ الآية (٢٩) من السّورة نفسها.

انتبه إلىٰ أول الآيات: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ وآخر الآيات ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

الآيتان معاً جمعتا: مذموماً مخذولاً، ملوماً مدحوراً؛ أي: الشرك بالله يؤدي بصاحبه إلىٰ الذم، والخذلان، واللوم، والبعد، والطرد من رحمة الله تعالىٰ، وفي الآية الأولىٰ: فتقعد، وفي الثّانية: فتلقىٰ في جهنم، والإلقاء: يكون أولاً، ثم القعود.

فتقعد في جهنم خائر القوىٰ عاجزاً لا تستطيع حتّىٰ القيام.

ولذلك وصف الله الشرك بأنه ظلم عظيم للنفس، والذات، وجاءت الآيات الكثيرة في القرآن محذرة منه.

[٤٠] ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾:

هذه الآية، والآيات القادمة تبين لنا بعض أنواع الشرك.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾: الهمزة في «أصفاكم» للاستفهام، والإنكار، والتوبيخ، والفاء: للدلالة علىٰ شدة الإنكار، والتّوكيد، والتّهديد.

أصفاكم: من الاصطفاء. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (١٤٤)؛ لمعرفة

معنىٰ الاصطفاء، والمعنىٰ العام: أي: اختار، وخصكم ربكم بالبنين، أو فضلكم علىٰ ذاته، وخص نفسه بالملائكة الإناث؛ كما يزعم بعض المشركين!

﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: اتخذ: من أفعال التّحويل، والتّصيير؛ أي: جعل من الملائكة إناثاً.

وفي آية أخرىٰ يقول الحق: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

وكذلك الآية: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل:٥٧].

﴿إِنَّكُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَتَقُولُونَ﴾: اللام، والنون: لزيادة التّوكيد.

﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾: أي: قولاً في منتهىٰ العظم، والكفر، والشّرك، والجرأة علىٰ الله ﷻ. ارجع إلىٰ سورة الكهف، آية (٥)؛ للبيان.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق؛ أي: تحقق ذلك التّصريف.

﴿صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: صرفنا من التّصريف، والتّبيين؛ أي: صرفنا الآيات؛ أي: جئنا بها بصور شتىٰ، وأساليب متعددة؛ حتّىٰ تفهموا معانيها؛ أي: (آية واحدة) جئنا بها بصور مختلفة مثل: الرّيح، والرّياح، لواقح، عقيم، العاصفة، طيبة، وغيرها من أشكال الرّيح.

﴿فِى﴾: ظرفية.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة للقرب.

﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: لكونه مقروءاً، أو يقرأ؛ أي: عن قرب.

﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: اللام: لام التّعليل؛ يذكروا: من جديد بعد أن غفلوا عما أمرهم الله به، ونهاهم عنه، أو نَسُوا، وغفلوا عن اتباع الحق، وعن آيات الله، وبدلاً من أن يذكروا ازدادوا نفوراً.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾: ما: النّافية.

﴿يَزِيدُهُمْ﴾: ذلك التّذكير.

﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: إلا: للحصر؛ ابتعاداً عن الهدىٰ، والإيمان. والنفور: مشتق من نفور الدابة؛ أي: هروب الدابة خشية من الأذىٰ كقوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠-٥١].

وإذا قارنا هذه الآية (٤١) مع الآية (٨٩) من السّورة نفسها.

الآية (٤١): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

الآية (٨٩): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

نجد النّفور: يحدث أولاً، ثم يأتي الكفور ثانياً، أو يتلو النّفور الكفر؛ فَذكَر كلتا المرحلتين، وبدأ بالمرحلة الأولىٰ (النّفور)، ثم المرحلة الثّانية (وهي الكفر).

[٤٢] ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾: لو: حرف امتناع لامتناع.

﴿مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾: أي: هناك آلهة أخرىٰ غير الله مثل الشّمس، أو القمر، أو النّجوم، أو الملائكة، أو الأصنام، أو بشر، أو جن، أو غيرها.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب.

﴿لَّٱبْتَغَوْا﴾: اللام: لام التّوكيد.

﴿إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: أي: لــو كان هناك آلهة كما يزعمون فهم ســيبحثون عن الإله الواحد الحق؛ ليأخذوا، ويســتمدوا منه القوة، أو لالتمسوا؛ أي: طلبوا إلىٰ ذي العرش (صاحب العرش) طريقاً؛ سبيلاً؛ أي: لطلبت تلك الآلهة لنفسها القوىٰ، والزلفىٰ من الله تعالىٰ؛ فهي غير قادرة علىٰ اتخاذ السبيل لنفسها؛ فكيف تستطيع أن تشــفع، أو تقربكم إلىٰ الله زلفىٰ؟ أو لحاولت تلك الآلهة الاستيلاء علىٰ العرش، والوصول إليه بالقتال، والعداوة، والقهر.

[٤٣] ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾:

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهــاً لــه مطلقاً أن يكون له شــريك، أو مثيــل في الذات، والصفات، والأفعال، وتنزيهاً؛ أي: تبرئة له.

﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: تعاظم. ارجع إلىٰ ســورة الحديد، آية (١)، وإلىٰ الآية (١) من السّورة نفسها ؛ لبيان معنىٰ: سبحانه.

﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾: من وجود الشــركاء، والولد، والبنات... وغيرها. يقولون، ولم يقل قالوا؛ لأنّهم استمروا في أقوالهم؛ فهي تتجدد، وتتكرر، ولم يكفوا عنها بعد.

﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: تعالىٰ سبحانه علواً كبيراً (مبالغة في البراءة عما يقولون) من أن له ولداً، أو شريكاً، أو بنتاً، أو الملائكة (إناثاً).

﴿كَبِيرًا﴾: تعني: كل ما سواه صغير، ولم يقل: أكبر الّذي يعني: ما دونه كبير؛ أي: مشارك له في الكبر، وهذا ليس صحيحاً.

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: أي: تنزهه.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾: من: للعاقل، وتشمل: المفرد، والمثنى، والجمع. ارجع إلى سورة الحديد، آية (١)؛ للبيان.

﴿وَمَن فِيهِنَّ﴾: من مخلوقات؛ كالملائكة، والثقلين: الجن، والإنس؛ تسبح له كل المخلوقات؛ مثل: الشّمس، والقمر، والنّجوم، والجبال، والشجر، والدواب، والجمادات، والنباتات، تسبح، وتشهد بوحدانيته.

﴿وَإِن﴾: إن: نافية؛ وتعني: ما، وإن: أشد نفياً من: ما؛ أي: وما من شيء إلا يسبح بحمده.

﴿مِّن﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿شَىْءٍ﴾: اسم جنس، ونكرة يشمل كل شيء، والشّيء: هو أقل القليل.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾: تسبيح وحمد معاً، ولمعرفة معنى الحمد: ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢).

﴿وَلَٰكِن﴾: أداة استدراك؛ تفيد التّوكيد.

﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: التسبيح: هو تنزيه الله سبحانه عما لا يليق بذاته وأسمائه وصفاته من كل عيب ونقص، ويعني: تعظيم وتمجيد الله تعالى، فنحن نسمع تسبيحها ولكن لا ندرك أو نفهم ما تقول؛ فقد قال تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور:٤١]؛ فكل شيء في الكون يعلم كيف يُصلي لله بطريقته الخاصة، ولغته الخاصة، ويسبحه، وعدم فقه تسبيحهم قد يكون رحمة بالعباد؛ فلو فهموا

أو فقهوا تسبيح الأشياء الّتي يأكلونها لربما امتنعوا عن الأكل، وربما لم يستطيعوا أن يناموا لحظة من سماعهم ما تقول تلك المخلوقات حين نسمع أصواتها، أو غيرها من الآثار المترتبة على سماع وفهم تسبيح مخلوقات الله. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾، ولم يقل (تسبيحها): وصف الغير عاقل بالعاقل، وعاملها معاملة العاقل؛ لأن الله حين خلط مع العقلاء غيرهم جرى على أحدهما ما جرى للآخر إذا كان مشارك في المعنى.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾: إنه: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كان، ولا زال، وسيبقى.

﴿حَلِيمًا﴾: لا يعجل بالعقوبة للغافل؛ لعله يذكر ربه، ويسبح، أو يتوب إلى ربه، ورفيقاً بعباده كثير الصبر والإناة.

﴿غَفُورًا﴾: لمن تاب، وأناب؛ كثير الغفران صيغة مبالغة؛ يغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت، أو عظمت، والغفر؛ يعني: الستر، ثم يمحوها من كرمه، وفضله.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾

المناسبة: كما ذكر القرطبي؛ قيل: إن جماعة من كفار قريش منهم: أبو جهل، وأبو سفيان، وأبو لهب، وأم جميل كانوا يتنصتون على رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن؛ ليسمعوا ما يقول، وكانوا يؤذونه؛ فحجب الله سبحانه عنهم سماع القرآن، وكذلك حجب الله سبحانه رسوله ﷺ عن أبصارهم عند قراءة القرآن؛ فكانوا يمرون به، ولا يرونه، ولا يسمعونه، ومثال على ذلك: حين نزلت سورة «تبت يدا أبي لهب»؛ فجاءت امرأة أبي لهب بحجر، والنّبي ﷺ مع أبي بكر؛ فقالت لأبي بكر: أين صاحبك الّذي هجاني؟ ولم تر رسول الله ﷺ،

وأخبرها أبو بكر بأن السّورة ليست من قوله. وقيل: نزلت في أبي سفيان، والنضر بن الحارث، وأبي جهل، كما روي عن ابن عبّاس ﷺ.

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان يتضمن معنى الشّرط، واستعمال إذا: يفيد حتمية الوقوع، وكثرة وقوعه.

﴿قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾: ولم يقل: ساتراً، بل: مستوراً؛ مبالغة في الستر، والإخفاء، وهذا الحجاب نفسه مستور، حجاب معنوي يمنعهم من سماعك، أو رؤيتك، كما قال تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد:٢].

مستور: على وزن مفعول؛ أي: مانع للعين من الرؤية، ومانع للأذن أن تسمع، والقدرة الإلهية الّتي تُسير هذا الكون قادرة على أن تعطل أيَّ أداة عن أداء مهمتها؛ فلا عجب؛ فقد جعل النّار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام.

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾:

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: كما جعل الله سبحانه على أعين كفار مكة حجاباً مستوراً لا ترى رسول الله ﷺ أحياناً، وعطل سمعهم أحياناً؛ كذلك جعل على قلوبهم أكنَّة: أغطية؛ جمع كنان: غطاء.

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: أي: يفهموا القرآن يفهموا أسراره ومعانيه وحقائقه التي تبعث على الإيمان بالله وحده. أن: حرف مصدري للتعليل، وما جعل الله على قلوبهم أكنَّة؛ إلا بعد أن قالوا عن أنفسهم: قلوبنا في أكنَّة مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر؛ أي: ثقل في السّمع؛ لكيلا يسمعوا هذا القرآن، أو ما يقوله رسول الله ﷺ سماع يُستفاد منه بالرجوع إلى طريق الهداية، والإيمان، والتّوبة.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ﴾: أي: إذا ذكرت ربك وحده، ولم تذكر

آلهتهم الّتي يظنون أنها ستشفع لهم، أو تقربهم من الله زلفىٰ، أو قلت: لا إله إلا الله وحده، وذكرت آيات تدل علىٰ التّوحيد؛ خافوا مما سمعوا.

ثم ﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: (أعطوك ظهورهم)، وابتعدوا عنك فارين لا يريدون سماع ما تقول، ولا يريدون منك أن تذكر الله وحده.

[٤٧] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾:

المناسبة: روي عن ابن عبّاس ﷺ أن جماعة من كفار مكة مثل النضر بن الحارث، وأبي سفيان، وأبي جهل، وغيرهم كانوا يجلسون إلىٰ النّبي ﷺ، ويستمعون إلىٰ حديثه للاستهزاء به، أو التّعجب، أو لكي يلغوا في القرآن.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ سبب الاستماع: هو الاستهزاء، أو اللغو... وغيرها، والهاء: تعود للقرآن؛ أي: يستمعونه، وهناك فرق بين يستمعون به، ويستمع إليك؛ يستمع إليك تعني: ذكر الرسول، أو القصد الرسول، وحين يقول يستمعون به تعني: القرآن.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: إذ: ظرف زماني؛ أي: وإذ هم ذوو نجوىٰ؛ فكأن كل حالهم، وهمهم النجوىٰ.

﴿هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾: يتحدثون سراً بينهم، ويقولون: رجل مسحور، أو ساحر، أو كاهن، أو مجنون.

وأحياناً يقولون: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو، ولا يُعلىٰ عليه من السيرة النبوية لابن هشام، أو يقولون: إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً (اسم مفعول)؛ أي: سحره غيره، وفي مرات أخرىٰ قالوا: ساحر، وهنا يقولون: مسحوراً سحره غيره.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المشركون.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾: إن: نافية أقوىٰ في النفي من: ما.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: أي: سحره غيره. ارجع إلىٰ سورة طه، آية (٥٨)؛ لبيان معنىٰ: السّحر.

فهم ما قالوا ذلك إلا بعد أن تأثروا بما جاء في القرآن، فشبهوا ذلك بالسّحر الّذي يؤثر في نفوس النّاس.

[٤٨] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾:

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ﴾: استفهام فيه معنىٰ التّعجب.

﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾: لك: اللام: لام الاختصاص؛ لك: خاصة، وليس لغيرك؛ أي: أنت وحدك الّذي اتهموه بكل هذه الأمثال؛ فقالوا ساحر، شاعر، مجنون، كاهن. ارجع إلىٰ سورة النحل آية (٧٤-٧٥) لمزيد من البيان في معنىٰ المثل.

﴿فَضَلُّوا۟﴾: الفاء: عاطفة؛ ضلوا: عن الصّواب، ولم يهتدوا إلىٰ الحق، ولم يجدوا مخرجاً إلا هذه الافتراءات.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتأكيد؛ لا: النّافية.

﴿يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: ليس لهم القدرة، والاستطاعة أن يصدوا أحداً عن سبيل الله، أو عن رسول الله ﷺ، أو الدخول في الدّين إذا شاء الله بأي وسيلة، أو طريقة يملكونها.

﴿سَبِيلًا﴾: نكرة؛ أيّ سبيل، أو طريقة يستعملونها.

[٤٩] ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾:

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا﴾: أإذا: الهمزة: استفهام إنكاري، وتعجب، واستبعاد؛ أي: قال المشركون منكرو البعث.

﴿كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾: ولم يقولوا هذه المرة تراباً وعظاماً، وإنما قالوا: عظاماً ورفاتاً، فقط في سورة الإسراء ذُكرت العظام، والرفات، والأصل: تراباً، وعظاماً، وليس عظاماً ورفاتاً؛ لأننا إذا بحثنا في القبر نجد التّراب، وتحته العظام؛ فالعظام، والرفات: هي ناتجة عن تكسر العظام وتفتتها، وهي تدل أو تشير إلىٰ مرحلة متأخرة جداً بعد الموت تلي مرحلة التراب والعظام.

والعظام: جمع عظم، وتتكسر العظام، ثم تتفتت علىٰ مرور السنين.

والرفات: هو الفتات (فتات العظام) وهم قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾؛ لأن بعضهم أحضر إلىٰ رسول الله ﷺ عظماً بالياً وكسره وسئل رسول الله ﷺ كما قال تعالىٰ في سورة ياسين آية (٧٨) ﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾.

فهؤلاء المشركون ومنكرو البعث يستبعدون أنهم بعد موتهم، وتحولهم إلىٰ عظام ورفات أنهم سوف تعاد لهم الحياة، ويُبعثون من قبورهم للحساب، والجزاء.

﴿أَءِنَّا﴾: استفهام إنكاري، واستبعاد.

﴿لَمَبۡعُوثُونَ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ مخلوقون من جديد.

﴿خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾: بعد الموت.

❖ ❖ ❖

نصف الحزب ٢٩

قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى
صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن
يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ
وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ
أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ
يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ
وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

سورة الإسراء [الآيات ٥٠ - ٨٥]

[٥٠] ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾:

قل لهم يا محمّد ﷺ: لو كنتم حجارة، أو حديداً بدلاً من العظام، والرفات، أو أي شيء بين الحجارة، أو الحديد؛ فإن الله سبحانه قادر على بعثكم خلقاً جديداً للحساب، والجزاء، ولن تفلتوا من عقابه.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾:

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ﴾: التّحدي ازداد لمنكري البعث بأبعد من الحجارة، أو الحديد: بأن يختاروا خلقاً حسب ما يتصورونه، ويكون أصعب، أو أبعد التّصورات من الحديد، أو الحجارة؛ مهما كان نوعه، وشكله أعظم شيء يمكن تصوره، أو تخيله بعيداً عن قابلية الحياة.

﴿فِى صُدُورِكُمْ﴾: في نفوسكم.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ سيقولون: السين: للاستقبال القريب.

﴿مَن يُعِيدُنَا﴾: إلى الحياة، أو يبعثنا.

﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: الّذي فطركم (خلقكم) أول مرة.

﴿فَطَرَكُمْ﴾: أخرجكم أظهركم للوجود من: تفطر الشجر؛ أي: تشقق بالورق.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: فسينغضون: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، والسين: للاستقبال القريب؛ ينغضون إليك رؤوسهم: يحركون رؤوسهم كما نفعل حين نرد على سؤال ما بدون النطق نحرك الرأس من الأعلى إلى الأسفل، وتعني: نعم، أو من الأسفل إلى الأعلى، وتعني: كلا، أو لا.

نغض الرأس: حركة الرأس بارتفاع، أو انخفاض تعجباً، أو استهزاءً أحياناً.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾: أي: متى سيكون البعث، والإعادة.

﴿مَتَىٰ﴾: للاستفهام الزماني، وفيها معنى الاستنكار، والتعجب، والاستبعاد؛ لحصول البعث.

﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾: عسى: للطمع، والترجي، والمتوقع حدوثه:

﴿أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾: أن: للتوكيد.

﴿يَكُونَ قَرِيبًا﴾: بدون طول انتظار.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: بالنّفخة الثّانية: نفخة البعث؛ يدعوكم للخروج، أو للبعث من القبور؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥].

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾: فتستجيبون: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ تستجيبون: للداعي، وهو إسرافيل عليه السلام؛ تستجيبون: تجيبون دعوة الداعي بمشقة وجهد.

﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل؛ بحمده؛ أي: بأمره، أو حامدين لله شاكرين له؛ أي: تقومون طائعين تحمدون الله الّذي طالما أعلمكم بهذا اليوم، أو بالبعث.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: وتظنّون: من الظن، وهو الخبر الراجح (نسبة الإثبات أعلىٰ من نسبة النّفي).

﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾: إن: للنفي أشد نفياً من حرف: ما؛ أي: ما لبثتم، واللبث: الإقامة المقترنة بزمن محدد مقارنة بالمكث الغير محدد بزمن معين.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: أداة حصر، قليلاً من الزّمن؛ لأنّه سبحانه قادر علىٰ قبض الزّمن، وبسطه في آن واحد، وقادر علىٰ جمع الضدين، كما حدث في قصة الّذي مر علىٰ قرية، وهي خاوية علىٰ عروشها، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم:٥٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦].

[٥٣] ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾:

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿لِّعِبَادِى﴾: اللام: لام الاختصاص؛ عبادي: أي: الّذين آمنوا، الطبقة المؤمنة. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٨٦)؛ لمعرفة الفرق بين عبادي وعبيد وعباد.

﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: قيل: الّتي هي أحسن هي: لا إله إلا الله، وتشمل كل الأقوال الحسنة؛ «يقولوا الّتي هي أحسن»: علىٰ وزن أفعل؛ أي: أفضل عند حديثهم مع بعضهم، أو عند محاورتهم للمشركين، أو غيرهم من النّاس.

﴿أَحْسَنُ﴾: تشمل كل حسن، وحكمة.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: إن: للتوكيد.

﴿الشَّيْطَانَ﴾: ارجع إلى الآية (٣٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: النزغ: هو الإهاجة، والإثارة بأن يهيج، ويثير الغضب بعضهم على بعض؛ حتّى تحدث العداوة بينهم، أو يفسد بينهم بالوسوسة، والطعن، والغيبة.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كان، ولا يزال، وسيبقى.

﴿لِلْإِنسَانِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ الإنسان: مشتقة من الإنس؛ أي: الإلفة.

﴿عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: أي: بين العداوة عدواً ظاهر العداوة عداوته لا تخفى على كل فرد، وعداوته لا تحتاج إلى برهان، أو دليل. ومبيناً: صفة مشبهة من فعل أبان.

[٥٤] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾:

﴿رَبُّكُمْ﴾: الرب: هو الخالق، والمربي، والمدبر، ورب المؤمن، والكافر، ورب كل شيء.

﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾: الخطاب هنا للكل، أو قد يكون للمشركين، أو للمؤمنين. أعلم بكم: أعلم بالمؤمن، أو غير المؤمن، والطائع، والعاصي؛ أعلم بإيمانكم، وبأعمالكم، وأحوالكم، وتقلبكم، وأعلم بحسناتكم، وسيئاتكم، وذنوبكم.

﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: إن: شرطية؛ يشأ: من المشيئة الّتي تسبق الإرادة، والمشيئة لا تتغير.

فإذا كان الخطاب للمؤمنين يرحمكم: بالتوبة، ويغفر لكم ذنوبكم، ويرحمكم في الدّنيا، والآخرة بكثير من أنواع الرّحمة، أو أن يعذبكم بكثير من أنواع العذاب.

وإذا كان الخطاب للمشركين العاصين يرحمكم: يهديكم للإيمان، أو يعذبكم في الدّنيا، والآخرة بأنواع كثيرة من أنواع العذاب، أو يميتكم على الكفر.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: ما: النّافية؛ أرسلناك: يا محمّد ﷺ. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩) لبيان معنى الإرسال والبعث.

﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: أي: ليس موكلاً إليك أمرهم عنا لكي تجبرهم على الإسلام، والإيمان، أو مسؤول عن إيمانهم، أو مؤاخذ على أفعالهم، أو ليس موكلاً عليك الدفاع عنهم؛ لأنّ الوكيل يدافع عن موكله؛ أي: لتدافع عنهم يوم القيامة؛ أي: أنت لست وكيلاً عليهم ولست وكيلاً عنا.

وهذا من رأفة الله تعالى، ورحمته برسوله ﷺ، وليس انتقاصاً من قدره؛ لأنّه كان ﷺ باخعاً نفسه، وحريصاً على إيمانهم. وإذا قارنا هذه الآية مع قوله تعالى ﴿أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]؛ حفيظاً: تعني لكي تحفظ أعمالهم وتحاسبهم عليها.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾: على وزن أفعل التفضيل؛ تدل على المبالغة في العلم، والله كذلك عليم، والله عالم الغيب، والشهادة، وأجاز لمن دونه أن يتصف

بالعلم؛ فوصفه بالعالم؛ أي: العالم كذا، والله علام الغيوب؛ فهو سبحانه عليم، وعالم، وعلام؛ يملك كل درجات العلم سبحانه.

﴿بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: بمن: الباء: للإلصاق، ومن: للعاقل، وتشمل المفرد والمثنى والجمع والذكر والأنثى من الإنس، والجن، والملائكة أعلم بأحوالهم، وسبل عيشهم، وإيمانهم، وموتهم.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: فضلنا: بالقرب من الله، وبالدرجة في الجنات، والله سبحانه له الأمر، والتفضيل؛ لأنّه سبحانه يعلم بواطن الأمور (خبير)، وظواهرها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٢٥٣) لمزيد من البيان في الفضل والكيفية.

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: تشمل الرّسل، والأنبياء؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وذكر تفضيل الرّسل في آية أخرى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾: الزبور: الكتاب الّذي أنزل على داود، وهو كتاب دعاء، وتحميد، وتمجيد ليس فيه من الفرائض، والحدود، أو الحلال، والحرام.

والزبور: تطلق على كل كتاب أنزله الله سبحانه. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان في معنى: زبوراً، ولماذا خص داود بالذكر عقب تفضيل بعض الأنبياء على بعض، ولم يذكر نبياً من أولي العزم؟ الله أعلم، وقد يكون السبب لأنه كان ملكاً رسولاً بعد أن كان راعياً للغنم.

[٥٦] ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾:

سبب نزولها: أن نفراً من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، كما روىٰ ابن مسعود، وأخرجه البخاري. وقيل: أن المشركين كانوا يعبدون الآلهة، أو الملائكة، وغيرهم من الشّركاء؛ فلما ابتلوا بالقحط سبع سنين، وراحوا يشكون حتّىٰ أكلوا الكلاب، والجيف، وضاقت السبل قيل لهم:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾: أي: من غير الله، علىٰ سبيل التهكم؛ من الملائكة، والأصنام، وعيسىٰ، أو الجن، أو المعبودين حتّىٰ يطعموكم، أو ينزلوا الغيث عليكم، أو يكشفوا الضر عنكم، والعبرة بعموم اللّفظ، وليس بخصوص السّبب.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّافية.

﴿يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾: فلا يقدرون إزالة، أو إيقاف الضّر من الفقر، والجوع، والمرض، والبؤس.

﴿يَمْلِكُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التّجدد، والاستمرار.

﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: ولا يقدرون علىٰ تحويل الضر عنكم إلىٰ غيركم، أو تحويل العسر إلىٰ يسر، أو تحويل الضر إلىٰ النافع.

وتكرار (لا) مرتين: تفيد التّوكيد لا كشف الضر، ولا تحويله، ولا كليهما.

[٥٧] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد (سواء عيسىٰ، أو الملائكة، أو عزير، أو الجن).

﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: أي: هم أنفسهم يدعون.

﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: أي: يطلبون أو يلتمسون القربىٰ من الله تعالىٰ بالطاعة، والعبادة، والدعاء؛ جاءت بالمضارع؛ لتدل علىٰ التّجدد، والاستمرار.

﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾: جنته، أو دفع الضر عن أنفسهم، والوقاية من وقوع العذاب بهم.

﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾: عذاب النّار (عذاب الآخرة)، أو الأخذ بالعذاب في الدّنيا.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾: من الحذر؛ أي: أن عذاب ربك مُحذر منه، يُخاف منه ويُبتعد عنه، بينما المحظور: الممنوع، والحظر: هو المنع (فالعطاء محظور، والعذاب محذور)؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورٗا﴾ [الإسراء:٢٠].

[٥٨] ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾:

انتبه إلىٰ هذه الآية الّتي تخبر بحكم مطلق بتعذيب كل قرية، أو إهلاكها قبل يوم القيامة، والإطلاقات في بعض الآيات القرآنية تقيدها آيات أخرىٰ، وعلىٰ سبيل المثال هذه الآية الّتي تقيدها آيتان هما قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ﴾: وإن: الواو: استئنافية؛ إن: نافية أشد نفياً من: ما؛ أي: وما من قرية.

﴿مِّن﴾: ابتدائية استغراقية.

﴿قَرْيَةٍ﴾: تعني: أهل القرية، والبناء، وكما قلنا: من قرية؛ أيّ قرية ظالمة، أما القرية غير الظالمة، والقرية الّتي أهلها غافلون، أو مصلحون؛ فلن تعذب، أو تهلك قبل يوم القيامة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَحْنُ﴾: بصيغة التّعظيم؛ للدلالة على شدة الهلاك.

﴿مُهْلِكُوهَا﴾: بالاستئصال. ارجع إلى سورة الأعراف آية (٤) لبيان معنى الهلاك.

﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾: من التعذيب، والتعذيب يكون قبل الاستئصال، ويتم بالألم، والجوع، والصواعق، والكوارث الجوية، وفيه عطف الخاص على العام.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾: العذاب، والهلاك.

﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾: أي: مسجلاً في اللوح المحفوظ؛ منذ الأزل.

❖ ❖ ❖

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ
إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا
جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ
فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ
قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي
كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ
مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ
فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

سورة الإسراء [الآيات ٥٩ - ٦٦]

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾:

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: ما: النّافية.

﴿مَنَعَنَآ﴾: لا يمنع الله سبحانه أيُّ شيء، واستعمل منعنا بدلاً من صرفنا؛ أي: وما صرفنا عن إرسال الآيات الّتي طلبوها، أو المعجزات الّتي اقترحوها مثل تحويل الصفا إلىٰ ذهب، أو أن ينحّي عنهم جبال مكة كي يزرعوا ويحصدوا، كما أخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس، أو غيرها من الآيات الّتي سيأتي ذكرها في الآيات القادمة (٩٠-٩٣)، والآيات تعني: المعجزات.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾: أي: ما صرفنا عن الاستجابة إلىٰ طلبهم بإرسال الآيات الّتي اقترحوها إلا تكذيب الأولين الّذين سبقوهم بتلك المعجزات، أو الآيات؛ لأنّه لو أرسلنا تلك الآيات، واستجبنا لما طلبوه، ولم يؤمنوا بعدها، لَحقَّ عليهم العذاب، وهلكوا كما حدث لقوم ثمود الّذين ظلموا بها؛ أي: بالنّاقة الّتي أرسلت إليهم كآية:

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾: وأرسلنا إلىٰ ثمود النّاقة؛ كآية معجزة دالة علىٰ صدق نبوة صالح. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٥١) لبيان معنىٰ الإيتاء والعطاء.

﴿مُبْصِرَةً﴾: بينة، واضحة علىٰ نبوة صالح، وصدق ما دعاهم إليه، ونسب

الإبصار إلىٰ الناقة؛ لأنها كانت سبباً كافياً للدلالة لإبصار طريق الهدىٰ والإيمان؛ مبصرة كالنهار، مبصراً بنوره، وهم عمون عن الحق.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ ظلموا بها؛ أي: بالنّاقة كآية؛ أي: جحدوا بها، وكذبوا بها، ولم يمتثلوا أوامر نبيهم صالح؛ فأخذتهم الصيحة؛ ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود:٦٧]. والسؤال لماذا خص ثمود بالذكر دون غيرهم؛ لأن قصة ثمود وآية الناقة التي أرسلت إليهم اشتهرت بين العرب، ولأن آثار ديارهم لا زالت قائمة بين مكة والشام، ويمكن الوصول إليها ورؤيتها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: أي: ما نرسل بالآيات؛ آيات التنزيل، أو المعجزات، أو الكونية إلا حصراً، وقصراً؛ لتخويف العباد؛ كي يتذكروا، أو يتعظوا، أو يصحوا من سباتهم، ويتوبوا إلىٰ الله، ويؤمنوا به، وبما أُنزل عليهم من الآيات وتشمل الآيات الكونية، والزلازل، والبراكين، والأحداث الجوية.

﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: أي: إنذاراً؛ أي: وما نرسل بآيات القرآن إلا تحذيراً، وإنذاراً بعذاب الآخرة، والخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه، وأما الحذر: فهو توقي الضرر سواء أكان ظناً أم يقيناً.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾: ظرف زمان للماضي؛ أي: واذكر إذ قلنا لك، أو حين قلنا لك، أو أوحينا إليك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾: إن: للتوكيد.

﴿رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾: أي: أحاط بعلمه، وبقدرته؛ أي: إحاطة علم، وقدرة؛ أي: الكل في قبضته، ولا بد من كليهما معاً.

﴿بِٱلنَّاسِ﴾: الجن، والإنس معاً. وقيل: «إن ربك أحاط بالنّاس»: بشرناك بما سيحدث في معركة بدر؛ سيهزم الجمع، ويولون الدبر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ﴾: اختلف المفسرون في هذه الرؤيا على عدة تفاسير:

١ - ما رأى رسول الله ﷺ في منامه ليلة بدر حيث رأى مصارع القوم مصرع فلان، وفلان من قريش؛ فسمعت قريش فكانوا يسخرون ويضحكون من تلك الرؤيا الّتي كانت فتنة للناس من حيث التّصديق، أو التّكذيب بها. أخرجه مسلم، وأحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه.

٢ - رؤيا الإسراء، والمعراج: وسميت رؤيا؛ لأنّها وقعت بالليل فما كان من قريش إلا أن أنكروا ذلك، وكذبوا رسول الله ﷺ عندما أخبرهم بما حدث، كما روى عكرمة عن ابن عباس وغيره من الصحابة، وهذا هو المرجح، وهي رؤيا بصرية حقة، وليست رؤيا منامية حصلت باليقظة.

﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: إلا: أداة حصر؛ فتنة للناس: ابتلاءً واختباراً.

﴿لِّلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ النّاس: قريش، ومن حولهم.

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: أي: شجرة الزقوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٤-٦٥]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصافات:٦٣]؛ حيث قال أبو جهل وأصحابه استهزاءً بها وسخرية منها: إن محمد يعدكم بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا التمر والزُّبدُ لنتزقمها تزقماً، كما روى ابن عباس، وكما روى قتادة: ووصفت بالشجرة الملعونة: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٦٤] في أبعد مكان من الرّحمة، أو العرب تقول لكل طعام مكروه: ملعون. قول: طعام الأثيم؛ الأثيم: لا شك هو ملعون، وهي طعام الأثيم، وهي آية من آيات الله الدّالة على قدرته؛ فهي تنبت في أصل الجحيم؛

تنبت في النّار، وأعدت لإطعام الأثيم؛ فهي شبهت برؤوس الشياطين لقبحها، ولكونها مخيفة، والتي رآها رسول الله ﷺ في الإسراء والمعراج.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: ونخوفهم: بالآيات، أو بالعذاب، ونخوفهم بالصواعق، والبراكين، والريح العقيم، والصيحة.

﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: تخويفنا، أو إرسال الآيات.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: الطغيان: تجاوزهم الحد في الضّلال، والظلم، والشرك، والكفر، وبعداً عن الدين.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾:

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: إذ: ظرف زمان للماضي؛ أي: واذكر إذ قلنا، أو اذكر حين قلنا.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: سجود طاعة لله، أو تحية، وليس سجود عبادة.

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: الفاء: تدل على المباشرة، سجدوا مباشرة.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء منقطع؛ لأن إبليس ليس من الملائكة، وإنما من الجن.

﴿إِبْلِيسَ﴾: هو أبو الجن؛ كان من الجن ففسق عن أمر ربه، وله ذرية هم الجن، كما أن آدم أبو البشر. إبليس: اسم أعجمي ممنوع من الصرف، وقيل: مشتق من الإبلاس؛ لأن الله سبحانه أبلسه من رحمته، وآيسه من مغفرته، سجدوا تعني: الملائكة الموكلين بذرية آدم.

﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: قال إبليس: أأسجد: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتعجب، واستبعاد؛ لأنّه ظن نفسه أفضل من آدم؛ لكونه خلق من نار، وآدم خلق من طين. ارجع إلىٰ سورة الحجر، آية (٢٨)؛ للبيان.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿قَالَ﴾: إبليس.

﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾: أرأيتك: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار، وتعجب؛ أرأيتك: الرؤية هنا تعني: رؤية قلبية، وممكن أن تكون بصرية؛ أي: أخبرني، وأعلمني بالتأكيد عن هذا الّذي كرَّمته عليَّ، وأنا أفضل منه، وأصابني بسببه ما أصابني.

﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾: هذا: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلىٰ آدم

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مختص بالمفرد المذكر.

﴿كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾: فضَّلت عليَّ، وكرَّمت أشد بلاغاً، وتوكيداً؛ أشد تكريماً من القول: أكرمت عليَّ.

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾: لئن: اللام: للتوكيد؛ أخرتن: ولم يقل أخرتني؛ حذف الياء؛ لأن تأخير إبليس ليس طلباً لطول عمره؛ أي: من أجل نفسه، وإنما يريد التأخير للإضلال، والإغواء لبني آدم؛ فهو تأخير ليس فيه نفع لإبليس نفسه، وتأخير سيجلب له زيادة في العذاب، ولو كان التّأخير فيه فائدة ومصلحة له لقال أخرتني مقارنة بقوله تعالىٰ: ﴿أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون:١٠] حيث التأخير هنا كائن لمصلحة؛ أي: فائدته والطلب في هذه الآية طلب صريح بينما الطلب في آية الإسراء هو شرط.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: إلى حرف غاية.

﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أي: يريد أن ينجو من نفخة الصعق، والموت، ويبقى حياً إلى يوم القيامة (نفخة البعث) النفخة الثّانية.

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾: لأحتنكن: اللام: لام التّوكيد؛ ذريته: أي: نسل آدم؛ أحتنكن لها عدة معان منهم من قال: اشتقت من حنك الدابة، وتعني: وضع اللجام في فمها حتّى يمكن السيطرة عليها، وتوجيهها حيث يريد الراكب عليها؛ أي: يصبح كالدابة يسيره كيف يشاء، أو احتنك الجراد الأرض؛ أي: أكل نباتها، وأتى عليها؛ فيصبح معنى الاحتناك هو: الاستيلاء، والاستئصال؛ أي: أستولي على كل ضعيف إيمان، ومشرك، وكافر فأضله، وأغويه؛ حتّى أورده مورد التّهلكة؛ فيصبح لجهنم حطباً؛ (وقوداً لجهنم)، ومعنى ذلك: الاستئصال.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: إلا عبادك منهم المخلِصين.

[٦٣] ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾:

﴿قَالَ﴾: الله سبحانه وتعالى لإبليس.

﴿ٱذْهَبْ﴾: فعل أمر يحمل معنى: الطرد، والإبعاد.

﴿فَمَن﴾: الفاء: للتأكيد؛ من: استغراقية تستغرق كل من تبعك، وشرطية، وجوابها: فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً.

﴿تَبِعَكَ﴾: ساروا وراءك، واتبعوا خطواتك؛ أي: استجابوا لك، وأطاعوك.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الإنس، والجن.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: رابطة للجواب.

﴿جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾: ولم يقل: جزاؤهم؛ لأنّ إبليس مخاطب كذلك، وداخل معهم، وفي حكمهم.

﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾: وافياً كاملاً فيه من كل أنواع العذاب، والجزاء في الأصل المماثلة؛ أي: من جنس العمل، ويشمل العقاب والثواب.

[٦٤] ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾:

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: من: فز؛ أي: قم، وحرك، أو انهض، وحرض، وحث.

﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾: من: ابتدائية استغراقية، كل من استطعت.

﴿بِصَوْتِكَ﴾: بوسوستك.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: أجلب: صِح عليهم، أو صِح بهم راكباً كنت أو ماشياً؛ يصور الله سبحانه حالة الشيطان في تسلطه على الغاوين بالفارس الّذي يصيح بجنده، ويشجعهم للهجوم على الأعداء، ودحرهم.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾: كيف يشاركهم؟ بأن يزين لهم المال الحرام، والربا؛ فيأخذوه، والسرقة، وأكل مال اليتيم؛ فتقلّ بركة المال، أو يصرف في التبذير، والمعاصي، والرذيلة، وزين لهم الزنى، وعقوق الوالدين، ووأد البنات.

﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: عدهم بالأماني الكاذبة، وطول العمر، وزين لهم الباطل في صورة الحق.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: ما: النّافية.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: إلا: أداة حصر؛ يعني: ما يعدهم إلا باطلاً.

والغرور: الخداع، غرَّ فلان فلاناً؛ أي: خدعه، وأصل الغرور تزيين الباطل بما يوهم بأنه حق، مثال شفاعة الآلهة لهم شفاعة باطلة فالآلهة لا تنفع، ولا تضر،

والتسويف بتأجيل التّوبة، والاتكال على الرّحمة، ولا جنة، ولا نار، وفي الآية انتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب للتوكيد؛ أي: تحول من مخاطبة الشيطان إلى مخاطبة النّاس بصيغة الغائب ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ بدلاً من قوله: وعدهم، وما يعدكم الشّيطان إلا غروراً؛ لأن ما يعدهم بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدد والتكرار وهو الغرور، والتزيين، والوهم، والباطل، والشّيطان يسمى الغَرور: بفتح الغين.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾:

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِبَادِي﴾: عبادي: هم الطبقة من الّذين آمنوا، واختاروا طريق الإيمان بأنفسهم؛ فشرفهم الله تعالى، فقال: عبادي، وليس عبيد؛ الكل عبيد، وعبادي هم الطبقة المؤمنة، وعبادِ هم أعلى درجة من عبادي، وهم المؤمنون حقاً. ارجع إلى سورة الزمر، آية (١٨)؛ للبيان.

﴿لَيْسَ لَكَ﴾: ليس: أداة نفي.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والخطاب لإبليس.

﴿عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾: أي: ليس لك على عبادي سلطان، سواء أكان سلطان الحجة، والبرهان، أو سلطان القهر، والغلبة؛ لحملهم على المعصية؛ أي: سواء بالحجة، والتزيين في القول، أو الوسوسة، والنزغ، أو بالقوة، والغلبة.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: وكفى؛ أي: هو كافيك، ولا تحتاج إلى سواه في الدّنيا، ولا في الآخرة.

﴿بِرَبِّكَ﴾: الباء: للاهتمام، والتوكيد.

﴿وَكِيلًا﴾: الكافي، والقائم بأمور العباد، والموكول إليه تدبير كل أمر، أو شيء.

[٦٦] ﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾:

﴿ رَّبُّكُمُ ﴾: الرب: هو الخالق، والرازق، والمدبر، والمتولي أموركم.

﴿ٱلَّذِى ﴾: اسم موصول مختص بالمفرد المذكر.

﴿يُزْجِى ﴾: يُسير الفلك برفق فوق الماء؛ أي: يسوق، ويدفعها برقَّة؛ يقال: أزجى الإبل: ساقها برفق، والريح تُزجي السحاب: تسوقه تحمله، وتسير به، والآلة، أو المحرك يسير ويعمل بإذن الله؛ فهو سبحانه القادر على تعطيلها، أو تشغيلها.

﴿لَكُمُ ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿ٱلْفُلْكَ ﴾: السفن، وتشمل المفرد، والجمع. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (٣٢)؛ للبيان، كيف يُسير لكم الفلك.

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾: الابتغاء: القصد من فضله: من رزقه؛ أي: اللحم الطري السمك، وغيره من الحيوانات المائية؛ التي تؤكل، أو يستفاد منها، والانتقال، والسفر، والتجارة، وحمل الأثقال، والمتاع.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾: إنه: للتوكيد.

﴿كَانَ ﴾: من الأزل، ولا يزال، وسيبقى بكم رحيماً.

﴿رَحِيمًا ﴾: صيغة مبالغة من الرّحمة في تسخيرها لكم، والفلك التي تحملكم وتسير بكم، والتجارة، وصيد البحر، واللحم الطري، واستخراج الحلية، كل ذلك من مظاهر رحمة الله بكم.

❖❖❖

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ
إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ
بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ
فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ
كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ
وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ
تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ
ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب

سورة الإسراء [الآيات ٦٧ - ٧٥]

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل متضمن معنىٰ الشرط؛ تدل علىٰ حتمية الوقوع، أو الحدوث.

﴿مَسَّكُمُ﴾: المس: الإصابة الخفيفة.

﴿ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: أي: الغرق، أو الخوف، أو التيه، أو المرض.

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: أي: لم تعودوا تدعون أو تذكرون إلا إياه مغيثاً، وغاب وتاه، ولم يعد في بالكم أحد تدعونه إلا الله.

﴿فَلَمَّا﴾: لما: ظرفية زمانية؛ بمعنىٰ: حين.

﴿نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: نجاكم: تعني: ببطء، ولم يقل: أنجاكم؛ أي: بسرعة رجعتم إلىٰ كفركم، وشرككم، ودعاء سواه.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: جاحداً لنِعم الله.

﴿كَفُورًا﴾: صيغة مبالغة من الكفر؛ أي: كثير الكفر لنِعم الله، ومن مظاهر الكفر: الإعراض عن التّوحيد، والإيمان، وستر نِعم الله تعالىٰ.

[٦٨] ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾:

﴿ أَفَأَمِنتُمْ ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: للتوكيد؛ أفأمنتم بعد إذ نجاكم من الغرق، وعدتم إلى اليابسة (أي: البر):

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾: أي: تنهار الأرض بكم، كما فُعل بقارون.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: أو أن يرسل عليكم ريحاً مدمرة تحمل في طياتها الحصى، والحجارة، وتدمر كل شيء.

﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد.

﴿لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾: لا تجدوا لكم من ينصركم، ويدافع عنكم، ويعينكم، ويتولى أمركم، أو يخفف، ويدفع عنكم عذابنا.

[٦٩] ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾:

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ ﴾: أم: الهمزة استفهام إنكاري؛ أم: هنا المنقطعة، والانتقال إلى سؤال، أو استفهام آخر.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد.

﴿يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: يعيدكم في البحر مرة ثانية.

﴿فَيُرْسِلَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾: أي: ريحاً تقصف كل شيء تمر به، وتكسر، أو تدمر الفلك؛ من: قصف فلان ظهر فلان؛ أي: كسره. والريح في القرآن تأتي في سياق الشر والعذاب والدمار، وأما الرياح فتأتي في سياق الخير والنعمة.

وللريح أنواع (ذكرت في القرآن):

ريحاً قاصفاً: ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته؛ أي: كسرته.

ريحاً عاصفاً.

ريحاً حاصباً: ترمي بالحصى، والحجارة.

ريحاً عقيماً: لا فائدة منها إلا الدمار، والخراب.

﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: فيغرقكم: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو باء السببية، أو البدلية؛ أي: بسبب كفركم.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾: ثم: للتعقيب، والتّراخي؛ لأن ذلك يأخذ زمناً، ويحتاج فيه للمتابعة، وأخذ الثأر، ثم لا تجدوا لكم ناصراً، أو معيناً، أو ولياً لكم يوالي تتبعنا، ويبحث عنا؛ لأخذ ثأره منا؛ أي: لا تجدوا لكم تبعاً يأخذ بثأركم، أو يطالبنا بفدية لكم.

﴿تَبِيعًا﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل من: تابع، وتبيع اسم فاعل: وهو المطالب بحق، أو بثأر؛ لأن الله سبحانه لا يخاف رد الفعل منكم؛ فلا يستطيع أحد أن يرد على عذابه، أو انتقامه.

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾: فضَّلنا بني آدم: كرَّمنا، ولم يقل أكرمنا؛ كرَّمنا: أشد مبالغة من أكرمنا بني آدم بالعقل، والإيمان، والعلم، والنطق، والتّمييز، وحسن الهيئة، والصورة، والبيان، وكَرَّمنا تفيد دوام وأتم وأبلغ التكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: بالسيارات، الفلك، ووسائل النقل المتعددة، والأنعام، وغيرها كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]؛ أي: الطائرات والسفن الفضائية؛ أي: حملناهم في البر والبحر والجو (السماء).

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من الأطعمة، والأشربة الحلال.

﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: جمع طيب: وهو الحلال الطاهر. ارجع إلىٰ سورة الأنفال، آية (٦٩)؛ للبيان.

[٧١] ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾:

﴿يَوْمَ﴾: يوم القيامة، وتنكيره للتهويل، والتعظيم.

﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: ندعو كل أناس بنبيهم: يا أمة محمّد، يا أمة عيسىٰ، يا أمة موسىٰ، يا أمة إبراهيم، أو كتابهم: يا أهل القرآن، يا أهل التّوراة، يا أهل الإنجيل، يا أهل الزبور.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: فمن: الفاء: عاطفة؛ من: شرطية.

﴿أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾: من هؤلاء المدعوين أعطي كتابه بيمينه: فهذه بشارة الخير، والسلامة.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ أولئك: اسم إشارة؛ اللام: للبعد، وتشير إلىٰ علو المنزلة، والتّكريم

انتبه إلىٰ: فمن أوتي... فأولئك: قد يظنه البعض انتقالاً من المفرد إلىٰ الجمع، والحقيقة: فمن أوتي؛ من: تفيد الإفراد، والتّثنية، والجمع، والمذكر، والمؤنث؛ إذن: من أوتي: جاءت في معنىٰ: الجمع.

﴿يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾: كتاب أعمالهم، أو حسناتهم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩-٢٠].

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة؛ لا: النّافية.

﴿يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة سيئة واحدة، ولا نقصان حسنة.

﴿فَتِيلًا﴾: هو الخيط في بطن نواة التمر، وبالإضافة إلىٰ الفتيل هناك: النقير، والقطمير.

فالنقير: هو نقطة، أو حفرة تظهر في ظهر نواة التمر.

والقطمير: اللفافة الرقيقة بين الثمرة، والنواة.

فهذه الكلمات الثلاث: الفتيل، والنقير، والقطمير: مأخوذة من حبة التمر.

[٧٢] ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾:

ذكر الله سبحانه في الآية السّابقة: فمن أوتي كتابه بيمينه، وهذه الآية تشير إلىٰ الّذي سيأخذ كتابه بشماله؛ فوصفه بالأعمىٰ أعمىٰ البصيرة في الدّنيا، وأعمىٰ البصر والبصيرة معاً في الآخرة.

أعمىٰ البصيرة في الدّنيا؛ أي: أعمىٰ القلب، لا يفهم آيات الله، ولا يؤمن، ولا يهتدي سبيلاً، وأما في الآخرة؛ فهو أعمىٰ البصر، والبصيرة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، و﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

وقد يكون عمىٰ الدّنيا أقل شدة بكثير من عمىٰ الآخرة.

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: فمن كان في الدّنيا ضالاً فسيكون في الآخرة أضل بكثير مما كان عليه في الدّنيا؛ حيث لا يمكن أن يتدارك ضلاله في الآخرة؛ بينما في الدّنيا كان باستطاعته أن يتوب، ويرجع عن عصيانه، وضلاله.

[٧٣] ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾:

﴿ وَإِن كَادُوا۟ ﴾: إن: للتوكيد؛ كادوا: من أفعال المقاربة؛ أي: كاد قارب على الحدوث، ولكنه لم يحدث.

﴿لَيَفْتِنُونَكَ ﴾: اللام: لام التّوكيد، والنون في «يفتنونك» لزيادة التّوكيد؛ يفتنونك: أي: يخدعونك، أو يزلونك عن الحق، ولكن هذا لم يحدث؛ مثال: قالوا: نعبد إلهك سنة، وتعبد آلهتنا سنة كما روي عن ابن عباس، أو حين طلبت ثقيف من رسول الله ﷺ أن يخصها بأمور تفتخر بها على العرب، كما روى عطاء عن ابن عباس، وذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿عَنِ ﴾: تفيد المجاوزة، والمباعدة.

﴿ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ﴾ الّذي أوحينا إليك: هو القرآن الكريم، ولمعرفة معنى أوحينا: ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)، والافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق.

﴿وَإِذًا ﴾: جواب، وجزاء.

﴿لَّٱتَّخَذُوكَ ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتّعليل.

﴿خَلِيلًا ﴾: من الخلَّة، وهي المودة؛ أي: لاتَّخذوك صديقاً مخلصاً، ومشتقة من: تخلل الخليلان كلٌ في الآخر، والاندماج معاً.

[٧٤] ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾:

﴿ وَلَوْلَآ ﴾: حرف امتناع لوجود؛ أي: لأننا ثبتناك لم تركن إليهم، ولو ركوناً قليلاً.

﴿أَن ﴾: مصدرية تفيد التّعليل، والتوكيد.

﴿ثَبَّتْنَاكَ﴾: عصمناك؛ أي: لم تخدع بما قالوه، أو عرضوه عليك.

﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿كِدتَّ﴾: قاربت.

﴿تَرْكَنُ﴾: تميل، الركون: الميل، أو تخدع بأقوالهم.

﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾: بقبول بعض ما اقترحوه.

[٧٥] ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾:

﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء؛ أي: لو ركنت إليهم:

﴿لَّأَذَقْنَاكَ﴾: اللام: للتعليل.

﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾: الضعف: مضاعفة الشّيء: قدر الشّيء مرتين؛ أي: أذقناك ضعف عذاب الحياة الدّنيا، وضعف عذاب الممات. قيل: هو عذاب القبر، أو الآخرة؛ يضاعف له العذاب؛ لأنّه ﷺ الأسوة والقدوة

﴿ثُمَّ﴾: للاستبعاد.

﴿لَا﴾: لا: النّافية.

﴿تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: لا تجد لك ناصراً، أو من يدفع العذاب عنك، أو يمنعه.

❖ ❖ ❖

وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ
قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ
أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن
لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ
إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ
أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا
﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى
وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

سورة الإسراء [الآيات ٧٦ -٨٦]

[٧٦] ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿وَإِن كَادُوا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧٣)؛ أي: قاربوا.

﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ يستفزونك: استفزه: أثاره، أو خوفه؛ ليترك المكان؛ من فز؛ أي: قم، وانهض؛ ليحملوك، أو يكرهوك علىٰ الخروج من الأرض؛ أي: من مكة.

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: من مكة (وكأن مكة تمثل كل الأرض)؛ فالله سبحانه منعهم من إخراج رسول الله ﷺ حتّىٰ أمره بالخروج مهاجراً إلىٰ المدينة المنورة.

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾: إذاً: حرف جواب، وجزاء.

﴿خِلَٰفَكَ﴾: أي: بعدك.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿قَلِيلًا﴾: من الزمن، وقيل: هذا حدث، فبعد خروجه حدثت بدر، وقتل سبعون منهم، وأُسر سبعون، ولم يتمتعوا بعد خروجه لا بنعيم، ولا بسيادة كانوا يرجونها.

[٧٧] ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾:

السنة: هي العادة، الطريقة الّتي لا تتبدل، ولا تتحول.

وكانت هذه هي سنة الله في الرّسل الّذين أرسلناهم قبلك منذ الزمن

البعيد، أو القريب، كل قوم أخرجوا رسولهم بالقوة، والإكراه، والمعاداة لم يلبثوا بعد خروجه أحياء إلا قليلاً، وقليلاً: للدلالة على التّوكيد.

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: لا: النّافية، وفي آية أخرى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]، ولمعرفة معنى السنة: ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٣٧)، والنساء، آية (٢٦).

فما هو الفرق بين التحويل، والتبديل؟

ـ التحويل: تتحول السنة من قوم إلى قوم، أو شخص إلى شخص، أو جماعة إلى جماعة.

ـ التبديل: أن يضع سنة بدلاً من سنة أخرى. مثال: لا يبدل العذاب بعذاب آخر: صاعقة بدلاً من فيضان، أو صيحة برجفة.

وتقديم: لسنَّتنا: الجار والمجرور: للحصر، والقصر.

وسنَّتنا: بصيغة الجمع؛ للتعظيم، والإنذار الشديد.

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: أتم الصّلاة، أو أدها بشروطها، وأركانها، وأوقاتها، وخشوعها، والمداومة، والمحافظة عليها، والصلاة في جماعة.

﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: لدلوك: اللام: لام التوقيت؛ بمعنى: عند دلوك الشّمس.

ودلوك الشّمس: هو ميل الشّمس، أو زوالها عن كبد السّماء؛ أي: وسط السّماء؛ أي: عند الظهر (صلاة الظهر)؛ أي: أقم الصّلاة وقت زوال الشّمس؛ أي: صلاة الظهر.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: إلىٰ حرف غاية (لعموم الغايات)؛ سواء أكانت في أول الشّيء، أم آخره، أم منتصفه، وتعني: إلىٰ العصر، وإلىٰ المغرب، وإلىٰ العشاء.

﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: سواد الليل، وشدة ظلمته، ويشير ذلك إلىٰ صلاة العصر، والمغرب، والعشاء؛ أي: أقم صلاة العصر، وصلاة المغرب إلىٰ صلاة العشاء الّتي هي في غسق الليل.

﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: أي: صلاة الفجر؛ أي: وأقم صلاة الفجر، وسميت الصّلاة قرآناً؛ لأن قراءة القرآن ركن من أركان الصّلاة (ويسمىٰ هذا إطلاق الجزء علىٰ الكل).

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: تكرار «قرآن الفجر» يدل علىٰ التّوكيد.

﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾: أي: تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار الّذين يتعاقبون في النزول في صلاة الفجر، وصلاة العصر.

[٧٩] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾:

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: من: ابتدائية.

﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: فتهجد: الفاء: للتوكيد؛ تهجد به: التهجد: هو ترك النوم للصلاة.

تهجد: من الهجود، وهو النوم، وتهجد: سهر، أو ترك النوم؛ فهو من أفعال الأضداد، ويقال للنائم: هاجد، ومتهجد، وكذلك للساهر، وقيل للقائم إلىٰ الصّلاة من النوم: المتهجد؛ لتركه الهجود، وأطلق علىٰ الصّلاة: صلاة التهجد.

تهجد به: «به»: تعود علىٰ القرآن؛ أي: تهجد بالقرآن.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: النافلة: الزيادة عن الفرض.

﴿لَكَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لك خاصة دون غيرك؛ فقد قيل: إن فرض التهجد لم ينسخ بحق الرّسول ﷺ، وصلاة التهجد: هي تطوع لغير رسول الله ﷺ.

﴿عَسَىٰٓ﴾: فعل رجاء؛ رجاء حصول الفعل في المستقبل.

﴿أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: يبعثك ربك المقام: هو محل القيام أو يعني المنزلة العظيمة، والدرجة (عبر عنها بالمقام) وهو مقام الشفاعة يوم القيامة؛ مقام الشفاعة العظمىٰ في فصل القضاء، أو مقام الشفاعة لأمته؛ لإخراج من في قلبه ذرة من الإيمان من النّار.

﴿يَبْعَثَكَ﴾: من البعث يوم القيامة؛ أي: يبعثك ربك يوم القيامة ذا مقام محمود؛ أي: المقام الّذي يحمده لأجله أهل المحشر؛ أي: الشفاعة العظمىٰ.

[٨٠] ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾: أدخلني: أي يسأل الله أن يدخله (يُدخله شخص آخر) لا يدخل من تلقاء نفسه؛ أي: المدينة المنورة، أو أي مدخل، وبدأ بالمدخل؛ لأن الدخول هو الغاية من الخروج، وهو الأهم مقارنة بالخروج.

﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: من أدخَل أما مَدخل من دخل يدخل فهناك مَدخل، ومُدخل، وإضافة الصدق إلىٰ المدخل، والمخرج: هو مدح لهما، أو مُدخلاً مرضياً ابتغاء مرضات الله تعالىٰ، ونصرة دينه، ونشره، وأما مَدخل مثل: دخلت مَدخلاً صعباً؛ أي: دخلت بإرادتي.

﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: وأخرجني من مكة المكرمة مخرجاً مرضياً ابتغاء مرضات الله تعالىٰ، ونصرة دينه، ونشره، أو أي مخرج، وليكن خروجك، أو دخولك في سبيل الله، وابتغاء مرضاته.

﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾: من لدنك: تشير إلى القرب الخاص بين رسول الله ﷺ، وبين ربه؛ بدلاً من قوله: واجعل لي منك؛ من: عامة للمؤمن، والكافر.

﴿سُلْطَٰنًا﴾: الدليل والبرهان والسلطان، وهو إما سلطان الحجة والبيان، أو سلطان القوة والغلبة؛ لنشر دينك، وإعلاء كلمتك.

﴿نَّصِيرًا﴾: قوة لكي يتم النصر بها على أعدائك؛ صيغة مبالغة من فعل نصر.

[٨١] ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام الحق (الدين الحق).

﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: زهق: زال واندحر، واضمحل الباطل؛ يقال: زهقت نفسه؛ أي: خرجت.

﴿ٱلْبَٰطِلُ﴾: في اللغة: الزائل، أو الذاهب، وقيل: ما لا وجود له، ويطلق على الكفر، والشرك، وعبادة الأصنام، والظلم، والكذب، والإحباط.

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: إن: للتوكيد. كان: تشمل جميع الأزمنة الماضي والحاضر والمستقبل.

﴿ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: زهوقاً صيغة مبالغة من زهق؛ بمعنى: زال واضمحل؛ أي: هالكاً زائلاً مندحراً؛ أي: هذا شأن الباطل في كل زمان رغم أننا نراه أحياناً يعلو ويظهر للناس، ولكن ذلك لن يدوم وسرعان ما يضمحل ويزول.

[٨٢] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾: من: استغراقية؛ من آيات القرآن، والآية تسمى: قرآناً، والقرآن كاملاً يسمى: قرآناً.

﴿مَا﴾: اسم موصول بمعنى: الذي، وما: أوسع شمولاً من: الذي.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿شِفَآءٌ﴾: من أمراض: الجهل، والشك، والنفاق، والضّلال، والأمراض النفسية، والحيرة، والتردد، والاكتئاب، والجنون، وأمراض القلوب، والزيغ؛ حتّى الأمراض العضوية؛ فقد تبين: أن الأمراض النفسية؛ مثل: التوتر، والهم، والغم: ترفع الضغط الشرياني، وتسبب الإصابة بأمراض القلب، وكذلك الأمراض النفسية المختلفة؛ تؤدي إلى ضعف في الجهاز المناعي عند الإنسان، الّذي يؤدي بدوره إلى عدم قدرة الجسم على مكافحة الإنتانات، والسرطانات... وغيرها.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: الرّحمة: الوقاية؛ فهو شفاء، وعلاج، وفي الوقت نفسه وقاية للمؤمنين من الأمراض النفسية، والعضوية.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ المؤمنين: ولم يقل: الّذين آمنوا؛ المؤمنين: أعلى درجة من الّذين آمنوا؛ فهم الّذين أصبحت صفة الإيمان عندهم ثابتة لا تتغير، أو تتبدل، واستقاموا على طاعة الله.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: ولا: الواو: عاطفة؛ لا: النّافية.

﴿يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، وقصر.

﴿خَسَارًا﴾: أي: نزول القرآن، وسماع آياته من قبل المشركين، أو الضالين، والكافرين لا يزيدهم إلا كفراً، وضلالاً، وبالتالي هلاكاً، وعذاباً فوق العذاب.

[٨٣] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾:

﴿وَإِذَآ﴾: الواو: عاطفة؛ إذا: ظرف زمان يتضمن معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث؛ ظرفية تدل على الاستمرار في الماضي والمستقبل وكأن هذا هو دأبه.

﴿أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: آتيناه من النعم، وأحسنا إليه مثل سعة الرزق، والصحة، والقوة، والعلم، والولد، وكشفنا عنه البلاء، وشفيناه من المرض.

﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: أنكر نعمة الله عليه؛ أي: بدلاً من أن يشكر المنعم؛ تكبر، وازداد غروراً، وابتعد عن دين الله، وعن عبادة الله، بدلاً من أن يتقرب إليه.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: نأى: ابتعد.

﴿بِجَانِبِهِۦ﴾: بنفسه، أو لوى جانبه، وولى ظهره.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾: وإذا: ظرفية شرطية تدل على حتمية الحدوث.

﴿مَسَّهُ﴾: من المس: وهو الإصابة الخفيفة. مسه الشر بما قدمت يداه أو كسبت يداه، والله سبحانه لا ينسب الشر لنفسه مطلقاً؛ لأن الله سبحانه ليس بظلام للعبيد، وقد يكون ابتلاءً أيضاً، ونتيجة الابتلاء قد تكون لمصلحة المبتلى.

﴿ٱلشَّرُّ﴾: الأذى، والظلم، والسجن، أو البلاء، والسقم، وهناك فرق بين الضُّر والشر. ارجع إلى سورة الأنعام آية (١٧) للبيان.

﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: من اليأس: انقطاع الأمل في حدوث الشّيء، واليأس قد

يكـــون قبل، أو بعد الأمل، والقنوط: أشـــد من اليـــأس؛ أي يئس من رحمة الله، وانقطع أمله.

الفرق بين أنعمنا وأذقنا:

الإنعام: يكون فقط في الخير، وأذقنا: تكون، أو تستعمل في الخير، والشر؛ مثال: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةً﴾ [الشورى:٤٨]، ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص:٨].

[٨٤] ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا﴾:

﴿قُلۡ﴾: يا محمّد ﷺ

﴿كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ﴾: كل: اسم يفيد الاســـتغراق والإحاطة بالأفراد والأجزاء؛ أي: تشمل أو تستغرق كل فرد من أفراد الجنس، أو تستغرق كل أجزاء الشيء الواحد، وقد تضاف إلى معرفة أو نكرة؛ أي: كل من المؤمنين، أو الكافرين، أو المشركين، والموحدين الضالين، والمهتدين، أو الطائعين، والعاصين.

كل واحد من هؤلاء يعمل على شاكلته: على طريقته، وهواه.

﴿شَاكِلَتِهِۦۖ﴾: مأخوذة من الشـــكل: وهو المِثل والنظيـــر؛ كل واحد يعمل حسب ما يشاء، ويرغب، أو يختار لنفسه، وفيها تحذير خفي للضالين، والظالمين.

﴿فَرَبُّكُمۡ﴾: الفاء: للتوكيد؛ ربكم: الخالق المربي المدبر هو وحده.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد، والحصر.

﴿أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا﴾: هو أعلم على وزن أفعل: صيغة مبالغة بمن هو على صراط مســـتقيم، أو فـــي ضلال مبين، وبمن هو أكثـــر هداية من غيره؛ من: تشمل المفرد، والمثنى، والجمع، ومن للعاقل.

﴿أَهۡدَىٰ﴾: صيغة مبالغة.

﴿سَبِيلًا﴾: طريقة، ومذهباً، أو منهجاً؛ أي: ملتزماً بالقرآن، والسنة من غيره.

[٨٥] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الواو: تدل على أنهم سألوا رسول الله ﷺ عدة أسئلة في آن واحد، ولو قال تعالى يسئلونك عن الروح (بدون الواو العاطفة) لدلت على أنهم سألوه سؤالاً واحداً فقط؛ فقد سألوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح في آن واحد، والسائل هم قريش، ويسألونك؛ تعني: مباشرة؛ أي: السائل يقف أمام المسؤول، والسؤال يراد به اختبار رسول الله ﷺ: هل هو نبي، أم لا؟ وليس للتعلم، وكشف الجهل، والمعرفة.

والروح هنا: يقصد بها الروح الّتي تمد الجسم بالحياة؛ يسألونه عن ماهيتها، وحقيقتها؛ فرد الله سبحانه على هذا السؤال بقوله:

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾: من أمر؛ أي: من شأن ربي، أو اختصاصه.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ما: النّافية.

﴿أُوتِيتُم﴾: أعطيتم من العلم بالنسبة للروح؛ إلا قليلاً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿قَلِيلًا﴾: الشّيء القليل.

إذن: نحن أوتينا شيئاً قليلاً من العلم عن الروح أمثلة متى تنفخ الروح في الجنين، وماذا يحدث للجسم إذا خرجت منه الروح، وهذه الروح لا يعلم كنهها إلا الله وحده سبحانه، وتشير البحوث العلمية الأخيرة، والدراسات القرآنية إلى وجود اختلاف بين الروح والنفس، وأن الروح شيء، والنفس شيء آخر، والروح تسري في كل الجسم، وتبقى بعد توقف، أو تعطل عمل النفس؛ هذه النفس ربما هي الّتي تتمثل فيما يسمى جهاز لمبيك في الدماغ، وتتكون من عدة

أجزاء، وظائفها الوعي، والإدراك، واتخاذ القرارات، والذاكرة الطويلة والقصيرة، والذاكرة الجديدة والقديمة، والسرور، والعاطفة، والسمع، والبصر، والسلوك، والشعور، والناحية الجنسية... وغيرها.

والروح شيء أساسي، وضروري للنفس؛ لكي تؤدي وظيفتها.

ويمكن إيقاف، أو تعطيل النفس عن العمل في حالتي الموت، والنوم، أو التخدير العام؛ للقيام بالعمل الجراحي، أو إصابة الدماغ بحادثة تؤدي إلى السبات، وتعطيل عمل النفس الّذي قد يدوم أسابيع عدة، ثم يصحو الإنسان، ولا يذكر ما حدث له.

أما الروح: لا تُوقف، ولا تُعطل، وإنما تنزع، أو تنشط نشاطاً من الجسم، كما قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:١-٢]، وذلك عند الموت من قبل الملائكة، أو ترغم على ترك الجسم بالقتل، وإذا خرجت الروح من البدن يعني: الموت.

وأما النفس: لا تخرج من البدن، وإنما تتوفى تتوقف عن العمل عند النوم، أو تعطل عن العمل، وتتوقف أو تتوفى عند خروج الروح من البدن؛ أي: عند الموت؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، وبعد النوم (الوفاة، أو التعطيل) تعود النفس إلى العمل؛ لأن الروح ما زالت في البدن. ارجع إلى سورة الزمر، آية (٤٢)؛ لمزيد من البيان.

وحين الموت تخرج الروح من البدن مما يؤدي إلى توقف عمل النفس، وعمل الأعضاء كاملة: القلب، وجهاز التنفس، والدماغ، وتنتهي مرحلة الحياة الدّنيا.

[٨٦] ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾:

﴿وَلَئِن﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك.

﴿شِئْنَا﴾: من المشيئة، والمشيئة تسبق الإرادة والفعل، والمشيئة: لا تتبدل، أو تتغير ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ أما الإرادة فقد تتبدل، أو تتغير؛ فالإرادة: هي العزم على الفعل.

﴿لَنَذْهَبَنَّ﴾: اللام، والنون: للتوكيد.

﴿بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أي: بالقرآن الكريم؛ الذي: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: عن طريق جبريل، وذلك بأن نمحوه من صدور العالمين؛ أي: ينسوه، ولا يتذكرونه. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمعرفة معنى: أوحينا.

وإذا فعلنا ذلك ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾: فلن تجد من تتوكل عليه؛ لاسترداده، وإعادته محفوظاً، ولكن رحمة من ربك لم يشأ، وله الحمد، والمنة.

وانتبه إلى حكمة مجيء هذه الآية بعد آية يسألونك عن الروح؛ لأن الّذي أوحينا إليك هو روح أيضاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]؛ فالقرآن روح أيضاً؛ فكما أنّا قادرون على أن نذهبن بأرواحكم، وقادرون على أن نذهبن بالّذي أوحينا إليكم (وهو القرآن)، وهو الروح الحقيقة لكم.

❖ ❖ ❖

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

سورة الإسراء [الآيات ٨٧ - ٩٦]

[٨٧] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: تركه، وعدم الذهاب بالقرآن، أو عدم محوه من صدور العالمين هو رحمة من ربك.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: فضل الله بعدم رفعه، والذهاب به، وبالنّبوة، والشّفاعة العظمىٰ، وغيرها من الفضائل تعد فضلاً كبيراً عليك، وعلىٰ أمتك.

[٨٨] ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا محمّد ﷺ رداً علىٰ قولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣١].

﴿لَّئِنِ﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية تفيد الاحتمال والشّك.

﴿ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾: الثقلان، وأدخل الجن في التحدي؛ لأن بعض العرب كانوا يعتقدون أن بعض العباقرة المفكرين يستعينون بالجن، أو يلجؤون إلىٰ الجن؛ لكي يساعدوهم في بعض الأمور، وكان هناك تحدي في مكة، وتحدي في المدينة المنورة، والتحدي في مكة جاء بأشكال متعددة؛ مثل: بحديث، بآية، بسورة، أو عشر سور، والتحدي في المدينة جاء بشكل: بسورة من مثله، أو بمثله؛

أي: ما يماثله؛ لأنه لا يوجد ما يماثل القرآن أو ببعض ما يماثله، وأما قوله تعالىٰ: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من: تشمل الاستغراق؛ أي: أي سورة من الفاتحة والبقرة إلىٰ سورة الناس.

﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: أن: شرطية تفيد الاحتمال، والشك، وجوابها محذوف؛ يعني: لا يأتون، والباء للتبعيض.

﴿لَا يَأْتُونَ﴾: لا: النّافية.

﴿بِمِثْلِهِۦ﴾: ولم يقل مثله؛ لأنّهم لا يمكن لهم أن يأتوا به نفسه؛ لأنّه نزل من عند الله، وهذا مستحيل، ولذلك قال: بمثله؛ أي: المشبه له؛ أي: لا يمكنهم أن يأتوا بالأصل، ولا حتّىٰ قادرون علىٰ أن يأتوا بالمشبه له؛ فهم غير قادرين علىٰ الإتيان بآية واحدة، ولا بسورة، وقدم الإنس علىٰ الجن في هذه الآية؛ لأن الإنس هم أقدر وأبلغ من الجن في مدار التحدي للغة القرآن واللغة العربية.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية

﴿كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: معيناً، ومساعداً. ظهيرا: مشتقة من الظهر، ويسند ظهره؛ أي: يعاونه.

وفي سورة الفرقان، آية (٥٥): ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾؛ أي: يحث ويُعين أوليائه علىٰ المعصية، والشرك، والكفر، وعدم طاعة الله تعالىٰ.

وفي سورة القصص، آية (١٧): ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: معيناً، ومساعداً للمجرمين؛ هذا ما قاله موسىٰ بعد أن وكز موسىٰ عدوه فقضىٰ عليه.

[٨٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ﴾: التصريف يعني: تصريف الآيات والتصريف يعني: عرض مسألة ما بأساليب شتى؛ حتّى يوضح ويتبين المعنى الحقيقي، والهدف، مثال: تصريف الرياح بأساليب مختلفة: ريح عقيم، ريح عاصف، ريح مصفرة...

مثال آخر على البرهان على وحدانية الله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون:٩١].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من: استغراقية؛ من الأمثال المختلفة، ومن: تستعمل للمفرد، والمثنى، والجمع، والذكر، والأنثى، وقدم الناس على القرآن رغم أن القرآن أهم بالأصالة من الناس؛ لأن السياق التحدي وإقامة الحجة عليهم.

﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: فأبى: الإباء: شدة الامتناع، وقد يخالطه كراهية، وأبى: رفض أكثر النّاس الإيمان، ورضوا بالكفر.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُفُورًا﴾: من فعل: كفر كفوراً على وزن فعول: صيغة مبالغة في الكفر؛ أي: إنكاراً للقرآن، وتكذيباً بما جاء فيه من الحق ومن التّوحيد، والإيمان.

ولا بد من مقارنة هذه الآية من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، مع الآية (٥٤) من سورة الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

قدم النّاس في آية الإسراء؛ لأنّ السّياق تتحدث عن الإنسان، ونعم الله عليه، كما في قوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء:٨٣].

وقدم القرآن في آية الكهف؛ لأنّ السّياق عن القرآن، كما في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١].

[٩٠] ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾:

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾: قالوا؛ أي: رؤساء قريش من المشركين، والكفار.

﴿لَن﴾: نافية تنفي المستقبل القريب والبعيد.

﴿نُّؤْمِنَ لَكَ﴾: نصدقك، ونتبعك، ولم يقولوا: نؤمن بك؛ لأن به تعني: الإيمان بالله، أو إيمان العقيدة، والإيمان له تعني: التصديق بالرسول، واتباعه.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾: تَفجر: بفتح التاء، وسكون الفاء على صيغة أفعل؛ تعني: كثرة الانفجار من الينبوع الواحد. أما تُفَجر: بضم التاء، وفتح الفاء؛ تعني: كثرة الانفجار من ينابيع عديدة، كما سيأتي في الآية (٩١) من السّورة نفسها.

﴿يَنبُوعًا﴾: عيناً ينبع الماء منها، ولا ينضب ماؤها؛ أي: لا يغور، تفيض بالماء باستمرار دون أن يقل ماؤها، أو ينقص.

[٩١] ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾:

﴿ أَوْ ﴾: للتخيير.

﴿ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ﴾: بستان من نخيل وعنب؛ «من»: اسم جنس.

﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾: تفجر: بضم التاء، وفتح الفاء؛ أي: تتدفق الأنهار خلالها: داخلها، وسطها من ينابيع عدة، وبقوة حتّىٰ تخرج الثمار، والزرع. وتفجِّر: علىٰ صيغة فعِّل تفيد التكثير والمبالغة بكثرة الأنهار مقارنة بـ: ﴿تَفْجُرَ﴾ [آية: ٩٠].

فَتُفجِّر الأنهار: بضم التاء، وفتح الفاء: كثرة الانفجار من ينابيع عديدة.

إذن: هم طلبوا الأمرين تَفْجر، وتُفَجر، ولم يطلبوا أمراً واحداً.

﴿تَفْجِيرًا﴾: للتوكيد.

[٩٢] ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾:

﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ ﴾: من الزعم، وهو ادعاء العلم غير المستند إلىٰ دليل، وأكثر ما يقع في الباطل.

﴿عَلَيْنَا﴾: تقديم «علينا» يدل علىٰ الحصر، والقصر؛ أي: علينا خاصةً.

﴿كِسَفًا﴾: ولم يقل كِسْفاً. كِسَفاً: ذكرت في أربع آيات، وأما كِسْفاً: ذكرت في آية واحدة.

كِسَفاً؛ أي: أسقطها قطعاً كثيرة؛ أي: علىٰ شكل قطع.

أما كِسْفاً؛ أي: أسقطها كقطعة واحدة كطبق علينا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ [الطور: ٤٤].

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾: أي: نرىٰ الله ربنا، والملائكة عياناً، كما سأل بنو إسرائيل موسىٰ؛ فقالوا: ﴿حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥]؛ حتىٰ يشهد لك الله والملائكة علىٰ أنك رسوله.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾:

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿يَكُونَ لَكَ﴾: لك: اللام: لام الاختصاص.

﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: مزين بالذهب والفضة، أو مزين بأجمل أنواع الزخارف والزينة.

﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾: الرقي: هو الصعود في معارج السّماء شيئاً فشيئاً.

﴿وَلَن﴾: للنفي القريب، والبعيد.

﴿نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: نصدق صعودك.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية، نهاية الغاية.

﴿تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾: خاصة.

﴿كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾: كتاباً من رب العالمين أنك رسول الله تعالىٰ، أو كتاب منزل علىٰ فلان، وفلان يخبر أنك رسوله، وغيرها من الادعاءات الباطلة.

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾: تنزيهاً له من كل عجز، أو نقص، أو عدم القدرة؛ فهو إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون، أو سبحان قد تقال حين التعجب من شيء، أو مقولة.

﴿هَلْ كُنتُ﴾: هل: للاستفهام، والتعجب، والنفي؛ أي: ما كنت.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بَشَرًا﴾: كسائر البشر.

﴿رَّسُولًا﴾: من الله إليكم، ورسولاً: توكيد على أن الرسل بشر.

وما الفرق بين الرقي في السّماء، والصعود، والعروج؛ ففي هذه الآية قال: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أما في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، والآية (١٤) من سورة الحجر: ﴿فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

الرقي: أعم من الصعود، ويشمل المكان، وغير المكان؛ قد يكون في العلم، والمنزلة، وفيه صعود بالتدرج شيئاً فشيئاً.

والصعود: مقصور على المكان.

وأما العروج: صعود بشكل مائل، أو بخطٍّ منحنٍ.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾: ما: النّافية.

﴿مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿يُؤْمِنُوٓا۟﴾: بالله، وبما أنزل في القرآن، وبنبوة محمّد ﷺ.

﴿إِذْ جَآءَهُمُ﴾: إذ: ظرف زمان للماضي.

﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾: الكتب السّماوية، والرّسل، والأنبياء.

﴿إِلَّآ أَن﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَن قَالُوٓا﴾: أن: حرف مصدري للتعليل.

﴿قَالُوٓا أَبَعَثَ﴾: أبعث: الهمزة همزة استفهام إنكاري، وتعجب؛ لكون الرّسول ﷺ بشراً.

﴿أَبَعَثَ﴾: من البعث، وفيه حث، وتهييج، وعزم، وبعث؛ أي: إحياء لما نُزل إليهم من قبل. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان في البعث، والإرسال.

﴿ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: بشراً: مشتق من البشرة، والبشارة؛ أي: حُسن الهيئة، ومن البشرة الخاصة بجلد الإنسان؛ ولظهورهم عكس الجن المستورين؛ فهم يريدون ملكاً رسولاً، فكيف يكون ملكاً من الملائكة، وهم بشرٌ؛ فجاء الرد علىٰ هذا في الآية القادمة.

[٩٥] ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾:

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: أي: قل لهم يا محمّد ﷺ رداً علىٰ تعجبهم من إرسال بشر رسولاً، ولم يكن ملكاً رسولاً.

﴿لَّوْ﴾: شرطية.

﴿كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾: يعيشون في الأرض، ويمشون مطمئنين؛ فعندها قد ننزل عليهم ملكاً رسولاً؛ ليكون من جنسهم يفهمون ما يقول لهم، ويعلمهم ما نُزل إليهم.

ولو بعثنا عليهم ملكاً رسولاً؛ لجعلناه بشراً؛ لأنّهم غير قادرين علىٰ رؤية الملائكة، أو التلقي عنهم؛ لأنّ الملائكة من نور، والبشر من طين.

والحقيقة يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين، ويقولون حجراً محجوراً.

فلا بد أن يكون الرّسول من جنسهم، وبلسان قومه (أي: يتكلم لغتهم).

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾:

﴿قُلْ﴾: رداً علىٰ ما اقترحوه، وطلبوه من الآيات (المعجزات)، وعلىٰ اعتراضهم أن يكون الرّسول بشراً.

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: كفىٰ؛ أي: يكفي أن يكون الله سبحانه شهيداً بيني وبينكم أني رسول الله إليكم. والباء (بالله): تفيد الإلصاق والتوكيد.

﴿شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: الشّهيد أقوىٰ من الشّاهد؛ حيث يعلم بخفايا الأمر، وبظواهره، صيغة مبالغة للشّاهد. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ لبيان معنىٰ شهيداً، وتقديم شهيداً علىٰ بيني وبينكم هو الأصل، بينما في سورة العنكبوت آية (٥٢) أخّر شهيداً. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (٥٢) للبيان.

﴿إِنَّهُۥ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والماضي المستمر، والحاضر، والمستقبل.

﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿خَبِيرًۢا﴾: يعلم بواطن الأمور، والنوايا، وما تخفي الصدور.

﴿بَصِيرًا﴾: يعلم بظواهر الأمور.

❖ ❖ ❖

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا
وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ
إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ
هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ
يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

الحزب ٣٠

سورة الإسراء [الآيات ٩٧ - ١٠٤]

[٩٧] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾:

﴿وَمَن﴾: مـن: ابتدائية، وللعاقل، وتشـمل: المفـرد، والجمع، والذكر، والأنثى، ومن: شرطية، وجوابها: فهو المهتد، ومن: جاءت هنا لتدل على المفرد المذكر بالذات.

﴿يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: من يختار طريق الهداية لنفسه، ويسأل الله الهداية، والثبات على دين الله، والاستقامة على الصراط المستقيم.

﴿فَهُوَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ هو: لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلْمُهْتَدِ﴾: اسـم فاعل؛ يدل على الثبوت على طريق الهداية؛ أي: الّذي هداه الله هداية يسـيرة أو قليلة أو خاصة حتى يسـتقيم على الصراط المستقيم، ولـم يقل: المهتدي كما ورد في سـورة الأعرف آيـة (١٧٨): الّذي يحتاج إلى هداية أكبر، أو طويلة حتى لا يضل مرة أخرى ويرسخ إيمانه.

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: مثل «من يهد»، ومن: تدل على الجمع، والمذكر.

﴿يُضْلِلْ﴾: يسـير في طريق الضّلال، ويصر، ويسـتمر علـى ذلك يتركه وشأنه، وما اختاره من الضّلال.

﴿فَلَن﴾: الفاء: للتوكيد؛ لن: نفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾: أوليـاء: جمع ولي: أي مُعيـن؛ جاءت بصيغة الجمع؛ لأن طرق الضّلال وسبله متعددة، وأسبابه مختلفة؛ كالشيطان، والهوى، والكبر، والتقليد، والبدع، والجهل.

فلـــن تجد لهم أولياء: معاونين يهدونهم إلىٰ العودة إلىٰ دين الله تعالىٰ من هذه السبل المتفرقة.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: والحشـــر: هو السَّـــوق من القبور، والجمع في أرض المحشر للحساب.

﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: أي: ﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٨].

أو يمشـــون حقيقة علىٰ وجوههم، والله سبحانه قادر علىٰ ذلك، كما جاء في صحيح البخاري، ومسلم: «أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ كيف يُحشر الكافر علىٰ وجهه يوم القيامة؟ قال: الّذي أمشـــاه علىٰ رجليه قادر علىٰ أن يمشـــيه علىٰ وجهه» للدلالة علىٰ التشويه والتعذيب والإهانة.

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: أي: منهم من يحشـــر أعمىٰ، ومنهم من يحشر أبكم، ومنهم من يحشر أصم؛ فهم جماعات مختلفة؛ كل جماعة لها صفة من الصفات الثلاث.

ولو قال: عمياً بكماً صماً، وحذف الواو بينهما: عندها تعني جماعة واحدة تحمل الصفات الثلاث معـــاً في آن واحد. والآخرة قيل: هي مواطن، أو مواقف فقـــد يكون أعمىٰ في هذا الموقف، وأصم فـــي موقف، أو موطن آخر، وأبكم لا ينطق في موطن آخر.

﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوىٰ: دار الإقامة، والمأوىٰ: اسم مكان؛ أي: منزلهم، ومكان استقرارهم جهنم، وكلمة المأوىٰ فيها معنىٰ الضم.

﴿جَهَنَّمُ﴾: من جهنام؛ أي: بعيدة القعر. ارجع إلىٰ ســـورة الرعد آية (١٨) لمزيد من البيان.

﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾: كلما: مركبة من: كل، وما: المصدرية الظرفية الزمانية، وتفيد التكرار.

﴿خَبَتْ﴾: سكنت، أو خمدت، أو أصبحت كالجمر الأحمر سكن لهيبها.

﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: ولم يقل زدناها سعيراً وإنما زدناهم.

والسؤال: كيف تخبو النّار، أو تسكن مع أن العذاب لا يخفف، ولا يفتر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]؟

قيل: حين تشتعل النار في أجسادهم وتبدأ أجسادهم تتفحم وتتحول إلىٰ رماد عندها تخبو النار في أجسادهم حتىٰ يعادوا مرة أخرىٰ أحياء من جديد، وتبدل جلودهم كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦].

[٩٨] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد يشير إلىٰ ما حدث لهم من الحشر علىٰ وجوههم، ومأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً.

﴿جَزَآؤُهُم﴾: الجزاء مقابل العمل، أو من جنس العمل، ويشمل العقاب والثواب.

﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: بأنهم: الباء: للتعليل، أو السببية.

﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: جحدوا، وأنكروا آياتنا، ولم يؤمنوا بها. آياتنا: تشمل الآيات القرآنية، والكونية، والمعجزات.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٩) من السّورة نفسها؛ للبيان.

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾:

حين أنكروا البعث، وإعادة الخلق رد الله عليهم بأن الّذي خَلَقَ السّموات

والأرض ـ وخَلْقُ السّـــمواتِ والأرضِ أكبر من خلق النّاس ـ قادرٌ على أن يخلق مثلهم؛ لأن من خلق الشّيء الأعظم والأكبر هو قادر على خلق الأصغر، والأقل.

وإعادة الخلق أهون مـــن ابتداء الخلق، وهم اعترفوا بذلك حين ســـئلوا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان:٢٠ والزمر:٣٨].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: أي: أولم يعلموا، والرؤية هنا: رؤية قلبية، والهمزة في أولم: للاستفهام، والإنكار، والتوبيخ، والواو: للتوكيد، وشدة الإنكار؛ لم: حرف نفي؛ أي: كيف ترىٰ شيئاً تنكره، وغيرك لا ينكره؟

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتوكيد.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول يفيد التعظيم؛ مختص بالمفرد المذكر.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَـٰدِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: أي: قـــادر أن يخلقهم هم أنفسهم، ويعيدهم من جديد، أو يخلق خلقاً آخر مثلهم يشبههم.

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: الأجـــل: هـــو مدة حياتهـــم، والأجل: هو الموت، أو يوم القيامة، أو البعث.

﴿لَّا﴾: النّافية.

﴿رَيْبَ فِيهِ﴾: الريب: هو الشك، والتهمة.

﴿فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: أبىٰ: لم يرضَ، ورفض الظالمون: المشـــركون، والكافـــرون رغم التبيان والتفصيل إلا كفوراً، والإباء: شـــدة الامتناع قد يخالطه كراهية.

﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿كُفُورًا﴾: صيغة مبالغة على وزن فُعلولاً؛ أي: الاستمرار في الكفر، والزيادة فيه.

[١٠٠] ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿لَّوْ﴾: شرطية.

﴿أَنتُمْ﴾: للتوكيد.

﴿تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾: خزائن الأرزاق. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٢١)؛ للبيان.

أو خزائن الرّحمة، أو النعم، والخيرات، والمعادن؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر:٢١]؛ أي: لو أن الله سبحانه أعطى خزائن خيراته للناس، ثم وكل إليهم أن ينفقوا منها على العباد، كما ينفق الله تعالى، لأمسكوا وبخلوا خوفاً من الفقر، أو النفاد. ارجع إلى سورة الحجر آية (٢١) لمزيد من البيان في معنى خزائن.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب.

﴿لَّأَمْسَكْتُمْ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ أي: بخلتم، أو توقفتم، أو امتنعتم.

﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾: خوف النفاد، والخشية: خوف خاص مصحوب بالعلم، والرهبة، وعظمة المخشي منه؛ أي: الإنفاق.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: كان: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿قَتُورًا﴾: صفة مشبهة من فعل قتر بخيلاً على النّاس، وبخيلاً على نفسه؛ أي: يبخل على النّاس، ويشتد بخله حتّى يبخل على نفسه، وعندها يصبح قتوراً: مشتقة من القتار: وهو الدخان الأسود من الشواء.

[١٠١] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾:

﴿ وَلَقَدْ ﴾: الواو: استئنافية؛ اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

مناسبة ذكر هذه الآيات: يريد الله سبحانه أن يبين لنبيه ﷺ، ومن تبعه من المؤمنين: أن ما يطلبه كفار مكة من آيات مثل تفجر الأرض ينبوعاً، وإسقاط السّماء عليهم كسفاً، أو بيت من زخرف، أو رقي في السّماء، وإنزال كتاب، وغيرها: إنما حدث لموسىٰ عليه السلام؛ فقد آتاه الله تسع آيات؛ منها: العصا، واليد، والسنين وغيرها، فلم تغير من كفر فرعون وقومه شيئاً، ولم تردعهم، ولذلك لا فائدة من الاستجابة لكفار مكة.

﴿ءَاتَيْنَا﴾: الإيتاء: هو العطاء مع إمكانية استرداده، وليس فيه تملك؛ أما العطاء: فيه تملك، وليس فيه استرداد؛ لأي شيء، والإيتاء: يشمل الأمور الحسية، والمعنوية معاً، والعطاء: فقط للأمور الحسية. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ للبيان.

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات، وهي خاصة بفرعون، ويجب عدم خلطها مع الآيات الّتي أنزلت علىٰ بني إسرائيل، وهي: العصا، واليد، والسنين، ونقص من الأموال، والأنفس، والثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

أما الآيات الخاصة ببني إسرائيل: فهي النجاة من فرعون، وفلق البحر، والانفجار، وانبجاس الماء، والمن، والسلوىٰ، ونتق الجبل فوقهم كأنّه ظلة، والغمام... وغيرها.

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾: والأمر كيف يسأل رسول الله بني إسرائيل الّذين جاءهم موسىٰ؛ فقد ماتوا، وانقرضوا، ولم يبق أحدٌ منهم.

الجواب: أي: اسأل ذريتهم كأنك سألتهم أنفسهم؛ لأنّهم سمعوا الأحداث، وتناقلوا الأخبار جيلاً بعد جيل.

اسألهم سؤال حجة، واستشـــهاد، وماذا فعل فرعون وقومه بالآيات؟ فقد كذبوا وجحدوا بها. وقد يســـأل ســـائل ما هو الفـــرق بين ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، و﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقـرة:٢١١]؟ العرب: إذا بدأت بالفعل تخفف وتقول ســـل، وأما إذا سبق الفعل سل شيء تقول: اسأل.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ﴾: فقال: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ قال فرعون لموسىٰ (فرعون الابن منفتاح). ارجع إلىٰ سورة الأعراف آية (١٠٣) للبيان: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾؛ أي: ســـحرك غيرك؛ أي: كانت نتيجة إرسال التسع آيات اتهام موسىٰ بالسحر؛ كذلك يسألك قومك من الآيات فقط للّج، والجدال، كما حدث لموسىٰ عليه السلام.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾:

﴿قَالَ لَقَدْ﴾: قال موسىٰ لفرعون:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: حرف تحقيق.

﴿عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: هؤلاء: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة يعود علىٰ الآيات التسع.

﴿إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: هو وحده الّذي أنزلها.

والسؤال: هل علم فرعون، وأدرك أن هذه الآيات هي من عند الله تعالىٰ؟

الجواب: كما قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: نعم؛ أي: علم، ولكنه أبىٰ، واســـتكبر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النحل:١٤].

﴿بَصَآئِرَ﴾: آيات وحججاً واضحة، وبينات تدل على الخالق واجب الوجود، الإله الحق، وتدل على وحدانيته، وقدرته، وعظمته، وأنه هو الّذي يستحق العبادة.

﴿بَصَآئِرَ﴾: جمع بصيرة؛ أي: آيات يُرىٰ من خلالها، أو يتضح الحق من رؤيتها، ويُبصر الإنسان الأمر، أو الشّيء الّذي كان لا يعلمه؛ أي: تفتح الأبصار، والقلوب إلىٰ رؤية الحق، والاهتداء للوصول إلىٰ الإله الحق. ارجع إلىٰ سورة الجاثية آية (٢٠) لمزيد من البيان في بصائر.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: لأظنك: اللام: للتوكيد.

﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: المثبور: الهالك، أو الممنوع من الخير، ومثبوراً: اسم مفعول من فعل: ثبر.

وكأن الله سبحانه أطلع موسىٰ علىٰ مصير فرعون، وأنه هالك عن قريب، وكأن قول موسىٰ لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: ردٌّ علىٰ قول فرعون لموسىٰ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

[١٠٣] ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾:

﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون.

﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾: يستأصلهم كما قال ابن عباس؛ أي: يحرضهم؛ أي: بني إسرائيل وموسىٰ علىٰ الخروج من مصر بالإيذاء، والسوء، وقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم؛ ليكرههم علىٰ الخروج؛ الفاء: للترتيب الذكري.

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة؛ فأغرقناه: الهاء: تعود إلىٰ فرعون. في اليم: البحر.

﴿وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾: ومن معه من جنده، وتدل علىٰ العدد، ليس بالعدد الكبير، ولو قال: والّذين معه؛ لكان ذلك يعني: العدد الكبير.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾:

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: من بعد هلاك فرعون وجنوده قلنا لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام.

﴿ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: قيل: الأرض المقدسة، وقيل: اسكنوا جميع الأرض، وليس بقعة معينة؛ اسكنوا كل بقاع الأرض، وبما أنه لم يحدد لهم مكاناً، ولا عنواناً؛ فهذا يدل على أنها تعني كل الأرض، وهذه هي الحقيقة؛ فهم مبعثرون ومشردون في كل أنحاء العالم، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف:١٦٨].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: فإذا: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرفية زمانية تدل على المستقبل، وعلى حتمية الحدوث.

﴿وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: هو الإفساد الثاني لبني إسرائيل: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤]، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء:٧].

﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جئنا بكم من أقطار الأرض إلى الأرض المقدسة؛ ليتحقق وعد الآخرة.

﴿لَفِيفًا﴾: اللفيف: هو الجمع الكبير من أخلاط، أو أجناس، أو أعراق مختلفة، ومن أوطان شتى؛ أخلاط تشمل: الشريف والدنيء، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف، وهذا ما يحدث الآن.

❖ ❖ ❖

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سجدة

سُورَةُ الْكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سنة الطبة أنف عوجا

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سورة الإسراء [الآيات ١٠٥ - ١١١]

[١٠٥] ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾:

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾: وبالحق: الباء: للإلصاق، والتوكيد؛ الحق: هو الشّيء الثابت الّذي لا يتغير، أو يتبدل أبداً؛ فالقرآن: هو الحق، والحق: هو القرآن، فلن يتغير منه حرف منذ نزل حتّىٰ يوم القيامة.

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي: جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا في ليلة القدر.

﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾: وكذلك نزل من السّماء علىٰ رسول الله ﷺ طوال (٢٣) عاماً منجَّماً حسب الأحداث، ولم يتغير منه حرف: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤].

إذن هناك مرحلتان:

المرحلة الأولىٰ: إنزال من اللوح المحفوظ إلىٰ السّماء الدّنيا بالحق.

والمرحلة الثّانية: نزول من السّماء الدّنيا علىٰ رسول الله ﷺ بالحق، أو التّوحيد.

وقيل: الحق الأول غير الحق الثّاني؛ فالحق الأول: إنزال بالحكمة الإلهية، وبالحق نزل؛ أي: بما فيه من الأحكام، والوعد، والوعيد.

﴿وَمَآ﴾: ما: النّافية.

﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: لمعرفة معنىٰ الإرسال، والفرق بين البعث، والإرسال: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ للبيان.

﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مُبَشِّرًا﴾: للمؤمنين، والطائعين، والبشارة: تكون بالخير. ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿وَنَذِيرًا﴾: للعاصين، والكافرين.

[١٠٦] ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾: القرآن سمي بذلك؛ لكونه مقروءاً.

﴿فَرَقْنَٰهُ﴾: أي: نزلناه مفرقاً، وليس جملة واحدة، أو دفعة واحدة، كما حصل للكتب السّابقة: التّوراة، والإنجيل، بعد أن كان مجموعاً في اللوح المحفوظ.

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: لتقرأه: اللام: للتوكيد، أو التّعليل.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: علىٰ: تفيد العلو، والمشقة.

﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: علىٰ تؤدة، وتمهل، وتأنٍّ بلا عجلة، وفي آية أخرىٰ: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان:٣٢].

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾: توكيد نزلناه ببطء آيات، آيات، أو سورة بعد سورة.

[١٠٧] ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾: أي: القرآن.

﴿أَوْلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾: أو: للتسوية؛ سواء آمنتم به، أم لم تؤمنوا؛ الأمر سواء؛ أي: متساوٍ عند الله سبحانه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد المدح.

﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب من اليهود، والنّصارىٰ، والّذين قرؤوا التّوراة، والإنجيل قبل إنزال القرآن؛ مثل: عبد الله بن سلام، وورقة بن نوفل... وغيرهما.

﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: قبل نزول القرآن، أو قد ترجع إلىٰ إرسال رسول الله محمّد ﷺ.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية تدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: يُقرأ القرآن علىٰ الّذين أوتوا العلم، أو ما أُنزل إليهم من عند الله.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: أذقان: جمع: ذقن: وهو ملتقىٰ اللحيين.

﴿يَخِرُّونَ﴾: بين يدي الله تعالىٰ سجداً مشتقة من خرير الماء، أو الشلال، وتعني: الهبوط بسرعة، وله صوت. يخر: يسقط كسقوط الماء في الشلال، وبصوت.

﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: إضافة اللام؛ تعني: المبالغة في الخشوع، والخضوع، وعلىٰ كمال السجود؛ لأن السجود يكون علىٰ الجبهة، والأنف، أما للأذقان: تدل علىٰ كمال وشدة السجود؛ ليشمل الذقن (كناية عن الوجه، والجزء يشير إلىٰ الكل)؛

أي: سجود تام كامل حتّىٰ يبلغ الذقن، ولم يقل علىٰ الأذقان (علىٰ تفيد المشقة والصعوبة)، وإنما للأذقان للدلالة علىٰ الحرص علىٰ التقرب لله تعالىٰ.

[١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾:

﴿وَيَقُولُونَ﴾: تدل علىٰ التّجدد، والاستمرار، ولم يقل: وقالوا الّتي قد تعني مرة واحدة.

﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: تنزيهاً لربنا من الإخلاف بوعده، أو عدم إنجاز وعده الّذي وعده في الكتب السماوية السّابقة بإرسال محمّد ﷺ، وإنزال القرآن علىٰ قلبه. ارجع إلىٰ سورة الحديد، آية (١)؛ لبيان معنىٰ التّسبيح.

﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: إن: للتوكيد.

﴿كَانَ﴾: تشمل كل الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كان وعد ربنا مفعولاً لكل ما وعده علىٰ مر الزمن.

﴿لَمَفْعُولًا﴾: اللام: للتوكيد؛ مفعولاً: كائناً واقعاً لا محالة.

[١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾:

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾: انظر في الآية (١٠٧)، وتكرار «يخرون» للتوكيد.

﴿يَبْكُونَ﴾: في هذه المرة «يبكون» تدل علىٰ التّجدد، والتكرار.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: أي: القرآن، وتلاوته خشوعاً.

﴿خُشُوعًا﴾: تواضعاً، ولیناً في القلب، والخشوع يعني: الخضوع، والإخبات أيضاً.

[١١٠] ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾:

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾: الله: اسم الذات الجامع لكل صفات الكمال الّتي انطوت عليها أسماء الله الحسنىٰ، واسم العلم الدّال علىٰ واجب الوجود.

﴿أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾: أو: للتخيير.

﴿ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾: الرحمن: من الرّحمة الّتي هي الصفة والسمة العامة والثابتة لذاته، والتي تمثل كل صفاته الأخرىٰ؛ فهو أرحم الراحمين، والرحمن الرحيم، فهو سبحانه رحمة، وشريعته رحمة، وقرآنه رحمة؛ كل ما يفعله بعباده رحمة؛ لأنّه هو الرحمن دائم الرّحمة، ومتجدد الرّحمة.

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾: أي: هنا شرطية.

﴿مَّا﴾: للتوكيد؛ أي: هي أكثر أدوات الشرط إبهاماً، وإضافة ما: تزيدها إبهاماً.

﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: فله: الفاء: للتوكيد؛ له: تقديم الجار والمجرور لفظ الجلالة يدل علىٰ الحصر؛ أي: له وحده الأسماء الحسنىٰ، وكلمة حُسنىٰ: أفعل تفضيل للمؤنث، والمذكر منها: أحسن، وأسماء الله الحسنىٰ تقسم إلىٰ قسمين: منها ما هو أسماء ذات؛ أي: لا يقابل الاسم اسم مقابل؛ أي: مضاد؛ مثل العزيز لا يقابله الذليل، والكريم لا نقول البخيل؛ الحي لا يقابله الميت، ومنها ما هو أسماء صفات مثل: المُعز، يقابلها المذل، والضار، ويقابلها النافع، والمحيي، ويقابلها المميت.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: أي: لا ترفع صوتك بالقراءة، أو الدعاء، أو لا تجهر بصلاتك حتّىٰ يسمعك المشركون فيسبوا القرآن عَدْواً.

﴿وَلَا﴾: النّاهية، وتكرارها يفيد التّوكيد.

﴿تُخَافِتْ بِهَا﴾: ولا تخفض الصوت؛ فلا يسمعك أصحابك في الصّلاة.

﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾: بين الجهر، والإخفاء؛ أي: وسطاً.

ابتغ: أي: اتخذ، أو اسلك في التلاوة سبيلاً وسطاً.

[١١١] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾:

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: وقل: الخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته. الحمد لله: ارجع إلى سورة الفاتحة آية (٢) للبيان. الذي: اسم موصول يفيد التعظيم. لم: للنفي، يتخذ ولداً: لا عيسى، ولا عزير، ولا الملائكة، ولا غيرهم.

فكونه لم يتخذ ولداً نعمة كبيرة على العباد يجب أن يحمدوه عليها؛ فكل الخلق عنده سواء إلا بالتقوى. فأحبهم، وأقربهم إليه أتقاهم.

إذن: الخلق كله يتمتع بحنان ربهم، ورحمته، ولا يشاركهم بهذا الحنان والرحمة ولد، ولا يحتاج سبحانه لولد؛ لأنّه هو خالد، وباقٍ، ودائم، والولد هو امتداد لوالديه، والحمد لله الّذي لم يشبه عباده، ولا يحتاج إلى ولد؛ لأنّه سبحانه لا يعتريه ضعف، أو نقص؛ ليحتاج إلى ولد، وهو الحي القيوم، وهو الوارث.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾: وهذا أيضاً يستوجب الحمد، فلو كان له شريك لكان سبباً للحيرة، والعداوة.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: وأيضاً يستحق الحمد، والشكر؛ لأنّه لم يكن له ولي من الذّل.

﴿وَلِىٌّ﴾: الولي: المعين، أو الملجأ؛ فلا يحتاج إلى معين، أو ناصر، أو

معــز؛ لأن العزة لله جميعاً؛ أي: لا يحتاج إلىٰ موالاة أحد؛ لأن به مذلة، أو عيب، أو نقص.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: أي: قل: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر من كل شيء.

الله أكبر: أكبر اسم تفضيل، وأما كبير: اسم فاعل، واسم التفضيل يدل علىٰ الكمال التام، أكثر من اسم الفاعل، وبما أنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذّل، ولهذا يجب أن نكبر هذا الإله تكبيراً علىٰ كل نعمة أنعمها علينا، وسميت هذه: آية العز.

❖ ❖ ❖

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ
وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ
ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ
بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن
لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سجدة

سُورَةُ الْكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سنة لطيفة أيها عوجا

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾
قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سورة الكهف [الآيات ١ - ٤]

ترتيبها في القرآن (١٨)، وترتيبها في النّزول (٦٩).

فضل سورة الكهف: عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي.

وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» رواه مسلم، والإمام أحمد، والنسائي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾:

انظر إلى كيف ختم الله سبحانه سورة الإسراء بقوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، وكيف بدأ سورة الكهف بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾، وكما بدأت سورة الكهف بالحمد لله؛ فقد سبقتها فاتحة الكتاب بالحمد لله، وسورة الأنعام، وسوف يأتي بعد سورة الكهف سورة سبأ، وسورة فاطر، وكلاهما بدأتا بالحمد لله أيضاً؛ فيكون مجموع السّور الّتي بدأت بالحمد خمس سور. ارجع إلى سورة الحمد، الآية (١)؛ للبيان.

فالحمد لله حمداً مطلقاً على ما أنعمه علينا من النّعم، وعلى نعمة الإسلام، والهداية إلى الصّراط المستقيم، والحمد لله في سورة الأنعام؛ لأنّه خلق السّموات والأرض، وجعل الظّلمات والنّور، وأمّا الحمد لله في سورة الكهف؛ لأنّه أنزل على عبده الكتاب، والحمد لله في سورة سبأ؛ لأنّ له ما في السّموات، وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة أيضاً، والحمد لله في سورة فاطر؛ لأنّه خلق الملائكة الّذين يحفظون لنا أعمالنا، ويكتبوها.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: ارجع إلى سورة الفاتحة، آية (٢)؛ للبيان.

﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مختص بالمفرد المذكر.

﴿أَنزَلَ﴾: أي: جملة واحدة (دفعة واحدة) أنزل الكتاب (أي: القرآن) من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا سماه كتاباً لكونه مكتوباً في اللوح المحفوظ، ومكتوباً في السّطور.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: على: تفيد العلو؛ على عبده محمّد ﷺ.

﴿عَبْدِهِ﴾: الهاء: تدل على التّشريف.

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن الكريم، ودخول (ال) التعريف؛ للدلالة على أنّه كتاب تام، وكامل. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: أي: مستقيماً لا عوج فيه منذ البداية لم يجعل له عوجاً لا في اللفظ، ولا في المعنى، ولم يقل: ولم يجعل فيه عوجاً؛ لكان من المحتمل أنّ هذا العوج حدث للقرآن في زمان ما ثمّ زال عنه، وهناك من المفسرين من

قال: هناك تقديم وتأخير في هذه الآية؛ لأنّها قد تقرأ الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب قيماً لا عوج له، وقدم كلمة عبده على الكتاب للاهتمام.

﴿عِوَجَا﴾: بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلّ أنواع العِوج؛ أي: خالٍ من أي عوج مهما كان.

وهناك فرق بين العِوج: بكسر العين، والعَوج: بفتح العين.

فالعِوج: بكسر العين أكثر ما تستعمل في سياق المعاني، والكلام، والدين.

والعَوج: بفتح العين في سياق الأشياء الحسية؛ مثل: حائط، عصا...

[٢] ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾:

﴿قَيِّمًا﴾: تعود على الكتاب؛ قيماً تعني: مستقيماً لا ميل فيه، ولا زيغ، وقيماً بمصالح العباد الدّينية، والدّنيوية؛ لتستقيم به أمور العباد، وقيماً: تفيد التّوكيد؛ توكيد لا عوج فيه. لم يجعل له عوجاً تفيد نفي العوج؛ قيماً: تثبت استقامته.

﴿لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا﴾: لينذر: اللام: للتعليل، والتّوكيد، والإنذار موجه إلى الكفار، والعاصين، ويحمل في طياته الوعيد، والإنذار: هو الإعلام، والتّحذير، والتخويف.

﴿بَأۡسٗا شَدِيدٗا﴾: عذاباً شديداً، وأصل البأس: الشّدة في الحرب.

﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾: من لدنا: تستعمل للأمور الخاصة فيها معنى القرب إلى الله

سبحانه، أو للعبد، ولم يقل: من عنده مما يدل على أنّه عذاباً خاصاً لا طاقة لأحدٍ به، ويستعمل من عندنا، أو منا للأقل قرباً، أو للأمور العامة.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يعملون: تدل على التّجدد، والتّكرار، والاستمرار بقيامهم بالأعمال الصّالحة، والبشارة: تكون في الخبر السّار، والمسموع لأوّل مرة؛ مما يؤدي إلى ظهور علامات البشارة على البشرة؛ أي: الوجه. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١١٩)، وسورة النّحل، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنَّ﴾: أنّ: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾: الأجر مقابل العمل، والأجر الحسن: قد يعني: الجنة، أو الحسنة بعشر أمثالها، أو أكثر، أو الذي يزيد عما يستحقه المؤمن.

[٣] ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾:

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾: المكث في اللغة: هو الانتظار، أو البقاء والاستقرار الغير محدد بزمن، ولم يقل لابثين: اللبث يقترن بزمن محدد؛ أي: ماكثين فيه: باقين فيه، وإضافة أبداً أضافت إليه معنى الخلود؛ ماكثين فيه (فيه تعود على الأجر)؛ أي: ماكثين في الأجر أبداً، ويعني: الجنة، أو الأجر الدّائم الغير منقطع.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: خالدين فيه.

[٤] ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾:

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾: هذا هو الإنذار الثّاني؛ الإنذار الأوّل: قيماً لينذر بأساً شديداً: هو إنذار عام، ومطلق لكلّ من كفر، وعصىٰ ربه، وهذا الإنذار هو الإنذار الثّاني، والخاص بالّذين قالوا اتخذ الله ولداً؛ ينذر النّصارىٰ الّذين قالوا المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو غيره من مظاهر الشّرك، أو ينذر المشركين الّذين قالوا إنّ الملائكة بنات الله، أو اليهود الّذين يقولون عزيراً ابن الله، أو غيرهم.

❖❖❖

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ
عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا
جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ
أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾
إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى
ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَـٰٓؤُلَآءِ
قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

سورة الكهف [الآيات ٥ - ١٥]

[٥] ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾:

﴿مَّا﴾: ما: لنفي الحال، والاستقبال.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام الاختصاص؛ هم: تعود على الّذين قالوا اتخذ الله ولداً.

﴿بِهِۦ﴾: تعود على القول اتخذ الله ولداً.

﴿مِنْ عِلْمٍ﴾: من: ابتدائية استغراقية تستغرق كلَ علم؛ أي: هو قول صادر عن جهل، أو تقليد، أو لا دليل له، وتشمل أي علم ذاتي، أو مكتسب، أو وراثي.

﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾: لا: النّافية لنفي كلّ الأزمنة، ولا لآبائهم الّذين قالوا ذلك أيضاً من غير علم ذاتي، أو وراثي.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: كبرت: عظمت كلمةً، أو ما أكبرها من كلمة في القبح، والشّناعة، والإثم حين تفوهوا بها، وقالوا: اتخذ الله ولداً دون فهم، ولا عقل، ولا علم؛ فقد خرجت من أفواههم وبلغت درجة عظيمة؛ لأنها أضلت خلقاً كثيراً، وجاءت بالنصب، وليست بالرفع؛ لأنّ النصب أقوى، وأبلغ، وفيه معنى التعجب.

﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: إن: حرف نفي أقوى نفياً من ما؛ أي: ما يقولون إلا كذباً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كَذِبًا﴾: باطلاً لا صحة له؛ مفترىً. وكذباً: نكرة؛ أي: كُلُّهُ كذب.

وكما جاء في الحديث القدسي الّذي أخرجه البخاري، عن أبي هريرة ﷺ، عن النّبي ﷺ؛ قال الله تعالىٰ: «كذبني ابن آدمَ، ولم يكُنْ له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبُهُ إياي؛ فقوله: لن يُعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمُهُ إياي؛ فقولُهُ: اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم أَلِدْ ولم أولَدْ ولم يكنْ لي كُفُواً أحَد».

[٦] ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾:

﴿فَلَعَلَّكَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لعلك: لها عدة احتمالات، والخطاب هنا لرسول الله ﷺ:

لعلك: للتراخي في المحبوب، وللإشفاق من المحذور، ويعني: أن يبخع نفسه، وهو المحذور.

لعلك: تعني النّهي؛ أي: لا تبخع نفسك، وتجمع الإشفاق علىٰ رسول الله ﷺ بالإضافة إلىٰ النّهي.

لعلك: قد تفيد الاستفهام الّذي يحمل معنىٰ النّهي؛ تعني: هل أنت ستهلك نفسك من جراء عدم إيمانهم.

﴿بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ﴾: مُهلك، أو قاتل نفسك؛ لكي يؤمنوا، وكلمة باخع أصلها البخع، وتعني: أن تبلغ بالذّبح البخاع، وهو وريد دم قريب من صُلب عظام الرّقبة، وهو أقصىٰ حد يصل إليه الذّبح؛ أي: قاتلٌ نفسك حزناً، وأسفاً علىٰ إعراضهم، وعدم إيمانهم، وتكذيبهم بالقرآن كمن يذبح نفسه إلىٰ درجة يصل بها الذبح إلىٰ

البخاع، وكأن الحق سبحانه يقول لرسوله ﷺ ما عليك إلا البلاغ؛ خفف عنك هذا الحُزن والهم.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾: فلا تستمر في ملاحقتهم بعد توليهم ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر:٨].

﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿لَّمۡ﴾: نافية.

﴿يُؤۡمِنُواْ﴾: يصدقوا.

﴿بِهَٰذَا﴾: الباء: للإلصاق.

﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾: هو القرآن الكريم.

﴿أَسَفًا﴾: المبالغة في الحزن، وقيل: أسفاً: ندماً، وجزعاً، وغضباً، فالله سبحانه نهىٰ رسوله ﷺ عن كثرة الحرص علىٰ إيمان قومه؛ لكي يؤدي ذلك إلىٰ إصابته بضرر في نفسه من شدة الحُزن والأسىٰ.

[٧] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾:

﴿إِنَّا﴾: إن: للتوكيد، ونا: المتكلم؛ للتعظيم.

﴿جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا﴾: جاءت هذه الآية لتعليل النّهي عن أن يبخع الرّسول ﷺ نفسه علىٰ آثارهم؛ لأنّ الدّنيا زائلة، وفانية، وما عليها من زينة، وزخرف، وجمال، إنما لابتلائهم؛ أي: اختبارهم، ولإقامة الحجة عليهم؛ لأنّ الله ﷻ يعلم من هو أحسن عملاً منذ الأزل قبل خلقهم، وإظهارهم للوجود.

﴿لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾: اللام: لام التّوكيد، والتّعليل.

﴿أَيُّهُمْ﴾: أي: للاستفهام.

﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: اسم تفضيل من حسن؛ أي: عملاً من الأعمال الصّالحة، والطّاعة، وتجنب النّواهي، والعمل الصّالح يشمل القول، والفعل معاً؛ أحسن: أفضل عملاً. ولم يقل سبحانه: أكثر عملاً، وإنما: أحسن؛ أي: أخلص عملاً وأصوب. ارجع إلى سورة الملك آية (٢).

[٨] ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾:

﴿وَإِنَّا﴾: وإن: للتوكيد؛ نا: ضمير المتكلم؛ للتعظيم بصيغة الجمع.

﴿لَجَاعِلُونَ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ جاعلون: من الجعل: وهو التّصيير.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وأكثر شمولاً من الذي.

﴿عَلَيْهَا﴾: من الزينة من نباتات، وجبال، وأشجار، وجنات، وهضاب، ووديان تزول وتتلاشى حين تقوم الساعة؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

﴿صَعِيدًا﴾: الصعيد: هو وجه الأرض، ووجه الأرض: هو التّراب؛ أي: تراباً.

﴿جُرُزًا﴾: الجرز: الأرض الّتي لا ينبت فيها شيء؛ فالله سبحانه يجعل الأرض يوم القيامة أرض ملساء يابسة مستوية لا نبات فيها، ولا ماء؛ أرض قحط. ارجع إلى سورة طه آية (١٠٦-١٠٧) للبيان.

[٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾:

سبب نزول هذه الآيات كما ذكر القرطبي عن ابن إسحاق: سألت قريش

يهود المدينة عن صدق نبوة رسول الله ﷺ، وصفته، وما ورد في كتبهم؛ فأشاروا إليهم أن يسألوا رسول الله ﷺ عن الروح، وأصحاب الكهف، وعن ذي القرنين؛ فسألوه فقال ﷺ: سأخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله، وجاء الغد، ولم ينزل الوحي عليه بالأجوبة؛ فشعر رسول الله ﷺ بالحرج، والضيق. ارجع إلى الآية (٢٣-٢٤) من نفس السّورة، والآية (٦٤) من سورة مريم.

﴿ أَمْ﴾: المنقطعة للاستفهام، تحمل معنى: التّعجب.

﴿حَسِبْتَ﴾: اعتقدت؛ حسبت: تعني: الظّن الرّاجح، وتعني: الحساب القائم على النّظر، والتّجربة، والحساب.

﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾: أنّ: للتوكيد.

﴿أَصْحَٰبَ﴾: جمع صاحب الملازم؛ صاحب: من صحب؛ أي: الرفيق، والصديق الّذي ينفعك، ولا يعني: القرين: الشّيطان الّذي يضرك.

﴿ٱلْكَهْفِ﴾: الغار الواسع في الجبل.

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: اللوح المرقوم المكتوب فيه أسماء أصحاب الكهف، أو لوح حجري كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف، كما قال ابن عباس والفراء.

﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾: أي: أحسبت أنّ أصحاب الكهف، والرّقيم كانوا أعجب آياتنا لا هناك الكثير من آياتنا ما هو أعجب من أصحاب الكهف.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾: أي: أعجبها؛ فهناك الآيات الكثيرة الّتي هي أعجب من قصة أصحاب الكهف الدّالة على عظمة وقدرة الله سبحانه على الخلق، والبعث، والإحياء.

[١٠] ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان للماضي.

﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: أوىٰ: التجأ، أو جعلوا الكهف مأوىٰ لهم.

﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾: جمع فتىٰ؛ بمعنىٰ: الشّبان، والفتية، ولم يقل: الفتيان؛ الفتية في القرآن؛ تعني: الفئة الصّالحة المؤمنة. أمّا الفتيان في القرآن: تأتي في سياق الفئة غير المؤمنة، وسياق التسخير؛ أي: الخدم، وأمّا اللغة: فلا تفرق بين الفتية، والفتيان، وهناك فرق آخر: الفتية: جمع قلة؛ الفتيان: جمع كثرة، أو فتيان: أكثر عدداً مقارنة بالفتية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف:٦٢].

﴿فَقَالُوا۟﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: ربنا، ولم يقولوا: يا ربنا؛ لأنّه سبحانه قريب؛ فلم يستعملوا ياء النّداء للبعد.

﴿ءَاتِنَا﴾: من الإيتاء: وهو العطاء الّذي لا تملك فيه. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ لمعرفة الفرق.

﴿مِن﴾: من: ابتدائية.

﴿لَّدُنكَ﴾: ولم يقولوا منك؛ من لدنك خاصة بالمقربين فيها معنىٰ المبالغة والقرب واللين والخصوصية من الله تعالىٰ، وأما منك تأتي في سياق العامة من النّاس، وتقديم من لدنك؛ تعني: خاصة من لدنك وحدك.

﴿رَحْمَةً﴾: جاءت في صيغة النّكرة؛ لتشمل أنواع كثيرة من الرّحمة؛ منها:

الرّزق، والأمن، والصّحة، والمغفرة، والرّحمة: هي جلب ما يَسرُ، ودفع ما يضر، وتعني: الوقاية من الوقوع في الذّنوب.

﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: هيئ: يسر لنا، واجعل أمرنا كله رشداً؛ أي: صلاحاً، والرَّشَد: بفتح الراء؛ يعني: الصّلاح في أمور الدّين، والآخرة. أما الرُّشد: ضد الغي، والضّلال، والسّفه، وسوء التّدبير؛ أي: اهدنا إلىٰ طريق الصّواب، والصّلاح، والحق، والخير، والإيمان، والتّوحيد، والرُّشد: بضم الرّاء: الصّلاح في الأمور الدّنيوية، والأخروية، والرُّشد: أعم من الرَّشَد.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾:

﴿فَضَرَبْنَا﴾: الفاء: للمباشرة، والتّعقيب، والضّرب: يعني: إيقاع شيء علىٰ شيء، والضّرب في الأرض: أي: السّفر؛ يضرب بقدمه الأرض؛ أي: يسافر، والضرب علىٰ الأذن في الحالات العادية: يؤدي إلىٰ الصمم الناتج أحياناً إلىٰ تمزق غشاء الطبل في الأذن، وتعطل حاسة السّمع عندهم.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ﴾: أي: بعد أن أووا إلىٰ الكهف جعلنا علىٰ آذانهم حجاباً، أو حائلاً يمنع وصول الصّوت إلىٰ آذانهم؛ لأنّ الله سبحانه لا يريد أن يوقظهم بسماع أي صوت، وأضاف الضّرب إليه سبحانه؛ أي: أصبحوا لا يسمعون شيئاً لسنين طويلة.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أبقاهم الله سبحانه أحياء ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [آية:٢٥] من نفس السّورة.

﴿عَدَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: (٣٠٠ سنة شمسية) ما يعادل (٣٠٩ سنة قمرية) أبقاهم أحياء بدون طعام، أو شراب، أو شيء من مقومات الحياة العادية.

[١٢] ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للتراخي في الزّمن؛ أي: بعد زمن طويل بلغ ثلاث مائة وتسع سنوات.

﴿بَعَثْنَٰهُمْ ﴾: أيقظناهم من نومهم، والبعث: يعني: الحث، والإثارة، والتّحريك.

﴿لِنَعْلَمَ ﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: أي: للاستفهام.

﴿ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: قيل: الفتية انقسموا حزبين (جماعتين)، والحزب: هو جماعة من النّاس تجمعهم مصالح مشتركة، وآراء متشابهة؛ حزب قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، وحزب قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم، وبعض المفسرين قالوا: الحزبين هم الفتية، وأهل المدينة.

﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾: لما: ظرفية زمانية، وما: مصدرية؛ أحصوا: من الإحصاء: وهو العد، والجمع، والطرح، والحفظ، والكتابة.

﴿لَبِثُوٓا۟ ﴾: وهم رقود في كهفهم. ولبثوا: اللبث: هو الاستقرار المقرون بزمن محدد بعكس المكث: هو الاستقرار الغير مقرون بزمن محدد.

﴿أَمَدًا ﴾: والأمد: أما أن يكون ظرفاً من الزمان أو المكان، وفي هذه الآية ظرف للزمان منتهى الأجل، أو المدة (عدد السنين)، وانتهى التساؤل أن كلا الحزبين لم يعلم الجواب الحق.

[١٣] ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾:

﴿ نَّحْنُ ﴾: ضمير منفصل بصيغة الجمع؛ للتعظيم.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾: نخبرك، أو نطلعك على نبأهم.

﴿نَبَأَهُم﴾: النّبأ: هو الخبر الهام العظيم.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصّدق؛ الباء: للإلصاق، والحق: هو الأمر الثّابت الّذي لا يتغير، أو يتبدل، وما يقصه الله سبحانه علينا هو علم اليقين، وصدق، ولا يخالطه أي شك، أو ريبة؛ لأنّ هناك من الأنباء ليست بالحق؛ أي: ليست صادقة.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿فِتْيَةٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٠)؛ للبيان.

﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: آمنوا إيمان عقيدة، وتوحيد، وصدقوا بربهم، وهذه شهادة من الله لهم، ويا لها من شهادة عظمى.

﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: أي: إقبالاً على الله، وإيماناً، وبصيرة، وهديناهم الهداية الخاصة الموصلة إلى الغاية، وهي سعادة الدّارين.

﴿هُدًى﴾: نكرة؛ تشمل كلّ أنواع الهداية.

[١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: الرّبط: الشّد؛ أي: ألهمناهم، قويناهم بالصّبر، والثّبات، واليقين، والجرأة (عدم الخوف) على الإيمان، والتّوحيد حتّى لا يفزعوا.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، ولم يقل: وربطنا قلوبهم؛ على: تدل على العلو، والمشقة؛ أي: على القلب؛ على ما فيها من إيمان، وتقوى. أما

ربطنا قلوبهم؛ تعني: ربط القلب ذاته بجهاز، أو شيء حسي، كما يحدث في العمليات الجراحية.

﴿إِذْ قَامُوا﴾: إذ: ظرف زمان للماضي؛ بمعنى: حين قاموا يدعون الله وحده، ويعبدونه.

﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: الرّبط خاصة حين قاموا لمواجهة الشّرك، والباطل، والتّصدي له، وأعلنوا الكلمة الطّيبة كلمة التّوحيد لا إله إلا الله، ربنا رب السّموات والأرض في أرض الشّرك، والضّلال.

﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا﴾: لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿مِن دُونِهِ﴾: من دون الله، من غير الله.

﴿إِلَٰهًا﴾: معبوداً آخر، ولا شريكاً له، أو مثيلاً.

﴿لَّقَدْ قُلْنَا﴾: لقد: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾: الشّطط: الجور، والظّلم، أو الابتعاد عن الحق، والصّواب؛ أي: إذا ادعينا أنّ هناك إلهاً آخر من دونه؛ فقد قلنا كلاماً شططاً؛ أي: كذباً بعيداً عن الحق، والصّواب، وظلماً، وجوراً.

[١٥] ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾:

﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا﴾: هؤلاء: الهاء: للتنبيه؛ أولاء: اسم إشارة تشير إلى الّذين اتخذوا من دون الله آلهة.

﴿مِن دُونِهِ﴾: من: ابتدائية.

﴿دُونِهِ﴾: دون الله آلهة يعبدونها.

﴿لَّوْلَا﴾: أداة عرض، وحض.

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾: بسلطان؛ أي: دليل، وحجة على إشراكهم بالله واتخاذ الآلهة.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: استفهامية تفيد النّفي، واستفهام تقرير حتّى يجيب المخاطب بنفسه، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، ولو قال تعالى: لا أحد أظلم؛ لكان عبارة عن كلام إنشائي على سياق الخبر؛ بينما قوله: فمن أظلم ممن افترى كلام استفهامي على سياق السّؤال، وهو أبلغ، وأرسخ في النّفس، والافتراء: هو الكذب المتعمد المختلق.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة يشمل كلّ أنواع الكذب القليل، والكثير بكلّ أنواعه.

❖ ❖ ❖

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ
يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا
﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ربع الحزب ٣٠

سورة الكهف [الآيات ١٦ - ٢٠]

[١٦] ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾:

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾: وإذ؛ أي: واذكروا إذا اعتزلتموهم؛ أي: اعتزلوا قومهم؛ أي: تركوا قومهم، وخلوا بأنفسهم.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: وما: النّافية.

﴿يَعْبُدُونَ﴾: إلا الله.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر، أو استثناء.

﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: هذا قول بعضهم لبعض؛ أي: الجؤوا إلى الكهف، واجعلوه مقر عبادتكم.

﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: يوسع، ويبسط لكم ربكم كلّ أنواع رحمته.

﴿رَّحْمَتِهِۦ﴾: من الصّحة، والعافية، ومن الطّعام، والشّراب الّتي تحتاجون إليها في هذا الكهف الخالي من مقومات الحياة، والمعيشة.

﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: مرفقاً: جمعه مرافق؛ أي: منافع، ومرافق الحياة: الأمور الّتي لا يستغني عنها الإنسان من غذاء، وشراب، وتدفئة، أو تبريد، أو هواء، وشمس. وأصل كلمة مرفقاً: ما يرتفق به؛ أي: يتكأ عليه، أو يستعان به مثل عضو المرفق، وهو المفصل المسمى المرفق، أو الكوع كقوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦].

[١٧] ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾:

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾: وترىٰ الشّمس: رؤية العين؛ إذا طلعت أشرقت علىٰ كهفهم، وإذا تفيد حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: أي: تتزاور أدغمت التّاء في الزّاي، فأصبحت تزاور؛ أي: تميل وتنحرف عنهم؛ لئلا تؤذيهم بأشعتها، أو سرعان ما تتحول، وتميل، أو تعدل عن كهفهم، من الزّور: وهو الميل.

﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهة يمين الكهف؛ أي: علىٰ يمين الدّاخل إلىٰ الكهف.

﴿وَإِذَا غَرَبَت﴾: إذا: ظرفية زمانية، وتدل علىٰ حتمية الحدوث، وكثرته؛ أي: مالت للغروب.

﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تتجافىٰ عنهم، ولا تَقْربهم (قرض المكان تركه وتجاوزه) فلا تؤذيهم عند الغروب.

﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: أي: تصيبهم إصابة خفيفة حين الغروب؛ لأنّ الشّمس ضرورية لما فيها من أشعة فوق البنفسجية الغير مرئية الضرورية لإنتاج فيتامين (د) وكثرتها تؤدي إلىٰ الإصابة بسرطانات الجلد، ولم يقل: تزاور عن كهفهم ذات الشّمال.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: وهم: الفتية.

﴿فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: الفجوة: المتسع، أو وسط الكهف.

﴿مِّنْهُ﴾: أي: الكهف.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: التّزاور، والإقراض عند الشّروق، وعند الغروب، ودوران الشّمس، وميلها، والضّرب على آذانهم، ونومهم (٣٠٩ سنة) بدون طعام، أو شراب، وتقليبهم ذات اليمين، وذات الشّمال آيات من آيات الله؛ أي: دلائل، وبراهين على عجائب قدرته سبحانه.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ﴾: ارجع إلى الإسراء، الآية (٩٧)؛ للبيان.

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٨٦)؛ للبيان.

﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: فلن: الفاء: للتوكيد؛ لن: نافية تنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا﴾: معيناً.

﴿مُّرْشِدًا﴾: اسم فاعل من الفعل أرشد؛ أي: دل وهدى؛ أي: يرشده إلى الدّين، والهدى، والصّواب، والصّلاح.

[١٨] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: من الحسبان: وهو الظّن الرّاجح، أو الاعتقاد المبني على الحساب والتجربة.

﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾: جمع يقظ؛ أي: غير نائم أيقاظاً؛ لكون أعينهم مفتحة رغم أنهم نيام سنين طويلة (٣٠٩ سنة).

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: نقلبهم على جنبهم الأيمن ثمّ الأيسر، ولم يذكر لماذا؟ وهذا من المعجزات العلمية؛ فالتّقلب لتجنب تقرحات الجلد،

والعضلات النّاشئة عن عدم تروية الجلد بسبب الضّغط المباشر على الجلد من جراء النّوم لزمن طويل على جنب واحد، ولتجنب تشكل الخثرات الدموية في الأوردة الّتي قد تترك مكانها وتستقر في الرئتين، أو القلب مما يؤدي إلى الموت أحياناً، فالتقلب والحركة تمنع حدوث ذلك.

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾: الوصيد بفناء الكهف، أو مدخله (عتبة الكهف).

﴿ذِرَاعَيْهِ﴾: الطّرفين الأماميين.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾: لو: شرطية.

﴿ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: رأيتهم لأوّل مرة؛ أي: وقع بصرك عليهم لأوّل مرة.

﴿لَوَلَّيْتَ﴾: اللام: للتوكيد، وليت: من ولى أدبر.

﴿مِنْهُمْ﴾: تقديم الجار، والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أي: منهم خاصة.

﴿فِرَارًا﴾: الهروب بسرعة مع الخوف مع عدم محاولة التّستر، والاختفاء.

أما الهروب العادي: هو الجري بسرعة، قد يرافقه التّستر، والاختفاء.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: ولملئت: الواو: لمطلق الجمع، وليس للترتيب؛ انظر إلى تقديم الفرار على الرعب؛ أي: يحدث الهروب أوّلاً، ثمّ يليه الرّعب، أو يحدث الرّعب، والعادة أن يحدث الرّعب، ثمّ الهروب، وإذا حدث الفرار (الهروب) أوّلاً، وتبعه الرّعب دلّ على شدة المنظر المخيف المهيل.؛ فهم رقود وعيونهم مفتحة، وأوقع سبحانه عليهم الهيئة المرعبة حتّى يحميهم، ولا يستطيع أحد أن ينظر في وجوههم، ويعرفهم.

[١٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟

لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾:

﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾: ولم يقل: ثم بعثناهم، وإنما قال: وكذلك بعثناهم؛ أي: كما ضربنا على آذانهم، وأنمناهم وحفظناهم أحياء لثلاث مائة سنين، وتسع؛ فهم لم يموتوا، وإنما ناموا؛ كذلك بعثناهم؛ أي: آية نومهم تشبه آية بعثهم كلاهما يدل على عظمة الخالق.

﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقظناهم من نومهم بعد (٣٠٩ سنين).

﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾: ليتساءلوا: اللام: لام التّعليل؛ يسأل بعضهم بعضاً.

﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾: كم: استفهامية، وتستعمل للسؤال عن العدد، وهناك كم الخبرية؛ كقوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٣١].

أي: سأل سائل منهم كم لبثتم: اللبث: الإقامة المحدودة بزمن محدد؛ أي: كم مر علينا من الزّمن في نومنا، أو كم استغرقنا في نومنا.

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: قال بعضهم: يوماً أو بعض يوم؛ لأنّهم شاهدوا أن شعرهم، وشكلهم، وهيئتهم لم تتغير كثيراً.

﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: وألهم الله بعضهم الآخر للإجابة بالقول ربكم أعلم بما لبثتم، ودعونا من هذا السّؤال نريد أن نأكل:

﴿فَابْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: الوَرِق: العملة من الفضة مضروبة، أو غير مضروبة؛ فهم لا يزال معهم دراهم من الفضة؛ الوَرِق: الفضة.

﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: لم يذكر اسمها؛ لأنه ليس مهم.

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أزكىٰ: أي: الحلال الطّيب الجيد، أو الأبعد عن الحرام.

﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: فليأتكم: الفاء: للترتيب، والمباشرة.

﴿بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: بطعام (الطّعام رزق).

﴿مِّنْهُ﴾: من: البعضية؛ أي: من بعضه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: اللام: للتوكيد؛ ليذهب، ويأتي بالطّعام لنا بلطف وخفاء؛ ليتلطف في المعاملة؛ أي: يحاول جهده أن يكون لطيفاً ممن يشتري منه؛ فهم ما زالوا علىٰ حذر، وخوف من قومهم الّذين ليسوا علىٰ ملتهم، أو شريعتهم، وأنّهم يلاحقونهم، ويبحثون عنهم، هكذا ظنوا أنّهم لا زالوا في زمنهم قبل (٣٠٩ سنة).

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: ولا: لا: النّاهية.

﴿يُشْعِرَنَّ﴾: النّون: نون التّوكيد.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: أي: لا يخبرن، أو لا يطلعن أحداً بمكانكم، ولا يفعل، أو يقول شيئاً يؤدي إلىٰ الشّعور بنا؛ سواء أكان بغير قصد أم الخطأ.

[٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾:

﴿إِنَّهُمْ إِن﴾: إنّهم: للتوكيد.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد احتمال الحدوث، أو النّدرة، أو الافتراض.

﴿يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: يطّلعوا عليكم، أو يظفروا بكم، أو يعلموا مكانكم.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: أي: يقتلوكم رمياً بالحجارة.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: في شريعتهم كرهاً، والملة: هي الشّريعة، أو الطريقة، أو المذهب. ارجع إلى سورة إبراهيم، آية (١٣)؛ للبيان.

﴿وَلَن﴾: للنفي للمستقبل القريب، أو البعيد.

﴿تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾: إذا عدتم في ملتهم، أو أحيط بكم؛ فلن تفلحوا.

﴿تُفْلِحُوٓاْ﴾: تنجو من عذاب الله، وتفوزوا بالآخرة؛ أي: بالجنة.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب، وجزاء للتوكيد.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد؛ أي: إذا عدتم في ملتِهم، وأمّا إذا عثروا عليهم ورجموهم فهم سيكونوا شهداء في سبيل الله.

❖ ❖ ❖

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

سورة الكهف [الآيات ٢١ - ٢٧]

[٢١] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۗ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكذلك؛ أي: مثل ذلك (تفيد التشبيه)، كما بعثناهم أحياء ليتساءلوا بينهم.

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أطلعنا عليهم النّاس الّذين جاؤوا بعد (٣ قرون).

﴿لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ﴾: ليعلموا: اللام: لام التّوكيد.

﴿أَنَّ﴾: لزيادة التّوكيد.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: وعد الله بالبعث حق، وعد الله حق؛ أي: ثابت لا يتغير؛ لأنّ الضّرب على آذانهم وهم رقود لمدة ثلاث مائة سنين وتسع يشبه، أو يمثل حياة البرزخ، ثمّ بعثهم يمثل حالة من يبعث من قبره، ويساق إلى أرض المحشر عند قيام السّاعة.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾: أنّ: للتوكيد، ولم يقل: آتيه؛ لأنّه في هذه الآية لا يتحدث عن السّاعة؛ أي: لحظة تهدم النّظام الكوني، وإنما يتحدث عن ساعة قيام الفتية من نومهم، وبعثهم بعد (٣٠٩ سنة) دليلاً على آتيه، وكلمة ليعلموا: تعود على أصحاب الكهف، أو تعود على قومهم؛ فإذا كانت تعود على أصحاب الكهف؛ فهم يعلمون أنّ وعد الله حق؛ لأنّهم يؤمنوا بالله، ولو قال: كي يعلموا ذلك؛ يعني: أن الفتية لا يعلموا أن وعد الله حق، وهذا ليس صحيحاً، وإذا كانت تعود إلى قومهم.

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾: اللام: للتأكيد؛ ليعلموا قومهم من إحياء أصحاب الكهف أنّ وعد الله بالبعث حق، وأنّ السّاعة؛ أي: ساعة تهدم النّظام الكوني لا ريب فيها؛ فكلا المعنيين وارد.

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: إذ: ظرف زماني للزمن الماضي.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: بصيغة الفعل المضارع الدّالة على التجدد، والتكرار، أو حكاية الحال، لم يقل: تنازعوا: للدلالة على الماضي؛ لأنّ الكثير من النّاس لا زالوا يتنازعون، يتخاصمون في أهل الكهف، وعددهم، ومكانهم، وشأنهم، والتّنازع في ذلك الزّمان حدث بين أفراد الجماعة الّتي عثرت على أصحاب الكهف بعد بعثهم من مرقدهم، والتّنازع في اتخاذ بنيان لهم يضم قبورهم، أو اتخاذ مسجدٍ عليهم.

وانتبه إلى تقديم كلمة بينهم بدلاً من قوله؛ إذ يتنازعون أمرهم بينهم؛ أخر كلمة أمرهم؛ لأنّ أمر أصحاب الكهف لم يُعد سراً، والكلّ يعلم بقصتهم، والنّاس كلهم قد آمنوا حين عُثر عليهم بعد (٣٠٩ سنة)، ولنعلم أن الكثير من النّاس حتّى يومنا هذا لا زالوا يتنازعون في أصحاب الكهف عددهم ومكانهم وقصتهم.

ولو قارنا هذه الآية مع الآية (٦٢) من سورة طه: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: الآية تتحدث عن سحرة فرعون قبل إلقاء عصيهم، وحبالهم.

ففي هذه الآية جاء بفعل ماض: تنازعوا، وجاء بكلمة: أمرهم قبل بينهم؛ فقال: أمرهم بينهم؛ قدم أمرهم هنا؛ لأنّه كان أمر سري، وهام، ولم يطلعوا السّحرة عليه أحداً من النّاس، وأمّا المجيء بالفعل الماضي تنازعوا؛ لأنّ التّخاصم، والتّنازع بين السّحرة كان مرة واحدة وانتهى بعد أن تبين لهم الحق حين ألقى موسى عصاه، والتقفت ما صنعوا، وبعدها آمنوا برب العالمين، وانتهى الأمر.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾: قسم من الّذين عثروا على أصحاب الكهف اقترحوا أن يبنوا عليهم بنياناً.

﴿بُنْيَـٰنًا﴾: من البناء، والبنيان يختلف عن البناء؛ البنيان: هو الثابت الّذي لا يتغير، ويدوم قروناً طويلة؛ مثل: الأبنية الأثرية التاريخية؛ كالأهرامات. أما البناء: ليس ثابتاً قد يتغير؛ مثل: المنازل العادية.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: أي: قال الأكثرية؛ أي: أهل المدينة المؤمنون، أو الرّؤساء القادة؛ أي: الملك، وأصحابه المؤمنون: لنتخذن عليهم مسجداً.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: لنتّخذنّ: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد؛ أي: لنبنينَّ عليهم مسجداً.

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾:

﴿سَيَقُولُونَ﴾: السّين: للاستقبال القريب؛ سيقول الّذين يتنازعون في أمرهم؛ أي: يخوضون في قصتهم. ويقولون: بصيغة المضارع الدالة على التجدد والتكرار، ولم يقل قالوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالوا خمسة سادسهم كلبهم.

﴿ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: عددهم ثلاثة رابعهم كلبهم.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: ويقولون عددهم: خمسة سادسهم كلبهم.

﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾: رجماً: مشتقة من الرّجم بالحجارة الّتي لا تصيب المرمى، أو يرمي إلى مكان لا يعرف مداه، واستعيرت لرمي الكلام من غير علم، أو دليل؛ أي: ما قالوه من باب الظّن بدون علم.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: قالوا: زيادة حرف الواو في كلمة وثامنهم: تدل على الاهتمام؛ أي: التّوكيد؛ فقالوا: هذا هو الأقرب إلى الصّواب؛

أي: عددهم سبعة، وثامنهم كلبهم؛ لأنّ الواو يؤتىٰ بها في أماكن الاهتمام، والتّوكيد.

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: لا داعي للجدال في عددهم، ولا يهم معرفة عددهم، والأفضل أن تردوا ذلك إلىٰ الخالق إذا لم تكونوا علىٰ يقين؛ أي: قولوا: الله أعلم بعدتهم.

﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾: فالله سبحانه يعلم عددهم، وحالهم، وإيمانهم منذ الأزل، وكذلك هناك عدد قليل من النّاس يعرف عددهم، وحقيقتهم.

﴿مَّا﴾: النّافية.

﴿إِلَّا﴾: تدل علىٰ الحصر، وما يعلمهم إلا قليل.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرٗا﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تُمَارِ﴾: من المراء: وهو الجدال بعد ظهور الحق؛ أي: حسبك ما قصصنا عليك، وأطلعناك عليه من أمر أهل الكهف؛ فلا تزد، أو تنقص عند الحديث عنهم، فلا تمار فيهم؛ أي: تخوض في الحديث عنهم بعدما تبين لك الحق إلا مراء ظاهراً؛ أي: بحجة ويقين، فلا تجادل مثلاً في أسمائهم، أو مكانهم، أو عددهم، وإنما جادلهم بما أخبرناك به من الآيات والذكر الحكيم.

﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾: ولا: لا: النّاهية.

﴿تَسۡتَفۡتِ﴾: من الفتوىٰ، أو طلب الفتيا، ولا تسأل أحداً عن أمر من أمورهم لا تعلمه عن أصحاب الكهف؛ أي: لا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أي شيء آخر لم نطلعك عليه، وما أخبرناك عنهم يكفي، ولا تحتاج إلىٰ ذلك، وانتهىٰ الأمر.

[٢٣] ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا﴾:

سبب نزول هذه الآية كما روىٰ ابن عباس: عندما سألت قريش

رسول الله ﷺ عن الرّوح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين؛ فقال ﷺ: سأخبركم غداً، ونسي أن يقول: إن شاء الله؛ فتأخر الوحي بالنّزول لفترة قيل خمسة عشرة ليلة؛ فشعر رسول الله ﷺ بالحرج من قريش، ثمّ نزل جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ بالأجوبة الثّلاثة، كما جاء في هذه الآيات، وحين سأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام لما تأخر عنه؟ جاء الرّد في الآية (٦٤) من سورة مريم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾: ولا: الواو: استئنافية؛ لا: النّاهية.

﴿تَقُولَنَّ﴾: النّون: فيها للتوكيد.

﴿لِشَاْىْءٍ﴾: اللام: لام التّعليل؛ شيء: أي: شيء جاءت بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلّ شيء، أو أمر، والشّيء: هو أقل القليل.

﴿إِنِّى﴾: إنّي: للتوكيد.

﴿فَاعِلٌ﴾: بالتّنوين، ولم يقل فاعلُ؛ لأنّ فاعلٌ: اسم فاعل يدل على الحال، أو الاستقبال، أمّا لو قال فاعلُ يدل على أنّ الفعل حدث في الماضي؛ أي: لا تقولن لشيء سأفعله غداً، أو في المستقبل إلا أن يشاء الله.

﴿ذَٰلِكَ غَدًا﴾: ذلك: اسم إشارة تشير إلى الشّيء.

﴿غَدًا﴾: المراد بالغد ما يستقبل من الزّمان، ولا يعني بالضّرورة الغد بعد (٢٤) ساعة، فالغد يطلق على المستقبل من الزّمان.

[٢٤] ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾:

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، وحصر.

﴿أَن﴾: أن: حرف مصدري يفيد التّعليل، والتّوكيد، والاستقبال. إلا: أداة استثناء.

﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: أراد، ولم يقل: إن يشاء ربك: لأنّ هذا الأمر؛ أي: القول: إن شاء الله: هو أمر تعبدي، والعبادة تخص الإلوهية (الله ﷻ).

وإن شاء الله: تأتي عادة في سياق الأمور التي نقوم بها بأنفسها، أما بإذن الله: تأتي في سياق الأمور التي لا دخل لنا فيها، بل هي بتدبير خارج عن إرادتنا.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: لها معنيين:

المعنى الأوّل: أي: إذا قلت سأفعل كذا، وكذا، ونسيت أن تقول إن شاء الله، ثمّ تذكرت أنّك لم تقل ذلك؛ فقل عندها: إن شاء الله، ولو كان الوقت متأخراً؛ فمتى تذكرت قل: إن شاء الله، وهذا هو قول الجمهور، وابن عبّاس رضي الله عنهما... وغيرهم.

المعنى الثّاني: إذا وقع النّسيان لشيء، ثمّ تذكرت أنّك لم تقل: إن شاء الله؛ فقل: مثلاً سبحان الله، لا إله إلا الله، أستغفر الله؛ لأنّ النّسيان من الشّيطان، وذكر الله يطرد الشّيطان.

وانتبه إلى هذه الآيات الثّلاثة الّتي تشير إلى علاقة النّسيان بالشّيطان: وأنه قد يكون السبب في النّسيان: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣]، ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة:١٩].

وأمّا الحكمة من إبطاء نزول الوحي جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ؛ فالله سبحانه وحده يعلم ذلك، ومع ذلك فقد فسر ذلك الإبطاء بعدة احتمالات:

الاحتمال الأوّل: لتعلم قريش، أو غيرهم: أنّ الرّد على أسئلتهم، أو عدم

الرّد: هو بيد الله وحده، وليس بيد الرّسول ﷺ؛ فإن شاء الله فعل، أو إن لم يشأ لم يفعل.

الاحتمال الثّاني: لتعلم قريش، أو غيرهم: أن رسول الله ﷺ إن هو إلا وحي يوحىٰ؛ فهو لا يأتي بشيء من عنده، ومن تلقاء نفسه إلا أن يشاء الله وحين يشاء الله سبحانه.

الاحتمال الثّالث: ليعلمنا ربنا أن نقول: إن شاء الله في كلّ أمر يراد القيام به، ولا ننسىٰ ذلك وأن نتوكل علىٰ الله وحده.

﴿وَقُلْ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿عَسَىٰٓ﴾: من أفعال الرّجاء؛ سواء يرجىٰ حصوله عن قريب، أو بعيد، وما بعدها متحقق الوقوع غالباً.

﴿أَن﴾: للدلالة علىٰ الاستقبال.

﴿يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾: أي: يرشدني ربي إلىٰ شيء آخر غير قصة أصحاب الكهف أقرب في الدّلالة وأوضح يدل علىٰ نبوتي لهؤلاء المشركين من قريش؛ أي: من الغيبيات (علم الغيب)، أو قصص الأنبياء الآخرين، وغيرها أعظم خبراً من أصحاب الكهف؛ فاستجاب له ربه فأخبره بقصة موسىٰ، والخضر الّتي سترد في الآيات القادمة، ويهدين: بحذف ياء المتكلم لأنها هداية شاملة عامة له ولغيره أن يهديهم ربهم هداية الدين. ارجع إلىٰ سورة القصص آية (٢٢) للمقارنة.

لنقارن هذه الآية (٢٤) من سورة الكهف: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾، وقوله في الآية (٢٢) من سورة القصص: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

الاختلاف بين الآيتين يرجع إلىٰ تقديم الهداية (أن يهدين) علىٰ كلمة ربي

في الكهف، وتقديم كلمة (ربي) على أن يهديني في القصص، وكلمة يهدين في الكهف بدون ياء، ويهديني في القصص بزيادة الياء.

هذا الاختلاف يعود إلى أنّ المقام في سورة القصص يعود إلى كون موسى كان خائفاً، ولا يعرف الطّريق إلى مدين؛ فهو يطلب النّجاة، والحماية، والهداية من الرّب؛ فقدم كلمة ربي؛ لأنّ الرّب هو الهادي؛ أي: مصدر الهداية، ولم يقل: الله؛ لأنّ الله هو المعبود، والمقام مقام هداية، وليس عبودية.

ثانياً: قال يهديني بإضافة ياء المتكلم؛ لأنّ موسى يطلب الهداية الكاملة التّامة؛ لكونه لا يعرف أي شيء عن الطّريق، وأين هو ذاهب.

أمّا آية الكهف جاءت في سياق نسيان رسول الله ﷺ أن يقول: إن شاء الله، وطلب الرّسول أن يهديه ربه إلى دلالة، أو برهان أقرب من قصة أصحاب الكهف؛ تدل على نبوته، فقصة أصحاب الكهف تكفي، ولكن يطلب قصةً أشد تبين نبوته لقريش فجاءت قصة موسى والخضر؛ فهو يطلب دلالة، أو هداية جزئية، ولذلك حذف الياء، وأخر كلمة ربي؛ لأنّ الموقف لا يقارن بموقف موسى الخائف من أن يضل الطّريق، والقتل، والرّسول ﷺ ليس في مقام الخوف، أو القتل، كما هو الحال في موسى عليه السلام.

[٢٥] ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾:

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾: ناموا في كهفهم: سمي الكهف كهفهم لما ناموا فيه لمدة طويلة (٣٠٩ سنة)؛ كأنّه أصبح كهفهم.

﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾: من السّنين الشّمسية.

﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾: أي: تسع سنين؛ أي: وزد على ذلك تسع سنين إذا كان الحساب بالسّنة القمرية (٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية، كلّ سنة شمسية= سنة قمرية+ ١٠ أيام).

وكلّ (٣٣ سنة شمسية = ٣٤ سنة قمرية)؛ أي: زيادة سنة واحدة.

وكل (١٠٠ سنة شمسية = ١٠٣ سنة قمرية).

وكل (٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية).

وهـذا يعتبر إحدىٰ المعجزات العلمية الّتي أخبر القرآن الكريم بها من قبل أن يُعرف علم الفلك، ودوران الشّمس والقمر. أما تذكير العدد وتأنيثه:

العدد من (٣-٩) تكون عكس المعدود في التّذكير، والتّأنيث سواء أكانت مفردة؛ أمثلة: سبع ليال، ثمانية أيام حسوماً.

أو مركبة مثل: خمسة عشر مفتاحاً، سبع عشرة طاولة، أو ثلاثة وعشرين يوماً، أو أربعاً وعشرين ساعة.

وأمّا واحد (١)، أو (٢) اثنان: فهما وفق المعدود.

[٢٦] ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾:

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾: نزلت عندما قال النّصارىٰ لرسول الله ﷺ: أمّا الثّلاث مئة فقد عرفناها، فأمّا التّسع فلا علم لنا بها؛ فنزلت هذه الآية كما قال ابن السائب: قل الله أعلم منكم بما لبثوا؛ فقد لبثوا (٣٠٩) قمرية، أو (٣٠٠) شمسية، وهذا هو الحق والصح.

﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تقديم له: يفيد الحصر والتوكيد له وحده؛ أي: هو المختص بعلم الغيب؛ فهو عالم الغيب، والشّهادة، ويعلم الغيب في السّموات، والأرض، ويعلم كم لبثوا في كهفهم، ولستم أنتم أعلم منه سبحانه.

﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾: أسلوب تعجب؛ أي: ما أشد بصره، وما أشد سمعه، لا يغيب عن بصره وسمعه شيء مهما كان خفي، أو جلي صغير، أو كبير كقوله

تعالىٰ: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:١٦].

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: ما: النّافية.

﴿لَهُم﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: ما لأهل السّموات، وما لأهل الأرض.

﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: من غيره سبحانه.

﴿مِن وَلِيٍّ﴾: من: ابتدائية استغراقية تستغرق كلّ ولي، والولي: هو المعين، والقريب؛ أي: ما لأهل السّموات، والأرض من دون الله من أي: معين، أو من يتولىٰ أمورهم، ويدبرها إلا هو وحده سبحانه.

﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾: لا: لتوكيد النّفي.

﴿يُشْرِكُ﴾: في حكمه أحداً؛ لأنّه سبحانه غني عن الشّريك، والولد، وكلّ من في السّموات والأرض.

﴿فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾: أي: لا حاكم إلا هو وحده.

﴿أَحَدًا﴾: توكيد، ولا معقب لحكمه.

[٢٧] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾:

﴿وَٱتْلُ﴾: من التّلاوة: وهي اتباع الشّيء بالشّيء، وتلاه تعني: تبعه، والتّلاوة تخص كتب الله، وهي أخص من القراءة؛ فكلّ تلاوة قراءة، وليس كلّ قراءة تلاوة، والتّلاوة تعني: القراءة، وتعني الاتباع؛ أي: واتل تلاوة عبادة، أو تعليماً للنّاس، أو دعوة النّاس إلىٰ ربهم، ولا تعبأ بما يقوله المشركون، والتّلاوة لها أجر كلّ حرف بعشر حسنات.

﴿مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ: الّذي، وأوسع شمولاً.

﴿أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾: عن طريق جبريل، ولمعرفة معنىٰ الوحي: ارجع إلىٰ سورة النّساء، آية (١٦٣).

﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾: من: ابتدائية.

﴿كِتَابِ رَبِّكَ﴾: أي: من القرآن الكريم. كتاب ربك: نسب الكتاب إليه: تشريفاً لهذا الكتاب.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: ولو كلمة واحدة، أو حتّىٰ حرفاً واحداً منذ أُنزل علىٰ قلب محمّد ﷺ إلىٰ أن يُرفع من الأرض.

﴿لَا﴾: النّافية للجنس؛ لنفي كلّ الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

﴿وَلَن﴾: لنفي المستقبل القريب، والمستقبل البعيد.

﴿تَجِدَ مِن دُونِهِ﴾: من غير الله.

﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ تعدل إليه، أو تميل إليه؛ لتحتمي به، وألحد: مال، وعدل، والالتحاد: الميل؛ أي: لن تجد غير الله سبحانه من تحتمي به، أو يدافع عنك، وينقذك.

بعد ذكر قصة أصحاب الكهف جاءت أوامر الله سبحانه لرسوله ﷺ بتلاوة القرآن، والاستمرار في مصاحبة الفقراء، والجلوس معهم، وعدم الطّمع في إيمان بعض الأغنياء، وأمره بقول الحق من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدّين، وما أُعد للظالمين من جزاء، وما أعد للذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

❖ ❖ ❖

وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ
ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ
أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن
شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ
وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ
ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ
فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضۡرِبۡ
لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا
بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ
تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ
لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾

نصف الحزب ٣٠

سورة الكهف [الآيات ٢٨ - ٣٤]

[٢٨] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾:

أسباب النّزول: كما ورد في أسباب النّزول للواحدي: إنّ بعض أشراف قريش طلبوا من رسول الله ﷺ لولا نحّيت عنا هؤلاء؛ أي: سلمان، وأبا ذر، وفقراء المسلمين جلسنا إليك، وأخذنا عنك؛ فنزلت هذه الآية تحث رسول الله ﷺ على عدم الاستجابة لمطالب هؤلاء، وإن يثبت، ويجالس الفقراء من المسلمين، ويبقى معهم.

﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: أي: يذكرون ربهم، ويحمدونه، ويسبحونه، ويعبدونه صباحاً، ومساءً؛ كناية عن دوام العبادة.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: يبتغون رضا الله وحده مخلصين له.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: لا تتجاوز عيناك، أو تنصرف، وتبتعد عن هؤلاء الفقراء، والمساكين؛ تتركهم، وتتطلع إلى هؤلاء الأغنياء كأنك تريد زينة الحياة الدّنيا.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ﴾: ولا: النّاهية.

﴿تُطِعْ مَنْ﴾: من: للعاقل، والمفرد، والجمع.

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: أي: نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ أي: غفلوا عن ذكر الله، وأعرضوا عن الإيمان به، واتبعوا أهوائهم.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: الهوىٰ: ارجع إلىٰ الآية (٥٦) من سورة الأنعام.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: أمره: طاعته، أو عبادته.

﴿فُرُطًا﴾: مصدر بمعنىٰ: الإفراط، أو التّفريط من أفرط في الأمر: تجاوز الحد، وإفراطاً: إسرافاً، وتجاوزاً عما أمر الله، أو التّفريط: التّقصير، أو فرطاً: سفهاً وضياعاً؛ لأنّه يكفر، ويشرك بالله، ويتبع الباطل، كان أمره؛ أي: أعماله إسرافاً وتجاوزاً حدود الله، أو تقصيراً، أو ضياعاً لا قيمة لها.

[٢٩] ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: وقل لهم يا محمّد ﷺ.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أي: هذا القرآن، أو الوحي الّذي جئتكم به هو الحق من ربكم. الحق الأمر الثّابت الّذي لا يتغير، أو لا يتبدل المنهج الرّباني الموصل إلىٰ الغاية، والّذي يصلح به أمر دنياكم، وآخرتكم.

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾: من: شرطية.

﴿شَآءَ﴾: منكم فليؤمن بالله، وما أنزل إليكم.

﴿فَلْيُؤْمِن﴾: الفاء: جواب الشرط؛ ليؤمن: اللام: للتعليل.

﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: من: ابتدائية.

﴿فَلْيَكْفُرْ﴾: اللام: للتّعليل، وفي الآية تهديد، ووعيد.

نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

﴿إِنَّآ﴾: ضمير فصل يفيد التّعظيم.

﴿أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، وأعددنا، والمسألة منتهية؛ فالنّار مخلوقة فعلاً، ومعدة، وجاهزة.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: للمشركين، والكافرين، والعاصين، واللام: هنا لام الاختصاص، أو الاستحقاق.

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: السُّرادق: كلّ ما أحاط بشيء من حائط، أو دهليز، أو جدران؛ سرادق النّار: أي: ألسنة النّار تحيط بهم من كلّ جانب؛ فلا يفلتون منها.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والافتراض.

﴿يَسْتَغِيثُوا﴾: يطلبوا الغوث؛ لإنقاذهم من العذاب، وشدة العطش.

﴿يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: استعمال كلمة يغاثوا: أسلوب تهكمي، أو استهزاء، والمهل قيل: هو النّحاس المذاب، أو ماء أذيب فيه معادن مختلفة من حديد، ورصاص، ونحاس، أو دردري الزّيت، أو عصارة الزّيت المغلي.

﴿يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾: من شدة حرارته قبل شربه يحرق الوجوه، فما بالك بعد أن يشربه.

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: بئس من أفعال الذّم؛ أي: ساء الشّراب.

﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: تعود على النّار؛ ساءت: من ساء: وهو فعل من أفعال الذّم؛ مثل بئس.

﴿مُرْتَفَقًا﴾: من المرتفق: هو الشّيء الّذي يضع الإنسان عليه مرفقه ليجلس مُستريحاً؛ أي: المتكأ، وإطلاق كلمة مرتفق على النّار على سبيل التّهكم، وهل نار جهنم مكاناً للراحة؛ أي: لا تجد فيها أي مرفق من مرافق الحياة الكريمة.

ارجع إلى الآية (١٦) من نفس السورة

[٣٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول. آمنوا وعملوا الصّالحات.

﴿ءَامَنُواْ﴾: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض، والسنن، والذكر، والطاعات.

﴿إِنَّا﴾: ضمير فصل للتوكيد، والتّعظيم.

﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾: لا: النّافية.

﴿نُضِيعُ أَجْرَ﴾: أي: سنوفيهم أجور أعمالهم الحسنة، ولن يفوتهم أجر أي حسنة.

﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: من: استغراقية تشمل كلّ واحد عمل عملاً حسناً حتّى الكفار؛ فإنّ أجر حسناتهم تعود عليهم في الدّنيا، وليس لهم في الآخرة من

نصيب؛ أمّا الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات: فأجرهم يمتد إلىٰ الآخرة، ولم يقل: إنّـا لا نضيع أجرهم؛ أي: لم يقيد الأجر بهم فقط؛ فالأجر لهم؛ أي: للذين آمنوا، وعملوا الصّالحات، ولغيرهم، وكلّ من أحسن عملاً.

[٣١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسـم إشـارة، واللام: للبعد؛ يشـير إلىٰ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات.

﴿لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: العـدن: الإقامة، أو عدن في مـكان؛ أي: أقام في مكان؛ جنات الإقامة الدّائمة الّتي لا تزول، ولا تنتهي.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: مـن تحتهم، ولم يقل: من تحتها؛ لأنّ السّـياق، والحديث عن المؤمنين الّذين آمنوا، وعملوا الصّالحات، وإذا كان السّـياق عن الجنات، والاهتمام بها يقول سـبحانه من تحتها؛ أي: تنبع من تحتها، وإذا كانت تنبع من مكان آخر تمر تحتها.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: يحلون: يلبسون الحلي فيها في الجنات، والحلي هي الأساور من الذّهب للزينة، والزّخرف، والأساور؛ إما من ذهب، أو فضة، أو لؤلؤ، كما ذكرت الآيات الأخرىٰ.

﴿مِنْ﴾: ابتدائية.

﴿مِن ذَهَبٍ﴾: من اسم جنس (لبيان الجنس).

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: من: لبيان الجنس.

﴿سُندُسٍ﴾: رقيق؛ أي: (الحرير الرّقيق).

﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: هو الحرير الغليظ ذو اللون الأخضر؛ لأنّ اللون الأخضر مُريح للعين.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: الاتكاء: هو الجلوس على الجنب الّذي يُريح الإنسان؛ الاضطجاع قليلاً.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: هي السّرر جمع أريكة، وقيل: الفُرش.

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: نعم: من أفعال المدح، نعم الثّواب؛ أي: الجنة، ولباسها، وشرابها، ونعيمها.

﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: مجلساً ومقراً؛ فالجنة حسنت مرتفقاً، والنّار ساءت مرتفقاً، ويسمى هذا من المقابلة في بديع اللغة. مرتفقاً: ارجع إلى الآية (١٦) من نفس السورة.

الفرق بين كلمة أساور في هذه الآية، وأسورة في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزّخرف:٥٣]. أساور: جمع كثرة، أسورة: جمع قلة.

الفرق بين كلمة يحلون في هذه الآية، وكلمة: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١]. يحلون: الكلام عن المستقبل جاء بالفعل المضارع؛ حلوا: بصيغة الماضي؛ أي: اعتبر الأمر، أو الفعل قد حدث، وانتهى.

[٣٢] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾: واضرب لهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لهؤلاء المشركين الأغنياء الّذين طلبوا منك أن تبعد الّذين يدعون ربهم بالغداة، والعشي؛ أي: الفقراء، والمساكين؛ كي يجلسوا معك، ويستمعوا إليك. اضرب لهم مثلاً رجلين: واضرب لهم هذا المثل؛ لكي ينبههم، ويوقظهم، وربما يثير إحساسهم، ويرتدعوا، وهذا المثل مثل حقيقي، وليس تصوري، ويراد بضرب هذا المثل تبين الغموض، وذلك بتشبيه حال بحال، أو الموازنة والمفاضلة بين هذا الغني الّذي جعلنا له جنتين، ولكنه أشرك بالله، واستكبر، وبين الفقير المؤمن الّذي يدعو صاحبه، وقيل أخوه الغني إلى العودة إلى الإيمان، والتّوحيد، ولم يوضح الحق سبحانه من هم هذين الرّجلين؛ لأنّ هذا غير مهم

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾: الجنة: البستان.

﴿جَعَلْنَا﴾: صيرنا له جنتين من أعناب.

﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: أحطنا كلّ منهما بشجر النّخل، والعنب من الفاكهة.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: الّذي هو مصدر القوت الضّروري إذن هيئ له كلّ ما يحتاجه من الفاكهة والزّرع.

[٣٣] ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾:

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: كلّ من الجنتين أثمرت، وأينعت، وكلمة كلتا: تعني: كلّ جنة أتت أكلها، ولم يقل أتتا أُكُلها: فهو وحد، وجمع بقوله: أتت أكلها.

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾: ولم تظلم: ولم تنقص منه تعود على أكلها؛ أي: ثمرها، وزرعها، وحبها.

﴿شَيْئًا﴾: الشّيء: هو أقل القليل، وشيئاً: نكرة مهما كان نوعه، وكثرته، أو قلته.

وانتبه إلى قوله تعالى: لم تظلم منه شيئاً: وهل تظلم الأرض، أو هل الأرض هي الّتي تعطي، أو تمنع، أم الله الغني الكريم؟ لقوله في آية أخرى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ [يس:٣٥]، والحقيقة: هو الله سبحانه الّذي سخر الأرض، وهو لا يحرم الكافر، أو العاصي أجره إذا قام بعمل خير، وحلال في الدّنيا، وحرث، وبذر، وسقى الأرض؛ فالله سبحانه يعطيه ثواب عمله، ولا يظلمه حقه.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾: وفجرنا من التّفجير: فجر الله سبحانه لكلتا الجنتين نهراً يفيض بالماء الغزير الّذي لا ينقطع.

﴿خِلَالَهُمَا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أي: نهر خاص بهما لا يشارك فيه أحد. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٩٠-٩١)؛ لبيان معنى: فجرنا.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾:

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾: أي: لصاحب الجنتين ثمر: جمع ثمرة؛ أي: أعطاه الله الثّمر الكثير، وتقديم له يدل على الحصر، والقصر؛ أي: له وحده، وقيل في تفسير ثمر: مال، أو ثمر كثير باعه، فأصبح غنياً؛ لأنّه قال لصاحبه: أنا أكثر منك مالاً؛ فالثّمر قد يعني: الثّمر الكثير العادي بأشكاله المختلفة، والمال، والولد.

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾: فقال: الفاء: تدل على التّرتيب، والتّعقيب، والصاحب:

قد تطلق على الأخ، أو الصديق، أو المسافر، أو من يلازمه في كثير من الأوقات، والصاحب: يطلق على الّذي ينتفع منه، ولا تضر صحبته؛ فإذا كانت صحبته فيها مضرة يطلق عليه: القرين كالشيطان؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾: هو: يفيد التّوكيد. الحوار: مناقشة بين طرفين كلّ منهما يبدي رأيه في مسألة الإيمان، والكفر، أو طلب الدّنيا، وطلب الآخرة.

﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: هذا القول يدل على الفخر، والتّكبر، أو الاستعلاء. النّفر: قيل: من (٣-١٠).

﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: إما ولداً، أو عشيرة، أو أعواناً. أعز: أكثر، أو أشد عزة، والنّفر: الّذين ينفرون معه للدفاع، أو القتال، أو الخروج لأمر طارئ.

❖ ❖ ❖

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى
لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠
أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا
زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾
وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ
عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ
فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

سورة الكهف [الآيات ٣٥ - ٤٥]

[٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾: الواو: عاطفة؛ أي: دخل جنته، وهو لا زال يحاور صاحبه، دخل جنته، ولم يقل جنتاه؛ لأنّ الإنسان، وإن كان له جنتان؛ فلا يستطيع أن يدخلهما معاً في نفس الوقت، بل يدخل الواحدة، ثمّ الأخرىٰ.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: معجب بنفسه، ومصاب بالغرور، ومتكبرٌ.

﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ﴾: ما: النّافية. الظّن: حين ترجح كفة الإثبات علىٰ كفة النّفي: وهو ضرب من الاعتقاد الخاطئ في هذه الآية.

﴿أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾: أن: للتوكيد.

﴿تَبِيدَ﴾: هذه الجنة: تهلك، أو ينقطع ثمرها، أو تصاب بطارئ مثل إعصار وغيره.

﴿أَبَدًا﴾: للتوكيد.

[٣٦] ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾:

﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾: كما في الآية السّابقة، وتكرارها: للتوكيد.

﴿ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: يستنكر البعث، وقيام السّاعة القادم لحظة تهدم النظام الكوني الحالي، ويوم القيامة.

﴿وَلَئِن﴾: اللام: للتوكيد؛ إن: شرطية: تفيد الشّك، أو الاحتمال.

﴿رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾: ولم يقل: ولئن رجعت إلىٰ ربي من الرّد، وهو العودة، أو الرّجوع بإكراه، وقسر، أو جبر، وكراهية؛ لأنّه يريد الخلود في الدّنيا؛ لكثرة النّعم الّتي أنعمها الله عليه، أي: ولئن رددت إلىٰ ربي مكرهاً لا خيار لي، ولم يقل: ولئن رجعت؛ لأنّ الرّجوع ليس فيه معنىٰ الكراهية؛ أي: يرجع راغباً، وليس مكرهاً، كما هو الحال في الرّد.

﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾: لأجدن: اللام: للتوكيد، والنّون: لزيادة التّوكيد؛ ليعطيني ربي أفضل من جنتي هاتين، وهذا يدل علىٰ الغرور، وكأنه يعلم الغيب.

﴿مُنقَلَبًا﴾: من الانقلاب: هو الرّجوع إلىٰ حالة غير الحالة الّتي كان فيها؛ فالمنقلب خاتمة الأمر وعاقبته؛ أي: خيراً من جنتك عاقبةً ومصيراً؛ ثلاث كذبات قالها هذا الظّالم، والمغرور بنفسه لأخيه، وهو يحاوره الأولىٰ: ما أظن أن تبيد هذه أبداً، والثّانية: ما أظن السّاعة قائمة، والثّالثة: ولئن رددت إلىٰ ربي لأجدن خيراً منها منقلباً.

ولنقارن هذه الآية (٣٦) من سورة الكهف: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾: مع الآية (٥٠) من سورة فصلت: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾: هنا رُجعت: تعني الرّجوع بإكراه مثل رُددت بضم الرّاء، ولم يقل: رَجعت بفتح الرّاء الّتي تدل علىٰ الرّجوع برغبة وبدون إكراه.

فالفرق بين الرّجوع والرّد:

فالرّجوع: يكون بالانطلاق من مكان ما، ونية الرّجوع إلىٰ نفس المكان، والرّجوع يكون بإكراه، أو بدون إكراه راغباً في الرّجوع.

وأمّا الرّد: يكون العودة بإكراه، وعدم الرّضا، وليس عنده نية العودة، أو

الرّجوع، وكلا الآيتين في سياق الكفر بقيام الساعة واليوم الآخر والكفر بأنعم الله.

[٣٧] ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾:

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٤) من نفس السورة.

﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: الهمزة في أكفرت همزة استفهامية، وإنكار وتعجب، أتنكر الّذي خلقك من تراب؛ أي: يكفي ما تقوله غروراً، وباطلاً، واستعلاء، وكفر بالنّعمة، وإنكار المنعم، والبعث، والسّاعة، والبعث، والساعة. والكافر غير مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وليس بالضرورة مشرك، والكفر أعم من الشرك، وكل مشرك كافر، وليس كل كافر مشرك، وصاحب الجنة مشرك وكافر؛ كافر لأنه كفر بنعمة الله ولم يؤدي شكرها بالإضافة إلىٰ الشرك.

﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾: ارجع إلىٰ سورة الحج، آية (٥)، والروم آية (٢٠)؛ للبيان.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾: ثمّ للترتيب، والتّراخي.

﴿سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾: أي: كيف تنسىٰ خالقك الّذي خلقك من تراب؛ سواك رجلاً تشير إلىٰ التسوية، والتي تعني: الصّفات الخلقية الوراثية الّتي يتميز بها كلّ إنسان عن الآخر.

[٣٨] ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾:

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾: فيها قراءات مختلفة لكنّا، ولكنَّ، ولكنَّه وأصلها: لكن أنا

حذفت الهمزة، وأدغمت النّون في النّون؛ أي: لكن أنا أؤمن بأن الله هو ربي. لكنا: للاستدراك، وكأنه يستدرك مما قاله صاحبه من الكفر، ويستغفر ربه.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل للتوكيد.

﴿ٱللَّهُ رَبِّى﴾: جمع بين الإلوهية، والرّبوبية معاً؛ فهو المعبود الّذي يستحق العبادة: وهو ربنا الّذي خلقنا ورزقنا المال، والولد، وكلّ شيء.

﴿وَلَآ﴾: ولا: النّافية.

﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾: ولا: النافية لكل الأزمنة؛ يريد أن يعلم صاحبه كيف يؤمن، ولا يشرك بربه أحداً، وقوله: ولا أشرك بربي أحداً: هو توكيد لقوله: لكنا هو الله ربي.

[٣٩] ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾:

﴿وَلَوْلَآ إِذْ﴾: للحث، والحض؛ إذ: ظرف زمان للزمن الماضي.

﴿دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: هلا، أو ليتك تقول عندما تدخل جنتك بدلاً من القول ما أظن أن تبيد هذه أبداً.

أي نقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: أو هذا ما شاء الله أن يخلق، أو يفعل؛ فقد روىٰ مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة».

﴿لَا﴾: لا: النّافية.

﴿قُوَّةَ﴾: أي: القدرة علىٰ مزاولة الأفعال الشاقة.

﴿إِلَّا﴾: إلا حصراً بالله.

﴿بِٱللَّهِ﴾: البـاء: للإلصـاق؛ أي: هذا ليـس بقوتي، وحولـي، وإنما هذا ما شـاء الله تعالىٰ هو الّذي أعطاني القوة، ويسـر لي لكي أحصل عليها بفضله وكرمه، وإحسانه (أي: رد النّعمة إلىٰ المنعم والاعتراف بالعجز).

﴿إِن تَرَنِ﴾: إن: شرطية تفيد الشّك، أو الاحتمال.

﴿تَرَنِ﴾: حذفت الياء بدلاً إن ترني؛ لأنّ الرّؤية محدودة، أو مؤقتة بالدّنيا، وليست دائمة؛ لكي يستعمل ياء المتكلم ترني.

﴿أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾: إن تنظر إلي بأني أقل منك مالاً وولداً؛ فهذا في الدّنيا، وهذا شيء مؤقت وزائل.

[٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾:

﴿فَعَسَىٰ﴾: الفاء: للتوكيد؛ عسـىٰ: للرجاء المتوقع الحدوث، والإشفاق من حدوث المكروه لصاحبه.

﴿رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ﴾: أي: أرجـو ربي أن يؤتين من الإيتاء: وهو العطاء. ارجع إلىٰ الآية (٢٥١) من سـورة البقرة؛ لمعرفة الفرق بين الإيتاء، والعطاء، وحذف الياء في يؤتين بدلاً من القول يؤتيني؛ لأنه عطاء يبدأ في الأخرة ولا يبدأ من الآن يبدأ بعد البعث والحساب.

﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾: أي: جنة الخلد أو الفردوس.

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: وتعني: عسىٰ أن يرسل عليها حسباناً من السّماء؛ أي: وأخاف، أو أخشىٰ أن يرسل الله عليها حسباناً من السّماء.

﴿حُسْبَانًا﴾: عذاباً من السّماء؛ مثل: إعصار فيه نار.

﴿فَتُصْبِحَ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة.

﴿صَعِيدًا﴾: أي: هذه الجنة المليئة بالنّخيل، والأعناب؛ تصبح أرض ملساء لا نبات فيها عديمة النّفع.

﴿زَلَقًا﴾: أرض ملساء لا نبات فيها، ولا يثبت عليها قدم؛ أي: تراباً مُبللاً تنزلق عليه الأقدام.

وقول المؤمن لهذا المغرور الضال: عسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً ليس من قبيل الحسد، وإنما من قبيل التذكير والتحذير والرجوع إلى الله، والتوبة قبل أن يحل عليها سخط الله وغضبه.

[٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾:

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾: غائراً في الأرض، والماء الغائر في الأرض يمكن استخراجه بآلات الضّخ، أو الأجهزة الحديثة، ولذلك قال: فلن تستطيع له طلباً.

﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾: لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد؛ أي: لن تستطيع له طلباً؛ أي: لن يمكن الوصول إليه، واستخراجه بأي وسيلة من وسائل الضّخ والآبار.

[٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾:

وما كان يحذر منه الرّجل المؤمن لصاحبه الكافر وقع بالفعل.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: أي: أحاط الدّمار، والهلاك بالثّمر من كلّ جانب ولم

يبــق فيها ثمر صالح. بثمره: الباء: للإلصاق بكل الثمر الّذي هو الغاية من الزّرع، والحرث؛ لتكون الفاجعة الكبرىٰ.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: فأصبــح: الفــاء: للترتيب، والتّعقيب، أصبح الكافر صاحب الجنتين، يقلب كفيه علىٰ ما أنفق فيها كناية عن الحســرة، والنّدم يضرب كفاً علىٰ كف ظهراً لبطن لا يتكلم أسفاً، ومتحسراً، ونادماً علىٰ ما أنفق فيها: من جهد ومال، وزمن.

﴿فِيهَا﴾: ظرفيــة؛ أي: أنفق عليها؛ فيها: تدل علىٰ أنّ الإنفاق مســتمر منذ الزّمن القديم بالإضافة إلىٰ الإنفاق الجديد.

﴿وَهِىَ﴾: وهي: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: العروش: هي الدّعائم الّتي كانت منصوبة للأشجار؛ مثل: دعائم شــجر العنب. خاوية: أي: تساقطت عروشها علىٰ الأرض ولم تعد فائمة.

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾: يــا ليتنــي تســتعمل لتمنــي النّــادر، أو المستحيل، أو الأمور الصّعبة الحدوث، وكأنّه الآن تذكر موعظة صاحبه المؤمن.

[٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾:

﴿وَلَمْ﴾: الواو: استئنافية؛ لم: للنفي.

﴿تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ﴾: فئــة: من فاء رجع؛ أي: لم يكن له من أصحاب، أو جماعة يفيء إليهم لينصرونه، أو يمنعونه من عذاب الله.

﴿لَّهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: ما: النّافية، وما كان قادراً على نصرة نفسه أيضاً.

وإذا قارنا هذه الآية من سورة الكهف مع الآية (٨١) من سورة القصص: ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ (الحديث عن قارون) في آية القصص جاء بكلمة من الاستغراقية، والمنتصرين أكثر عدداً من منتصراً (جماعة مقابل فرد)؛ فالتّأكيد أشد، وأقوى في آية القصص.

حيث في آية الكهف صاحب الجنتين رغم أنّه أحيط بثمرة فقد بقي حياً بينما في سورة القصص قارون قال تعالى عنه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.

[٤٤] ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾:

﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد إشارة إلى الآخرة، أو يوم القيامة.

﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: الملك، والسّلطان، والحكم.

﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾: لله وحده حصراً، الحق: الأمر الثّابت الّذي لا يتغير.

﴿هُوَ﴾: هو: ضمير منفصل يفيد التّوكيد.

﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: جزاءً لأوليائه؛ أي: أفضل ثواباً، وجزاءً من غيره.

﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: خيرٌ عاقبة ومآلاً ومصيراً.

[٤٥] ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾: ارجع إلى الآية (٣٢) من نفس السّورة.

﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: شبه الله سبحانه حال الحياة الدّنيا في قصرها، وسرعة زوالها، وزهرتها، وبهجتها بحال النّبات الّذي ينزل عليه المطر من السّحاب.

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: فيختلط به تعود على ماء المطر حتّى يرتوي، ويخضر، وينمو، ويستغلظ، ويستوي على سوقه، ثمّ يهيج.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: بعد أن يهيج، وينمو يذبل ويصفر، ويصبح يابساً تحطمه الرّياح، وتنثره؛ فيتلاشى، ولا يبقى له أثر، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٢١]، وهذا ما يحدث للإنسان في دورة حياته.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: مقتدراً: اسم فاعل من فعل: اقتدر الخماسي؛ مقتدراً: ذو القدرة العظيمة التّامة الكاملة الّذي لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السّماء.

❖❖❖

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثلاثة أرباع الجزء ٣٠

سورة الكهف [الآيات ٤٦ - ٥٣]

[٤٦] ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: المال والبنون: جمع المال والبنون في حكم واحد وهو زينة الحياة الدنيا، والزّينة: ما يتجمل به الإنسان من الحلي، والذّهب، والفضة، والزّينة: الأمر الزّائد عن ضروريات الحياة، ومقوماتها، ولكنها زينة سريعة الزّوال لا تدوم طويلاً؛ لأنّها متاع الغرور، ومجرد فتنة للناس.

وجاءت هذه الآية في سياق: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾، وقدم المال على البنون؛ لأنّ المال أعم؛ كلّ إنسان لديه المال، وإن قل. أمّا البنون: فليس كلّ إنسان له بنين؛ فقدم الكثير على القليل.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: الباقيات الصّالحات: قيل: هي العبادات (الفرائض)، والذّكر: (تسبيح، وتحميد، وتكبير)، وأعمال الخير، والنّوافل، وسميت الباقيات الصّالحات؛ لأنّها باقية في الآخرة، وغير زائلة بزوال الدّنيا، كما يزول المال والبنون.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: أفضل ثواباً، وجزاءً عند ربك من المال والبنين، فالله سبحانه ثوابه أفضل ثواب.

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: خير طمعاً فيما يطمع النّاس في الحصول عليه من عرض الدّنيا، ومتاعها أملاً في النّجاة من النّار، والفوز بالجنة، ورضوان الله، ورؤية وجهه الكريم، وتكرار خير للتوكيد، ولفصل كلّ منهما على حدة الثّواب، والأمل، وكلاهما معاً.

ولنقارن هذه الآية (٤٦) من سورة الكهف: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، والآية (٧٦) من سورة مريم: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: الاختلاف في خير أملاً، وخير مرداً؛ خير أملاً: انظر إلى ما سبق شرحه، أما خير مرداً: المرد هو المرجع إلى الله تعالى، أو خير مردود؛ أي: تعطي نتاج، أو محصول من الحسنات خير من الأثاث والرِءَيا.

وإذا قارنا هذه الآية (٤٦) من سورة الكهف، مع الآية (١٤) من سورة آل عمران: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾: الآية في آل عمران تتحدث عن حب الشّهوة؛ بينما الآية في سورة الكهف تتحدث عن حب المال، والبنين؛ فالحب شيء، والشّهوة شيء آخر، فالمحبة تختلف عن الشهوة؛ لأن المحبة يمكن التحكم بها بالإرادة، وأما الشهوة فهي توقان النفس لشيء، وليست من قبيل الإرادة، وشهوة النّساء أقوى الشّهوات عند الرّجل الشاب المعافى من شهوة المال، والأولاد، ولذلك قدمها على حب البنين، والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضة، وقدم شهوة الأولاد على شهوة المال (القناطير المقنطرة) بعكس ما ورد في آية الكهف؛ فالسّياق مختلف في كلّ آية.

وإذا قارنا الآية (٤٦) من سورة الكهف: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، والآية (٤٤) من سورة الكهف: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

الآية (٤٦): تتحدث عن الباقيات الصّالحات.

أمّا الآية (٤٤): تتحدث عن الله؛ أي: عن ذاته سبحانه الّذي يثيب على الباقيات الصّالحات، والقائل: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ متيقن من رحمة الله، وثوابه.

وأمّا القائل: ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾: هو متأمل بالوسائل المقدمة لنيل الثّواب والرّحمة، وليس ضامن، وكلاهما مطلوب الأمل واليقين برحمة الله، وثوابه؛ لأن (هو) تفيد التوكيد.

[٤٧] ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾:

﴿وَيَوْمَ﴾: القيامة، ولم يذكر الاسم؛ للتهويل، والتّعظيم.

﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾: هناك عدة أطوار تمر بها الجبال يوم القيامة، وهي التّالية: الزوال عن أماكنها، وكما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تسير بسرعة السحاب. ارجع إلى سورة النّمل، آية (٨٨).

والنسف، والدّك كما قال تعالى: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه:١٠٥].

وتصبح كالرمال ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤].

ثم مرحلة البس، كما قال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة:٥].

ثم تكون كالعهن المنفوش، وتصبح الأرض: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ

فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طـه:١٠٦-١٠٧]. ارجع إلى سـورة التكوير آيـة (٣) لمزيد من البيان.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: الأرض الجديـدة الحاوية على الأرض الحالية بكل ذراتها، ومكوناتها، وأمواتها، والّتي ذكرها الله سبحانه في سورة إبراهيم بقوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

ظاهرة خالية من أي جبل، أو شـجر، أو بناء أرض مسـتوية. أرض جديدة أكبر بكثير من الأرض الحالية؛ قادرة على استيعاب بلايين بلايين البشر.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: من الحشر: هو السّوق، والجمع في أرض المحشر كلّهم: المؤمن، والكافر، والمطيع، والعاصي.

﴿فَلَمْ﴾: فلم: الفاء: للتوكيد؛ لم: للنفي.

﴿نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: لم يتخلف منهم أحداً عن الحشر.

[٤٨] ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾:

﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾: من العـرض: الظهور أمام ربهم صفاً صفاً؛ أي: مصفوفين يوم القيامة للحسـاب، وعرضوا بصيغة الماضي، وهو أمر لم يحدث بعد ومجيئـه بصيغة الماضي يدل علـى قطعية الحـدوث؛ أي: اعتبره حدث، وانتهى، والزّمن بالنّسـبة لله تعالى كلّه سـواء الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ لأنّه مالك الزّمان والمكان وخالقهما.

وعند خروجهم من القبور يكونوا كالجراد المنتشـر: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ

كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٨]، وفي أرض المحشر يكونوا كالفراش المبثوث: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤]، ثم تصفهم الملائكة في صفوف للعرض.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، وزيادة التّوكيد.

﴿جِئْتُمُونَا﴾: مشتقة من المجيء، والمجيء فيه معنى المشقة، والصّعوبة؛ لأنّ البعث، والخروج من القبور أمراً ليس سهلاً لما فيه من الخوف، والرّعب، والأحداث الجسام يوم القيامة.

﴿كَمَا﴾: كما: الكاف للتشبيه؛ ما: حرف مصدري يفيد التّعليل.

﴿خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: كما خرجتم من بطون أمّهاتكم حفاة عراة لا شيء معكم فرداً فرداً؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٥].

﴿بَلْ﴾: بل: للإضراب الانتقالي؛ الخطاب موجه إلى منكري البعث، والحساب.

﴿زَعَمْتُمْ﴾: من الزّعم: وهو القول الغير مستند إلى دليل، أو ادعاء العلم، وأكثر ما يقع في الباطل.

﴿أَلَّن﴾: أن: للتوكيد؛ لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: للقيامة، والحساب موعداً للعرض على ربكم.

[٤٩] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

﴿ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾:

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتاب أعمال العباد في أيديهم في أيمانهم، أو شمائلهم فالمؤمن يأخذه بيده اليمنىٰ، والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره ليقرأ كلٌّ كتابه بنفسه، الكتاب اسم جنس؛ أي: كتاب الأعمال الحسنات، والسّيئات.

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: فترىٰ: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة، ترىٰ المجرمين (ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥)، وسورة الجاثية آية (٣١) للبيان) مشفقين: جمع مشفق اسم فاعل من فعل أشفق، والإشفاق: هو الشعور بالتقصير بحق الله، وخائفين يرتعدون من الخوف مما فيه من الأعمال السّيئة، والمعاصي، وبعد أن يقال لكلّ واحد اقرأ كتابك بنفسك فما أن يرىٰ أعماله يقول كلّ منهم:

﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَنَا﴾: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام:٣١]، أو ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٩٧]، أو الويلة: الهلكة من الويل وهو الهلاك يدعو علىٰ أنفسهم بالهلاك كأنّهم يقولون: يا هلاكنا، يا عذابنا: احضر وأرحنا من هذا البلاء.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: ما: استفهامية للتعجب والدهشة.

﴿هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾: لهذا: اللام: للتوكيد؛ هذا الكتاب: كتاب الأعمال لم يترك عملاً صالحاً، ولا حسنة، ولا عملاً سيئاً؛ أي: ذنباً إلا كتبه، وأحصاه.

﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: لا: النافيـة، صغيرة ولا كبيرة، تكرار (لا) مرة أخرىٰ يفيـد لتوكيد النفي، وفصل كل منهما عن الأخـرىٰ؛ أي: لا صغيرة، ولا كبيـرة، ولا كلاهما. وقولـه: لا صغيرة، ولا كبيرة: نفي فيـه تقديم الأدنىٰ علىٰ الأعلـىٰ، وكان يكفي نفـي الصغيرة؛ فهو يدل علىٰ نفي الكبيـرة، ولو قال: ولا يغادر كبيرة ولا صغيرة؛ فهذا النفي من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ؛ فقد لا يغادر الكبيرة، ولكنه يغادر الصغيرة؛ فهذه الآية تدل علىٰ أن الله سيحاسب العبد علىٰ الصغيرة قبل الكبيـرة، وحتىٰ لا يتواكل العبد علىٰ رحمة الله، والصغيرة: قد تعني صغائر الذنوب، والكبيرة؛ أي: الكبائر.

﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: إلا: أداة حصر. أحصاها: عدَّها وجمعها وكتبها.

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: ووجـدوا ما عملوا في حياتهـم الدّنيا مكتوباً مسـطوراً في كتب أعمالهـم؛ أي: ما عملوا في دنياهم أحضـر لهم في الآخرة؛ ليروه، ويحاسبوا عليه.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: لا: النّافية للجنس؛ تنفي كلّ الأزمان؛ أي: لا ينقص حسنة من ميزان أحد، ولا يزيد سيئة في ميزان أحد.

﴿أَحَدًا﴾: للتوكيد.

[٥٠] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: أي: اذكر إذ قلنا للملائكة.

﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، الآية (٣٤).

﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء؛ يسمى هذا: استثناء منقطع، أو منفصل المستثنى إبليس، والمستثنى منه الملائكة، وهو ليس من جنسهم؛ لأنّه كان من الجن، وكان مع الملائكة حين أمروا بالسّجود، وكان الأمر يشمله.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: ففسق: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ فسق: عصى ربه، وخرج عن طاعته، ولم يسجد.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري، وتعجب، والخطاب موجه لذرية آدم، والهاء: تعود إلى إبليس.

﴿وَذُرِّيَّتَهُۥ﴾: أتباعه، وسماهم ذريته مجازاً. وهم شياطين الجن والإنس.

﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: جمع ولي: وهو المعين والمساعد. ارجع إلى سورة آل عمران آية (٢٨)

﴿مِن دُونِى﴾: من غيري، أو سواي.

﴿وَهُمْ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التّوكيد.

﴿عَدُوٌّۢ﴾: ولم يقل أعداء؛ لأنّ العداوة مقصورة، أو سببها واحد: هو العداوة في الدّين، ولو كانت العداوة لها أسباب مختلفة، أو عداوات متعددة لاستعمل أعداء.

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾: بئس: فعل من أفعال الذّم؛ بئس: لمن استبدل طاعة الله بطاعة الشّيطان وذريته.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق. الظّالمين: المشركين؛ استبدلوا موالاتهم لله تعالىٰ بموالاتهم للشيطان وذريته.

[٥١] ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾:

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾: ما: النّافية.

﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾: أي: إبليس، وذريته، والملائكة، والجن، والإنس.

﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أشهدتهم: أريتهم، أو أطلعتهم كيف خلقت السّموات والأرض، أو شاورتهم، أو استعنت بهم.

﴿وَلَا﴾: النّافية نافية للجنس؛ لنفي كلّ الأزمنة.

﴿خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: كيف خلقتهم أيضاً.

﴿وَمَا﴾: ما: النّافية.

﴿مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾: جمع مضل من فعل أضل والمضلين هم الشّياطين من الجن والإنس. الّذين يضلون غيرهم.

﴿عَضُدًا﴾: شبه المضلين بالعضد، وعَضُداً عُوناً مأخوذة من العضد؛ عُضد الإنسان: وهو من المرفق إلىٰ الكتف، وهو ما يساعد اليد علىٰ العمل، ويعطيها القوة؛ أي: ما استعنت بهم، ولا شاورتهم حين خلقت السّموات والأرض، ولا حين خلقت آدم، وفي هذا بيان لكمال قدرته، وعظمته، وغناه عن الأعوان، والشركاء، وأنه الإله الحق الّذي يجب أن يُعبد.

[٥٢] ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴾: يوم: نكرة للتهويل والتعظيم القيامة يقول الله سبحانه للكفار والمشركين:

﴿نَادُوا شُرَكَآءِيَ ﴾: أي: ادعوا شركائي الّذين زعمتم؛ ادعيتم باطلاً في الدّنيا؛ أنّهم شركائي فأطعتموهم، وعبدتموهم، نادوهم لعونكم ومساعدتكم، وإنقاذكم، أو تخفيف العذاب عنكم، أو نادوهم ليشفعوا لكم؛ مثل عيسىٰ، أو عزير، أو الملائكة، أو الأولياء، أو الأصنام، والآلهة.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾: الفاء: تدل علىٰ المباشرة؛ أي: دعوهم مباشرة ولم ينتظروا؛ أي: نادوا يا عيسىٰ، يا عزير، يا ملائكة، يا فلان، يا اللات، يا عزىٰ، دَعوهم ولم يخافوا، أو يخجلوا من الله؛ لأنهم كانوا موقنين بشركهم.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾: الفاء: للمباشرة، والتّوكيد؛ لم: للنفي، لم يستجيبوا لهم بأي كلمة يسمعوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾: مصدر من وبق بمعنىٰ هلك، أو حاجزاً بين الدّاعين، والشركاء.

وكلّ حاجز بين شيئين يسمىٰ: موبقاً. وقيل: موبقاً: اسم مكان؛ أي: مَهْلِكاً؛ أي: كلّ من حاول أن يتعداه هلك؛ من وبق: أي: هلك، وقيل: موبقاً: وادٍ في جهنم، وقيل: الموبق أمداً بعيداً، أو برزخاً بعيداً.

[٥٣] ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾:

مـــن الرّؤية: أي: وقع بصرهم على النّار؛ أي: هم يرون النّار، والنّار تراهم، كمـــا ورد فـــي قولـــه: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقـان:١٢]؛ كلاهما يرى الآخر، وكأنه يعرفه.

المجرمون: ارجع إلى سورة الأنفال آية (٨) لبيان معنى المجرمون.

﴿فَظَنُّوٓاْ﴾: علموا، أو أيقنوا من الظّن الّذي وصل درجة اليقين.

﴿أَنَّهُم﴾: أنّهم: للتوكيد.

﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: واقعون فيها؛ أي: داخلون فيها.

﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: لم: للنفي؛ لم يجـــدوا عنها مكاناً يخرجون منه، أو يهربـــون منه؛ مثل: الباب، أو النّافذة؛ فهي مطبقة عليهم، وعليها ملائكة غلاظ شداد يحيطون بها. الموبق: موجود، والمصرف مفقود، وكلمة يجدوا، ولم يقل ما وجدوا، لم يجدوا تدل على التّكرار، والتّجدد؛ أي: أنّهم بحثوا مراراً، وتكراراً علـــى المصرف، فلم يجدوا، ولو قال: ما وجدوا تـــدل على مرة واحدة، وانتهى البحث عن المصرف.

❖❖❖

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ
ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟
إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ
ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ
إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ
وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ
ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾
وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم
مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

سورة الكهف [الآيات ٥٤ - ٦١]

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿صَرَّفْنَا﴾: التّصريف بينا الآيات بأساليب مختلفة، وصور شتىٰ لكي يتبين لهم المعنىٰ الحقيقي.

﴿فِي﴾: ظرفية.

﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يفيد القرب.

﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾: لأنّه مقروء، والقراءة تحتاج إلىٰ قرب.

﴿لِلنَّاسِ﴾: اللام: لام الاختصاص. النّاس: مشتقة من النّوس؛ أي: كثرة الحركة.

﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: ولقد بينا في هذا القرآن الأمثال الكثيرة، والكافية؛ لإزالة الغموض، وبيان المجمل والإيضاح، والآيات الدّالة علىٰ إلوهية، وربوبية الإله الحق، واجب الوجود: وهو الله سبحانه.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: نزلت هذه الآية في أشخاص مثل: النضر بن الحارث كانوا يجادلون بشأن القرآن كما قال ابن عباس، أو يجادلون في البعث

كقولهم إذا كنا عظاماً، ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً، كما قاله ابن السائب، أو غيرها من الأسباب.

﴿جَدَلًا﴾: من الجدال؛ أي جدل الإنسان أكثر من جدل كلّ شيء آخر، أو هو أكثر المخلوقات جدلاً؛ أي: فاق في جدله كل من اتصف بالجدل، وقوله تعالى ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يدل على عمق صفة الجدال في نفس الإنسان. والجدال: هو الحوار الّذي يحصل فيه اختلاف في الآراء بين طرفين أو أكثر لدفع شبهة، أو إثبات حق، أو إظهار حجة.

[٥٥] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾: ما: النّافية.

﴿أَن﴾: مصدرية تفيد التّعليل.

﴿يُؤْمِنُوٓاْ﴾: بالله، وبما أنزل.

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي.

﴿جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾: القرآن، أو محمّداً، أو الإسلام، والبينات.

﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾: يستغفروا لذنوبهم، أو يطلبوا من الله المغفرة؛ أي: يستر ذنوبهم، ويمحوها.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَن﴾: مصدرية؛ تفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: تأتيهم: في المستقبل.

﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: لتعريف السنّة. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (١٣٧)، والنّساء، آية (٢٦)؛ للبيان.

﴿سُنَّةُ﴾: الهلاك، والدّمار بعد التّكذيب برسلهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾: عياناً، أو مستقبلاً ديارهم، أو متجهاً نحوهم عندها إذا آمنوا، أو استغفروا فلن ينفعهم ذلك، أو يرفع عنهم العذاب.

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: ما: النّافية.

﴿نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: الأنبياء، والرّسل.

﴿إِلَّا﴾: حصراً.

﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: ليكونوا مبشرين لمن أطاع الله تعالىٰ، وصدق برسله، والبشارة تعني: الخبر السّار، ومنذرين لمن عصىٰ الله تعالىٰ، وكذب برسله، والإنذار هو: الإعلام، والتّحذير، والتّخويف، ولمعرفة معنىٰ البشارة: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)، والنّحل، آية (٨٩)؛ للبيان.

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: الجدال: هو الحوار الّذي يحصل فيه اختلاف في الآراء، والمشوب بالمشادة الكلامية، والمخاصمة؛ لإثبات حق، أو دفع شبهة، أو إظهار حجة.

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: هو ما لا وجود له، ولغةً: هو الزّائل، أو الذّاهب، والباطل في القرآن: يطلق علىٰ الشّرك، والأصنام، والشّيطان، ويطلق علىٰ الكذب، والظلم، والإحباط.

﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾: ليدحضوا: اللام: للتوكيد، والتّعليل؛ يُدحضوا: يزيلوا بـه الحق مأخوذة من الدّحض: الطين الذي يزلق فيه مشـتقة من ادحاض القدم، وهو انزلاق القدم والزلة عن مكانهـا؛ أي: يجادلوا بالباطل كي يبطلوا ما جاء به محمّد ﷺ، أو يأمرهم به القرآن، أو ينهاهم عنـه؛ أي: يجادلوا ليبطلوا الحق أو يزيلوه.

﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾: مـا: مصدرية، أو اسـم موصول بمعنى: الّذي. واتخذوا: جعلوا الإنذار بالعذاب موضع اسـتهزاء، أو استهزءوا بالإنذار، ولم يعبؤوا به. ارجع إلى سورة الزمر آية (٤٨) لبيان معنى الاستهزاء.

لنقارن هذه الآية (٥٦) من سورة الكهف: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾، والآية (١٠٦) من سورة الكهف: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: الآية (٥٦) تتحدث عن الاسـتهزاء بالإنذار نفسه، وأمّا الآية (١٠٦): تتحدث عن الاستهزاء بالرّسل أنفسـهم. ارجع إلى الآية (١٠٦)؛ للبيان، والمقارنة؛ فهم اسـتهزءوا بالإنذار، وبالرسل معاً، أو منهم من استهزأ بالنُذر، ومنهم من استهزأ بالرّسل.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: من: استفهامية، ولم يقل: لا أحد أظلم، بل قال: ومن أظلم: اسـتفهام يحمل معنى الإقرار؛ لكي يجيب المسؤول بنفسه بالقول: لا أحد أظلم على وزن أفعل.

أمّا لو قال: لا أحد أظلم؛ فهذا خبر فقط، ولا يحتاج إلى جواب، والإقرار:

هو سيد الأدلة، ويطلق على هذا أنّ الخبر جاء بصورة استفهام تقريري لإقامة الحُجة على المسؤول.

﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: آيات ربه: آيات القرآن، وتشمل أيضاً الآيات الكونية، والمعجزات... وغيرها.

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فأعرض: الفاء: تدل على المباشرة، والتّرتيب؛ تدل على أنّ التّذكير حدث حين أو بعد الجدال؛ أي: جادلوا بالباطل؛ فَذُكِّروا مباشرة بآيات ربهم؛ فأعرضوا عنها مباشرة، ولم يتعظوا بها، أو يتدبروها، أو يستفيدوا منها، وكان من المفروض من أحدهم أن يتريث زمناً قبل إعراضه مباشرة؛ لعله يتدبر ويتفكر؛ فيتوب، ويؤمن، ولكنه بالعكس نسي ما قدمت يداه.

﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: نسي ما فعله من الذّنوب، والمعاصي، واختار كلمة يداه بدلاً من ذاته، أو نفسه؛ لأنّ كثيراً من الذّنوب تحدث بالأيدي؛ مثل: القتل، والسّرقة، والشّرك، والظّلم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾: أكنة: أغطية، وحجب؛ فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر، وهذا الجعل هُم الّذين كانوا سبباً له؛ حيث أعرضوا، وأصموا آذانهم، وطلبوه لأنفسهم.

﴿أَن﴾: مخففة تفيد التّعليل؛ أي: لئلا يفقهوه، أو يفهموه؛ أي: يفهموا القرآن.

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي: كأنّ في آذانهم، وقراً: ثقل في السّمع، ويختلف عن الصمم؛ فلم يسمعوا جيداً؛ أي: موعظة، أو نصيحة، أو آية.

﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: الإيمان، والقرآن، أو الإسلام.

﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ﴾: فلن: الفاء: للتوكيد؛ لن: للنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿إِذًا﴾: حرف جواب.

﴿أَبَدًا﴾: للتّوكيد.

لنقارن هذه الآية (٥٧) من سورة الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، مع الآية (٢٢) من سورة السّجدة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

نجد الاختلاف في استعمال الفاء في آية الكهف (فأعرض عنها) الّتي تدل على التّرتيب، والمباشرة؛ أي: حصل الإعراض عن الآيات بعد التّذكير بآيات الله مباشرة. بينما استعمل: (ثمّ) في آية السّجدة، ثمّ أعرض عنها الّتي تدل على التّرتيب، والتّراخي في الزّمن؛ أي: حصل الإعراض عن الآيات بعد التّذكير بها بزمن، ولم يحدث مباشرة.

فالإعراض يحصل من الكفار؛ فمنهم من يعرض مباشرة بعد التّذكير، ومنهم من يعرض بعد مرور فترة من الزّمن قد تطول، أو تقصر.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾: الغفور: صيغة مبالغة من الغفر؛ أي: كثير المغفرة للذنوب الكبيرة والصغيرة.

المغفرة: تتضمن ستر الذّنب، وترك العقوبة، وإثابة المغفور له على أعماله الصّالحة.

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: ذو: بمعنى: صاحب وذو اسم من الأسماء الخمسة تضاف للتابع بينما صاحب تضاف للمتبوع، وذو: أشرف، وأفضل في الثّناء من كلمة صاحب. ذو الرّحمة: ذو النّعمة، والرّحمة: تشمل العافية، والرّزق، وتأخير العذاب، ولكونه يغفر الذّنوب إلا الشّرك، يرحم المؤمن، والكافر، والمطيع، والعاصي في الدّنيا، ويرحم عباده المؤمنين في الآخرة. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السّورة.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟﴾: لو: شرطية.

﴿يُؤَاخِذُهُم﴾: يعاقبهم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق؛ باء: السّببية، أو للتعليل؛ ما: اسم موصول بمعنى: الّذي كسبوا، أو مصدرية.

﴿كَسَبُوا۟﴾: من الذّنوب، والسّيئات، والكبائر.

﴿لَعَجَّلَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص لهم خاصة.

﴿ٱلْعَذَابَ﴾: في الدّنيا، ولكنه حليم يمهل، ولا يهمل.

﴿بَل﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾: يعذبهم فيه، والموعد: زمن، أو يعني: يوم للجزاء، والحساب، والعذاب.

﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ﴾: من غير الله، أو سواه. لن: للنفي المستقبل القريب، والبعيد معاً.

﴿مَوْبِلًا﴾: ملجأ يلجؤون إليه، أو منجىٰ مشتقة من آل فلان إلىٰ؛ أي: لجأ.

الفرق بين ملتحداً، الآية (٢٧)، وموئلاً، الآية (٥٨): الملتحد: أي: لن تجد غير الله إلهاً تحتمي به. موئلاً: أي: لن تجد مكاناً تلجأ إليه، أو منجىً، أو محيصاً.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾:

﴿وَتِلْكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، وتشير إلىٰ القرىٰ البعيدة عن مكة. واستعمل اسم الإشارة رغم أن الآيات السابقة لم تشمل أسماء أو ذكر القرىٰ الهالكة؛ لأن العرب كانوا يعرفون ديار عاد وثمود ولوط ومدين وهي مشاهدة أمامهم يستطيعون إنكارها.

﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: قرىٰ عاد، وثمود، وصالح، ولوط... وغيرها، والقرىٰ يعني: أهلها بالإضافة إلىٰ البنيان.

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: دمرناهم، وقضينا عليهم بذنوبهم. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٤).

﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: لما: ظرف زمان بمعنىٰ حين.

﴿ظَلَمُوا۟﴾: بالشّرك، وتكذيب الرّسل، والمعاصي، وعدم الإيمان.

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: موعداً: اسم زمان، واسم مكان؛ أي: جعلنا زمناً، ومكاناً (متىٰ وأين) ننزل بهم العذاب. مهلكهم: من مَهْلَك: وهو مصدر ميمي من فعل هَلَك، ومَهْلِك: بكسر اللام يعني: مكان وزمن محدد لإهلاكهم لا يتأخرون عنه ساعة، ولا يستقدمون.

[٦٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾:

المناسبة: جاءت قصة موسىٰ مع الخضر في سورة الكهف- مع العلم أنّ كفار مكة لم يسألوه عن موسىٰ، أو الخضر- لتبين لكفار مكة، وأهل الكتاب صدق نبوة رسول الله ﷺ، جاءت هذه القصة استجابة للآية: ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾؛ أي: عسىٰ أن يخبرني ربي خبراً، أو بينةً، أو قصةً أقرب، أو أوضح بياناً، وبرهاناً من قصة أصحاب الكهف، وذي القرنين ترشد، أو تهدي أهل مكة الّذين لم يصدقوا بنبوة محمّد ﷺ.

فهم يسألون عن أصحاب الكهف؛ فجاءت قصة موسىٰ والخضر دليلاً آخر وأهم من قصة أصحاب الكهف علىٰ صدق نبوة محمد ﷺ.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾:

أسباب النزول: عن أُبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أن موسىٰ قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عز وجل عليه؛ إذ لم يردَّ العلم إليه فأوحىٰ الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسىٰ: يا رب فكيف لي به فأخبره» رواه البخاري ومسلم.

وإذ: أي: واذكر إذ قال موسىٰ، أو حين قال موسىٰ عليه السلام بن عمران لفتاه قيل: هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف كان يتبع موسىٰ، ويتعلم منه، واختار كلمة فتاه بدلاً من صاحبه؛ لأنّ فتاه تحمل معنىٰ اللطف، والحنان، والاحترام. ارجع إلىٰ الآية (١٠) من نفس السورة لمعرفة معنىٰ الفتية.

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا: النّافية.

﴿أَبْرَحُ﴾: أمضي سائراً إشارة إلى تصميم موسى عليه السلام على أنّه سوف لا يألو جهداً، أو طاقة، أو سعياً سائراً حتّى يلتقي بالعبد الصّالح الّذي أخبره الله سبحانه عنه بأنّه أعلم من موسى، ثمّ أوحى إلى موسى كيف يجتمع بهذا العبد الصّالح، وما حدث في اللقاء وكيف كانت الخاتمة هذا ما ستبينه الآيات (٦٠-٨٢).

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿أَبْلُغَ﴾: حتّى ألحق بهذا العبد الصّالح، وألتقي به عند مجمع البحرين.

﴿مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: مُلتقى البحرين، ولم يُبين هذين البحرين.

﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾: أي: أسير زمناً لا نهاية له.

﴿حُقُبًا﴾: أي: أحقاباً، أو أزمان طويلة، وقيل: الحقب (٨٠ سنة)، أو دهراً طويلاً يخبر موسى فتاه لكي يستعد لهذه الرّحلة الطّويلة.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: وصلا مجمع البحرين أفضل ما قيل عند نقطة التقاء خليج العقبة وخليج السويس.

﴿بَيْنِهِمَا﴾: بين: ظرف مكان؛ أي: مكان اختلاط مائهما، والبين: هو الفراق، والبعد الفاصل.

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: في هذه الآية قال تعالى: نسيا (بالمثنى)، وفي الآية (٦٣) من نفس السورة قال: نسيت (بالمفرد)، الحقيقة كان واجب موسى وفتاه أن يكونا

حذرين ولا يغفلا عن ذلك الأمر المهم؛ لأن موسىٰ كان متعباً ونام أو أخذته سِنة عند الصخرة ولم يشعر بما حدث للحوت، ونسي يوشع أن يخبر موسىٰ عن الحوت (السمك الحوت)، وقد أعده للأكل، وكان فتىٰ موسىٰ يحمله في مكتل (سلة)؛ فخرج الحوت (السّمكة) من السّلة، ودخل كوة محفورة في الأرض متصلة بماء البحر (سرداب)، وكان موسىٰ في ذلك الوقت في غفوة؛ حيث كانا يأخذان استراحة عند الصّخرة، وهما لا يدريان أنّ هذا هو المكان الّذي يبغيانه، وموسىٰ نائم، ويوشع يقظ؛ فرأىٰ يوشع ما حدث للسمكة كيف أعاد الله سبحانه الحياة لها، وخرجت من السّلة (المكتل)، وتوجهت في طريقها إلىٰ البحر سرباً، وبعد أن أفاق موسىٰ نسي يوشع أن يخبره بما حدث للسمكة.

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: فاتخذ: الفاء: للمباشرة، والتّرتيب؛ اتخذ سبيله في البحر سرباً: اتخذ: شق.

﴿سَبِيلَهُۥ﴾: طريقه، والهاء: هاء الضمير تعود علىٰ الحوت (السمكة).

﴿سَرَبًا﴾: السّرب نفق صغير سرداب محفور بالأرض ينتهي في البحر؛ أي: خرج الحوت من السلة ودخل في السرب.

❖ ❖ ❖

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا
هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ
ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ
فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا
قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ
عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ
مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا
تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

سورة الكهف [الآيات ٦٢ - ٧٤]

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ لما: ظرف زمان بمعنىٰ: حين.

﴿جَاوَزَا﴾: ثمّ عاودا السير بعد الاستراحة، وتعدا في سيرهما مجمع البحرين، وهو المكان الّذي يبغيانه.

﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: شعر موسىٰ بالجوع فسأل فتاه أن يخرج الطّعام ليأكلان طعام الغداء الّذي يطلق علىٰ الطّعام المتناول عند الظّهيرة.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: أكد موسىٰ علىٰ معاناته من التّعب بعد هذا السّفر، ولعل الطّعام يخفف من هذا التّعب.

[٦٣] ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾:

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾: قال يوشع لموسىٰ عليه السلام: أرأيت: الهمزة همزة استفهام وتعجب.

﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾: أي: أتذكر.

﴿إِذْ﴾: أي: حين أوينا إلىٰ الصّخرة؛ أي: استرحنا عندها.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾: نسيت أن أخبرك أنّي فقدت الحوت من المكتل، أو هرب الحوت من المكتل. وهل حقيقة نسي أم غفل عما ذكره موسىٰ له أنه يريد أن يبلغ مجمع البحرين وفي ذلك المكان الذي يتخذ الحوت سبيله في البحر سرباً.

﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾: وراح يعتذر لكونه نسي أو غفل أن يخبره بذلك، ونسب ذلك النّسيان إلىٰ نفسه، وهذا نوع من الأدب.

﴿إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾: تفيد الحصر؛ أي: والشّيطان وحده هو السّبب.

﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾: أن: للتوكيد.

﴿أَذْكُرَهُ﴾: أي: أذكر ذلك، وأخبرك به.

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾: وشق طريقه من المكتل بشكل عجيب؛ كيف دبت به الحياة بعد أن أُعد للطعام، وشويَ علىٰ النّار، ودخل في السّرداب عائداً إلىٰ البحر؛ فهذه آية من آيات الله تعالىٰ الدّالة علىٰ عظمة قدرته تعالىٰ.

وما أنسانيهُ إلا الشّيطان استعمل الضّمة، وهي من أثقل الحركات لتناسب هذا الأمر الخارق للعادة؛ لكونها أندر حالات النّسيان في أندر، أو أعجب حالات الإحياء.

وفي القرآن فقط حالتين استعمل حركة الضّمة فيهما هذه الحادثة، والآية (١٠) من سورة الفتح حين قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ والّتي نزلت في بيعة الحديبية الّتي كانت من أثقل البيعات، أو المعاهدات؛ لكون الصّحابة بايعوا رسول الله ﷺ علىٰ الموت؛ فاستعمل أثقل الحركات، وهي الضّمة؛

لتناسب أثقل وأشد العهود، وفخم لفظ الجلالة، وهناك من فسر استعمال حركة الضّم بما يناسب لغة الحجاز حيث يقولون بهُ وإليهُ.

[٦٤] ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾:

﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾: قال موسىٰ عليه السلام لفتاه.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد؛ يشير إلىٰ مكان الصّخرة الّتي أووا إليها؛ ليستريحوا عندها؛ هو المكان المطلوب الّذي نبحث عنه.

﴿مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي نريده.

﴿نَبۡغِ﴾: ولم يقل: نبغي؛ حذف ياء المتكلم؛ لأنّ موسىٰ عليه السلام يبغي اللقاء بالخضر، ولم يبغ مكان الصّخرة بالذّات؛ فهو علامة علىٰ وجود الخضر؛ فبغيته لم تكمل بعد، ولا زال يبحث عن الخضر، ولذلك قال نبغ ولم يقل نبغي، أو لكونه يريد العودة بسرعة إلىٰ المكان الذي فقد الحوت عنده فاختصر الكلام، ولا داعي لذلك لقصر الزمن.

مقارنة بقول إخوة يوسف حين رجعوا إلىٰ أبيهم، ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا؛ أي: هدفهم النّهائي، أو الحقيقي شراء الميرة؛ أي: الطّعام بما عندهم من البضاعة؛ فهم حققوا هدفهم؛ فذكر الفعل كاملاً: نبغي.

بينما موسىٰ هدفه الكامل الوصول إلىٰ الخضر (العبد الصّالح)، ولم يتحقق بعد فاستعمل: نبغ.

﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: رجعا في طريقهما إلى الصّخرة، وكانا يتبعان آثار أقدامهما، كما يفعل من يحاول قص الأثر، والوصول إلى الحقيقة.

[٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: عبداً: في اللغة تعني: إنساناً؛ سواء أكان مملوكاً أم حُراً؛ موسى وفتاه وجدا عبداً من عبادنا: هو العبد الصّالح، وقيل: اسمه الخضر، ولكنه جاء بصيغة التنكير للعبد الصالح فقال عبداً، ولم يقل العبد الصالح، والسؤال لماذا هذا التنكير؟ للدلالة أن هذا العبد الصالح ما هو إلا عبد من عباد الله الكثيرين الذين لهم الزلفى عند ربهم.

وسمي بالخضر؛ لأنّه كان إذا جلس أو صلى اخضر ما حوله، أو قيل في حديث رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي هريرة: أنّه جلس على فروة بيضاء (أي: على الحشيش اليابس) تحول لونها إلى خضراء، والله أعلم.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: الرّحمة: قيل: الوحي، والكرامة، والمنزلة، والصّلاح، وقيل: درجة النبوة.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾: وعلمناه بعضاً من علم الغيب الخاص به.

﴿مِن لَّدُنَّا﴾: لدن: بمعنى: عند، ولكنها أقرب مكاناً، وأبلغ، وأخص من عندنا. انظر كيف استعمل رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً. وانظر إلى الفرق بين من لدنا، ومن عندنا، أو منا.

من لدنا: تستعمل للشيء الخاص الّذي يراد إعطاؤه لشخص مقرب إلى الله تعالى؛ مثل: شيء من علم الغيب.

وأما منا: تستعمل للمؤمن، والكافر، والصّالح، والطّالح.

﴿عِلْمًا﴾: مـــن علم الغيب من لـــدن الله عز وجل أوحـــاه الله تعالىٰ إلىٰ الخِضر.

إذن كلمـــة من لدنا: أقرب، وأخص، وأبلغ من كلمـــة: من عندنا، وعندنا: أقرب من كلمة: منا، وقد وردت كلمة من لدنا في القرآن في سبع عشرة آية؛ كلها جاءت في سياق الرّحمة، واللين، والهبة، والإيتاء، والعطاء الخاص.

[٦٦] ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾:

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾: استفهام يفيد العرض.

﴿أَتَّبِعُكَ﴾: بالتّشـــديد بدلاً من اتْبعك؛ دلالة علىٰ شدة حرص موسىٰ علىٰ المتابعة، أو المبالغة في الاتباع، والاجتهاد، والسؤال هنا: ماذا حدث لفتىٰ موسىٰ يوشع بعد ذلك؟ لم يخبرنا القرآن بشيء عنه.

﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾: أن: حـــرف مصدري يفيد التّوكيـــد؛ أي: ليس له غرض آخر غير طلب العلم؛ فهو لا يريد مال، ولا جاه من هذا الاتباع. علىٰ: تفيد تحديد المطلوب، والإخلاص في العلم.

﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: ممـــا: من: ابتدائيـــة بعضية؛ ما: بمعنـــىٰ: الذي، أو مصدرية؛ أي: أن تعلمني بعضاً مما عندك من العلم.

مما عُلمت رشداً: علماً ذا رشد، أو علماً يؤدي إلىٰ الرّشد مما علمك الله سبحانه، وتعلمن حذف منها الياء، ولم يقل: تعلمني؛ لأنّ ما سيتعلمه موسىٰ من الخضر علم قليل مهما طالت صحبتهما.

﴿رُشْدًا﴾: ولم يقل: رَشَداً. لمعرفة الفرق: رُشداً: مما يهدي إلىٰ الأصلح، والأفضل في الأمور الدّنيوية، والأخروية.

أما رَشَـــداً: مما يهدي إلىٰ الحق، والخير، والصّواب في الأمور الأخروية فقط؛ فالرُشد أعم من الرَشد.

[٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن﴾: قـــال العبد الصّالح لموســىٰ: إنّك: للتوكيـــد؛ لن: لنفي المستقبل القريب، أو البعيد. والســـؤال هنا كيف علم الرجل الصالح (الخضر) أن موسىٰ لن يســـتطيع معه صبراً؟ ربما يكون ما فعله موســـىٰ سابقاً من البطش بالقبطي، وعدم تريثه في القتل.

﴿تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: في هذه الآية ينبه العبد الصّالح موسىٰ عليه السلام إلىٰ طبيعة ما ســـيتعلم منه من علم بواطن الأمور، وموسىٰ ليس عنده علم بها، وكأنّه يخبره بكلّ تأكيد أنّه لن يستطيع أن يصبر علىٰ ما سيراه من صنع العبد الصّالح من أفعال لا يفهم أو يعرف مرادها بالتّســـرع بالسّـــؤال عنها، أو الإنكار. ولم يقل لموسىٰ إنك لن تســـتطيع صبراً، بل قيد صبر موسىٰ فقال معي؛ أي: ما دمت في صحبتي ســـينفد صبرك مهما حاولت، أما دون ذلك موســـىٰ عليه السلام نبي، ومن سمات النبي الصبر؛ أي: تصبر في الأمور الأخرىٰ، ولذلك لم يقيد صبر موسىٰ ولم يقل إنك لن تستطيع صبراً.

[٦٨] ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾:

﴿ وَكَيْفَ ﴾: استفهام يفيد الاستبعاد؛ استبعاد أن يصبر موسىٰ علىٰ ما سيراه من فعل العبد الصّالح.

[٦٩] ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾:

قال موسىٰ: ستجدني: السّين: للاستقبال القريب.

﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾: ولم يقل من الصّابرين، وفي هذه الآية أربعة أمور:

الأمر الأوّل: وعد موسىٰ ﷺ العبد الصّالح بالصّبر، وعلق الصّبر بمشيئة الله؛ فقال: إن شاء الله: إن: شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك في كونه سيصبر.

الأمر الثّاني: قرن الوعد بالرّضا، وعدم العصيان؛ لأنّ الإنسان قد يكون صابراً، وغير راض عما يحدث، أو مُكرهاً علىٰ الصّبر.

الأمر الثّالث: صابراً، ولم يقل من الصّابرين ـ جاء بصيغة المفرد ـ ولم يأت بصيغة الجمع الّتي هي أفضل لبركة الجماعة، وأكثر حظاً في القبول مقارنة بدعاء إسماعيل حين أراد تله للجبين قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصّافات:١٠٢].

الأمر الرّابع: قول موسىٰ ﷺ للعبد الصّالح: ولا أعصي لك أمراً؛ دليلاً علىٰ تواضع موسىٰ ﷺ رغم أنّه كان نبي زمانه ورسولاً إلىٰ بني إسرائيل، ومن أولي العزم.

[٧٠] ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾:

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾: قال العبد الصّالح لموسىٰ: فإن اتبعتني: إن شرطية تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿اتَّبَعْتَنِي﴾: صاحبتني، هناك شرط فلا تسألني عن شيء حتّىٰ أنا أخبرك به.

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تَسْأَلْنِي﴾: عن أي شيء أفعله (شيء: نكرة مهما كان).

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية؛ أي: حتّىٰ أنتهي من فعله.

﴿أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾: حتّىٰ أكون أنا الّذي أُخبرك، وأبين لك الشّيء، وإياك وعدم الصّبر، وقبل موسىٰ شروط العبد الصّالح.

[٧١] ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾:

﴿فَانطَلَقَا﴾: الفاء: تدل علىٰ التّرتيب، والمباشرة؛ انطلقا: سارا معاً موسىٰ عليه السلام، والعبد الصّالح علىٰ ساحل البحر ينتظران السّفينة؛ ليركبا فيها. ولم يعد هناك ذكراً لفتىٰ موسىٰ ويبدو أنه لم ينطلق معهما حيث أنه لم يقل فانطلقوا.

﴿حَتَّىٰ﴾: حتّىٰ: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية استعملت للزمن الماضي وغالباً ما تكون للمستقبل وقد تستخدم للحال والماضي والاستمرار، وجاءت إذا للماضي في الآيات (٧٤، ٧٧، ٨٦، ٩٠، ٩٣، ٩٦).

﴿رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾: الخرق: يكون عرضاً، والشّق يكون طولاً؛ خرقها: اقتلع العبد الصّالح لوحاً، أو لوحين من مقدمتها.

﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: قال موسىٰ للعبد الصّالح: أخرقتها: الهمزة همزة استفهام إنكار وتعجب.

﴿لِتُغْرِقَ﴾: اللام: لام التّعليل.

﴿أَهْلَهَا﴾: أصحابها.

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق.

﴿جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: جئت: أي: قمت بشيء عظيم بالغ الضرر لا يقوم به ذي عقل ليعرض حياة الآخرين للخطر.

﴿إِمْرًا﴾: من أمِر الأمرُ؛ أي: عظم، وكبر؛ أي: أمراً عظيماً بالغ الضّرر.

[٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ﴾: قال العبد الصّالح لموسىٰ: ألم: الهمزة استفهام إنكاري؛ لم: حرف نفي.

﴿إِنَّكَ﴾: للتوكيد. ولم يقل: ألم أقل لك إنك (كما في الآية ٧٥ من نفس السورة)، فما الفائدة من إضافة لك؟ اللام: للاختصاص، وتفيد التلطف والوعظ، وتحثه علىٰ مزيد من الصبر.

﴿لَن﴾: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أي: ألم أحذرك بأنّك لن تستطيع معي صبراً، وكان هذا هو الإنذار الأوّل.

[٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾:

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: قال موسىٰ معتذراً من العبد الصّالح: لا تؤاخذني بما نسيت: الباء: للتعليل بسبب نسياني، والنّسيان يرفع المؤاخذة، والنّسيان هنا قد يكون حقيقة هو نسي العهد بينهما علىٰ عدم السّؤال، وانتظار العبد الصّالح أن يُبين له لماذا فعل ذلك، أو النّسيان عن عمد وقصد، وعدم الالتزام بما عاهد عليه؛ أي: تركه العهد، أو بما نسيت، أو مجرد عذر اعتذر به، وهو لم ينسىٰ، والله أعلم.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا تفيد التّوكيد، وفصل كلا الأمرين عدم المؤاخذة، وعدم الإرهاق.

﴿تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: ترهقني: من أرهقه؛ أي: غشاه؛ أي: لا تحملني من أمر اتباعك عُسراً ومشقة، أو لا تعاملني بالعسر، والتّضييق يكفيني ما أعانيه.

[٧٤] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧١).

﴿لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: أي: قتل العبد الصّالح الغلام، والفاء: تدل علىٰ المباشرة مجرد ما لقيه قتله، ولم يُبين كيف قتله، أو ماذا استعمل لقتله.

﴿غُلَامًا﴾: نكرة غير معروف لقياه في الطّريق، بينما قال في الآية (٧١) ركبا

في السّفينة عرف السّـــفينة؛ لأنّ الخضر كان يعرف أصحاب السّفينة، أمّا الغلام؛ فكان غير معروف للخضر لقياه في الطّريق.

﴿قَالَ أَقَتَلْتَ﴾: قال موســى للعبد الصّالح: أقتلت: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار.

﴿نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: نفســاً طاهرة من الذّنوب لم تبلغ ســن الحلم، أو بريئة لم تفعل ما يوجب قتلها؛ أي: لم يكن قتلها قصاص، أو حق.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾: لقد قمت بجريمة بشعة تنكرها العقول، والأعراف. لقد: اللام للتوكيد، وقد: للتحقيق والتوكيد.

﴿نُّكْرًا﴾: أسوء، وأشد بشاعة، وهولاً أنكر من الأول؛ أي: من إمراً، أو شيئاً تنكره العقول شــيء غريب في ظاهره خطأ يدعو للدهشة والغضب والإنكار في عقول البشر (ميزان البشــر) لجهلهم الحقيقة وما فعله الرجل الصالح (الخضر) هو صحيح وصواب في ميزان الله تعالىٰ.

وهناك من قال: إمراً أشــد هولاً، وعاقبة من نكراً؛ لأنّ خرق السّفينة يؤدي إلىٰ غرق كلّ من عليها؛ أي: الكثير، وأما قتل الغلام؛ فهو واحد فقط.

وهناك فرق بين نُّكْرا ومنكَر: المنكر: هو ينكره الشــرع، ويحرمه الله، وهو باطل وإن رضي الناس به.

أما نُّكرا: ما تنكره العقول، وقد يكون في ميزان الله حق وصواب.

❖❖❖

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن
سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ
تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ
عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

سورة الكهف [الآيات ٧٥ - ٨٣]

[٧٥] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾:

هذه الآية تشبه الآية السّابقة (٧٢)، وإنما أضاف كلمة لك؛ لأنّ الإنكار من قبل العبد الصّالح أشد، أو اشتد لعدم صبر موسىٰ عليه السلام؛ فهو قد نقض العهد مرتين.

[٧٦] ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾:

﴿قَالَ إِن﴾: قال موسىٰ للعبد الصّالح، وهو يعتذر إليه: هذه هي المرة الأخيرة أفعلها.

﴿إِن﴾: شرطية تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: شيء: نكرة. سألتك عن أي شيء مهما كان بعد هذه المرة.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: فلا: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿تُصَاحِبْنِي﴾: في سفرك؛ أي: فارقني، وتخلىٰ عني.

﴿قَدْ﴾: للتوكيد، والتّحقيق.

﴿بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: أي: ليس لي عُذر بعد هذه المرة الثّالثة؛ فقد أعذرتني الكفاية.

﴿لَّدُنِّي﴾: أصلها لَدْني: بفتح اللام، وتسكين الدّال. هذا هو الأصل. لَّدُنِّي: أشد توكيداً؛ لإضافة النّون تشمل كلا الطّرفين القائل والمخاطب، وكأن موسىٰ

يقول للعبد الصّالح: لقد صبرت علي كفاية، وألححت عليك في السّؤال، أو قد وصلت إلىٰ العذر الذي يبيح قطع الصحبة وشبه العذر بمكان يُقصد وهو النهاية.

[٧٧] ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾:

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٧١).

﴿إِذَآ﴾: ظرفية زمانية.

﴿أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾: قدما إلىٰ قرية لم يُبين اسم هذه القرية، والقرية تعني: إحدىٰ ضواحي المدينة، وهي عبارة عن تجمع سكاني، وإذا اتسعت القرية تسمىٰ مدينة. ارجع إلىٰ الآية (٨٢) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾: الألف، والسّين تعني الطّلب؛ أي: طلبا الطّعام من أهل القرية، ويبدو أنّهما كانا جائعين، وعليك أن تتصور هذا المشهد العظيم أقرب عبدين إلىٰ الله تعالىٰ في ذلك الزّمان فقيرين جائعين موسىٰ، والعبد الصّالح يقفان علىٰ كلّ باب يسألان الطّعام دون أن يجدا أحداً يقدم لهما رغيف خبز، أو شربة ماء.

﴿فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾: رفض أهل القرية اللئام:

﴿أَن﴾: للتوكيد.

﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾: مشتقة من كلمة أضاف؛ أي: أنزله ضيفاً؛ أي: لم يمتنعوا فقط عن تقديم الطّعام لهما؛ كذلك رفضوا إيوائهما، ومعاملتهما معاملة حسنة، ولك أن تتصور أليس الله سبحانه بقادر علىٰ أن يجعل أهل القرية يضيفوهما، أو هو سبحانه قادر علىٰ أن ينزل عليهم مائدة من السّماء، ولكن لم يفعل حتّىٰ يُشعرنا بشدة الابتلاء الّذي جرىٰ لهما، وهما من أقرب النّاس إليه سبحانه.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: أي: قارب علىٰ الانهيار، رأىٰ العبد

الصّالــح فيه علامات التّصــدع، والميلان، وقوله تعالىٰ: يريــد أن ينقض؛ كأن للجدار عقلاً، أو شبه الجدار بالإنسان، ولا غرابة في هذا التّشبيه؛ لأنّ الله سبحانه أخبرنا بأنّ كلّ شيء يسبح بحمده، ويعبد الله تعالىٰ، ولكننا لا نفقه صلاتهم، ولا تسبيحهم.

﴿فَأَقَـامَهُۥ﴾: أي: أصلحه، وأعاد بناءه، وكأنّ العبد الصّالح بناءً، أو مهندساً في البناء، وكما سنعلم في الآيات القادمة أقامه بحيث ينقض مرة أخرىٰ بعد عدة سنوات حين يبلغ اليتيمان سن الرّشد؛ فيعثران علىٰ الكنز الّذي تحت الجدار، ولم يقيم الجدار لسنوات طويلة؛ فلا ينقض، وعندها لا يستطيعان استخراج كنزهما، وهذا عمل خارق للعادة؛ حيث بناه بحيث ينقض بعد أن يبلغا سن الرشد.

﴿قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾: قال موسىٰ للعبد الصّالح:

﴿لَوۡ﴾: شرطية.

﴿شِئۡتَ﴾: أردت، أو طلبت أجراً علىٰ إقامته؛ لأنّ أهل القرية لا يستحقون هذا المعروف؛ لكونهم رفضوا إطعامهم، وإيوائهم. قال لاتخذت عليه أجراً، ولم يقل لأخذت عليه أجراً؛ أي: لو حاولت وكلفت نفسك، وأجهدت نفسك بطلب الأجر لحصلت عليه، وموسىٰ عليه السلام لا يعلم الحكمة من إقامة الجدار عندئذٍ.

[٧٨] ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾:

﴿قَالَ﴾: العبد الصّالح:

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشــارة يدل علىٰ القرب، ويشير إلىٰ عدم صبر موســىٰ عند إقامة الجدار، وتكرار عدم الوفاء بعهــده أن يبقىٰ صامتاً حتّىٰ يخبره بما وراء ذلك، وقول موسىٰ سابقاً: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مما دفع العبد الصالح أن يقول لموسىٰ:

﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: حان وقت الفراق، وأن يترك كلٌّ منا الآخر؛ أي: انتهت صحبتنا.

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: أي: سأخبرك الآن بحقيقة هذه الأفعال الّتي لم تستطع عليها صبراً، والسّين: للاستقبال القريب؛ أي: الآن، والنّبأ: يعني: الخبر العظيم.

﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ﴾: التّأويل: هو نقل ظاهر اللفظ أو الفعل إلىٰ دلالة أخرىٰ، أو معنىٰ آخر، وقيل: هو تفسير، أو الحكمة من وراء ما فعلت، ولم تستطع عليه صبراً، أو أخبرك عن حقيقة الأمر، أو ما جرىٰ من أفعال.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي، أو مصدرية.

﴿لَمْ﴾: للنفي.

﴿تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: بينما في الآية (٨٢): ما لم تسطع عليه صبراً.

تستطع: (زيادة التّاء)؛ مقارنة بكلمة: تسطع (حذف التّاء).

زيادة التّاء، أو حذف التّاء؛ ليتناسب مع الحدث، أو المقام؛ لأنّ الحذف من الكلمة قد يكون أحياناً دلالة علىٰ حدث، أو أمر أقل أهمية، أو معنىً مقارنة بعدم الحذف، أو الزّيادة.

والزّيادة في حروف الكلمة كما هي الحال هنا زيادة التّاء يدل علىٰ مقام الشّرح، والتّفصيل، والتّوسع، وحذف التّاء يدل علىٰ أنّ المقام مقام مفارقة، وانتهاء الصّحبة، وضيق الوقت.

[٧٩] ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾: أما: حرف تفصيل، وتوكيد.

﴿السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾: لمساكين: اللام: لام الاختصاص،

والاستحقاق؛ لمساكين: جمع مسكين: وهو من يملك ما لا يكفيه، والفقير: من لا يملك شيئاً.

﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾: أي: مجال عملهم في البحر مثل الصّيد، أو نقل الرّكاب، والبضائع.

﴿فَأَرَدتُّ﴾: المتكلم هو العبد الصّالح.

﴿أَنْ﴾: للتوكيد.

﴿أَعِيبَهَا﴾: ولم يقل أردت عيبها، وإنما أعيبها بخرقها؛ فهو ينسب العيب إلىٰ نفسه، ولم ينسبه إلىٰ الله تأدباً مع الله رغم أنّ ما قام به هو بأمر من الله تعالىٰ؛ لقوله ما فعلته عن أمري، ولم يقل أردت عيبها؛ أي: طلبت من أحد عيبها.

وبين السّبب، أو الحكمة من خرقها، وإحداث العيب فيها؛ لكي لا يستولي عليها الملك غصباً: ظلماً وقهراً إذا كانت صالحة للاستعمال، أو تبدو جيدة؛ فإحداث العيب فيها بخرقها تصبح غير مرغوب في الاستيلاء عليها، وتبقىٰ في ملك هؤلاء المساكين الّذين هم ينتفعون بها، وقيل: أن الماء لم يدخلها، ولم يغرق أهلها.

﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾: أي: أمامهم، وأمامهم قد تعني أمام، أو خلف، أو بعد.

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾: أي: يستولي ظلماً، وعدواناً علىٰ كلّ سفينة صالحة.

[٨٠] ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾:

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾: وأما: حرف تفصيل، وتوكيد.

﴿الْغُلَامُ﴾: الولد الّذي لم يبلغ الحلم، أو سن التّكليف.

﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾: فخشينا: الفاء: للتوكيد؛ خشينا: من الخشية: الخشية خوف ممزوج بالشّعور بالرّهبة، والعلم بمصدر الخوف.

﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يرهق يغشى.

﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: أي: يحملهما على الكفر، والضّلال مما يؤدي في النّهاية إلى هلاكهما لو بقي الغلام حياً؛ فالله سبحانه اطلع العبد الصّالح على سر ذلك الغلام، وما سيحدث بأبويه في المستقبل لو بقي الغلام حياً، الأمر الّذي يؤدي إلى هلاك الأبوين، والابن معاً، ولذلك أمر الله سبحانه العبد الصّالح بقتل الغلام قبل سن البلوغ الأمر الّذي يؤدي إلى نجاته من النّار، وبالتالي نجاة أبويه من النّار؛ فالكلّ ينجو؛ فكل من يموت، أو يقتل قبل سن البلوغ مصيره الجنّة، فقتل الغلام كان الهدف منه إدخاله الجنّة، ولو قتله في ظاهر الأمر كان أمراً مروعاً، وغير مقبولاً بأي عرف من الأعراف.

انظر حين خرق السّفينة نسب الفعل إلى نفسه، وكذلك حين قتل الغلام قال فقتله؛ لأنّ فعل القتل تم على يدي العبد الصّالح، ولما أقام الجدار كذلك قال فأقامه، ولكنه لما ذكر الإرادة؛ فقد نسبها في خرق السّفينة إلى نفسه قال: فأردت أن أعيبها، ولما ذكر قتل الغلام قال: فأردنا أن يبدلهما، ولما ذكر إقامة الجدار قال: فأراد ربك.

وذلك لأنّ إبدال الغلام بخير منه لا يمكن أن يتم إلا بالله؛ لأنّها عملية تتطلب خلق (إبدال)، والعبد الصّالح كان وسيلة فقط في القتل؛ فالقتل يتم على يد العبد الصّالح؛ أي: لم ينسب الشر إلى الله تأدباً مع الله سبحانه ونسبه إلى نفسه، والإبدال بخير منه زكاة وأقرب رحما يتم من الله سبحانه، ولذلك قال فأردنا. أمّا في قوله: فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما: فهذا أمر يختص به الله وحده سبحانه، وهو كلّه خير نسبة إلى الله تعالى، وأمّا في قوله: فأردت أن أعيبها هذا أمرٌ أمرَ به الله العبد الصّالح، ولكن العبد الصّالح قال:

فأردت أن أعيبها؛ لكي لا ينسب العيب إلىٰ الله سبحانه تأدباً مع الله تعالىٰ نسبه إلىٰ نفسه.

[٨١] ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾:

﴿فَأَرَدْنَآ﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب؛ أردنا: نسب الإرادة إلىٰ الله تعالىٰ فهو الآمر والناهي، ونسب الإرادة إليه؛ لأنه قام بالقتل بأمر من الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ الآية السّابقة.

﴿أَن﴾: أن: تفيد التّعليل.

﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾: الإبدال: هو رفع الشّيء، ووضع شيئاً آخر مكانه، وهنا تعني: إبدال الغلام بغلام آخر خيراً منه؛ أي: يرزقهما الله ولداً صالحاً خيراً منه ديناً.

﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾: أي: أطهر، وأصلح، وأتقىٰ.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: أوصل للرحم، وأبر للوالدين بالعطف، والحنان، وعدم دفعهما إلىٰ الطّغيان، والكفر.

[٨٢] ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: الواو: عاطفة؛ أما: للتفصيل، والتّوكيد.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية، أو الاستحقاق.

﴿يَتِيمَيْنِ﴾: واليتيم من فقد أباه قبل سن البلوغ، ويبدو أنّهما توأمين؛ لأنّ السّياق يشير إلىٰ ذلك.

﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: وفي الآية (٧٧) قال قرية حتّىٰ إذا أتيا أهل قرية وفي هذه

الآية في المدينة، القرية إذا اتسعت تسمّى مدينة، ولا تعارض بين الآية (٧٧) والآية (٨٢)؛ فقد يكون الغلامين يعيشان في المدينة، والكنز الّذي لهما في قرية؟ والله أعلم.

﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾: أي: تحت الجدار الّذي يريد أن ينقض كنز لهما؛ أي: مال (كالذهب، والفضة... وغيرها).

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: أي: كرامة لكونه صالحاً (ولم يذكر شيئاً عن صلاح اليتيمين فهما لا يزالان صغيرين).

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾: فأراد: الإرادة هنا تعود على الله سبحانه وحده، والعمل هنا كلّه خير ونسبه إلى الله؛ أي: الخير خالص لله.

﴿يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾: ومعنى الأشد: قيل: هو أن يصبح المرء قادراً على إنجاب مثله، أو سن الرُّشد؛ فالرُّشد: حسن التّصرف في الأمور، أمّا الأشد: القوة الجسمية.

﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: يستخرجا كنزهما بما لديهما من قوة، وفتوة بأنفسهما.

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: حماية لكنزهما، وحِفظ حقهما.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾: وما: النّافية. اعتراف من العبد الصّالح أن كلّ ما فعله من أفعال كان بأمر من الله تعالى، وليس له أي: تدخل، أو رأي.

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: ذلك: اسم إشارة يشير إلى تفسير، وتأويل للخرق، والقتل، وإقامة الجدار؛ الأمور الّتي لم تستطع أن تصبر حتّى أخبرك بها، وكلها من علوم الغيب لا يعلمها إلّا الله وحده.

[٨٣] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾: الواو: هنا تدل على أن كفار مكة سألوا رسول الله عدة أسئلة

وهي عن أصحاب الكهف، والساعة، وذي القرنين، ولو سألوه عن أمر واحد فقط لقال تعالىٰ: يسألونك بدون واو. ارجع إلىٰ الآية (٢١٥) من سورة البقرة؛ للبيان، أو سورة الإسراء، آية (٨٥).

﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: من هو ذي القرنين؟ غير معروف، وحسب أفضل الرّوايات كان ملكاً صالحاً عابداً لله، ولما سئل ابن عباس عن ذي القرنين قال: هو من حمير، وهو الصعب بن مراثد، وسمي ذي القرنين؛ أي: ذي الملك الواسع من المشرق إلىٰ المغرب، فالمشرق قرن والمغرب قرن؛ أي: كناية عن ملكه الواسع؛ أي: المالك للمشرق والمغرب.

﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾: قل لهم يا محمّد: سأتلو: السّين للاستقبال القريب؛ أتلوا: من التّلاوة، وهي القراءة من كتاب الله (القرآن، أو الكتب المنزلة)، التّلاوة لا تكون إلا من الكتب المنزلة، والقراءة تكون من أي صفحة، أو كتاب ولها أجر.

﴿مِّنْهُ﴾: من هنا بعضية؛ أي: بعض أخباره، أو شأنه، وهم لا يسألون عن ذاته كشخص.

وجاء بصيغة المضارع؛ لاستحضار الصّورة الماضية إلىٰ الحاضر؛ فيشاهدوا غرابة ما حدث، وهذا ما نسميه (حكاية الحال).

❖ ❖ ❖

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ
إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن
دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا
لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ
قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾

سورة الكهف [الآيات ٨٤ - ٩٧]

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾:

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: إنا: جاءت بصيغة التّعظيم، وترجع إلى الله سبحانه.

﴿مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: هيأنا له أسباب التّمكين؛ لإقامة، وإظهار دين الله تعالى؛ فهذه هي غاية التّمكين، ومن أسباب التّمكين القدرة، والعلم، والملك، والحكم.

﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: الإيتاء: هو العطاء بدون تملك؛ أي: يمكن استرداد ما أُعطي. ارجع إلى سورة البقرة آية (١١٩).

﴿مِن﴾: من كلّ شيء يصلح به أمره أو يحتاجه، ولا تعني من الاستغراقية، بل تعني: أتيناه الكثير من الأشياء.

﴿كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: ما يحتاج من القوة، والعلم، والجنود، والوسائل، أو كلّ شيء يحتاج إليه للوصول إلى ما يريده من التّمكين (القدرة، والطّاقة، والعلم، والإرادة).

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة تشمل كلّ شيء، والسّبب: أصله الحبل الّذي يستعمل للوصول إلى شيء ما، ويعني: الوسيلة الّتي توصله إلى ما يريده، أو الهدف، أو السّبب يحتاج إليه في حدوث المسبب.

وسمّي الحبل سبباً؛ لأنّه يتوصل به إلى إخراج الماء من البئر، وأما عند أهل الأصول: هو الّذي يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، والسبب في القرآن له معان عدة منها:

١) العلم والقوة والوسيلة التي يحتاج إليها للوصول إلى الغاية كما في الآية (٨٤).

٢) الطريق أو المنزل والمسلك كما في الآية (٨٥).

٣) الأسباب جمع سبب، وتعني: الأبواب؛ أي: أبواب السموات كما في سورة ص آية (١٠).

٤) والسبب قد يعني: الحبل، كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ﴾ [الحج:١٥].

٥) وقد تعني الأسباب: الأرحام والقرابة وصلات الوصال والمودة والروابط التي كانت تجمعهم في الدنيا، كما في قلوه تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦].

[٨٥] ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾:

﴿فَأَتْبَعَ﴾: وقرئت فتبع سبباً؛ الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة؛ أي: اتبع سبباً بعد سبب؛ سلك طريقاً باتجاه الغرب.

وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨٩) والآية (٩٢): ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: ثمّ تفيد التّرتيب، والتّراخي في الزّمن؛ أي: بعد مدة أطول؛ لأنّ بين كلّ حملة، وحملة (حملة إلى المغرب، وحملة إلى المشرق تحتاج إلى زمن طويل)، ولذلك استعمل ثمّ حين توجه إلى مطلع الشّمس، وإلى ذهابه إلى بين السّدين.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: حتّى: حرف يشير على نهاية الغاية.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية.

﴿بَلَغَ﴾: وصل.

﴿مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: سلك طريقاً باتجاه الغرب، وسار إلىٰ أن انتهت به الأرض اليابسة المعمورة من حافة بحر، أو محيط، ورأىٰ الشّمس تغرب: تغيب.

﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي: تغيب عند ساحل البحر، أو المحيط، وقيل: الأطلسي في المغرب، وكان يسمىٰ بحر الظّلمات، وقيل غيره من الأمكنة، وكأنّها تختفي في عين حمئة، أو كأنها تنطفئ عندها، والعين الحمئة: العين الدافئة، والمليئة بالطين؛ طين أسود يشكل ساحل البحر، أو المحيط، وحمئة: مؤنث حمئ، وهذه رؤية بحسب الظّاهر، ولا بحسب الحقيقة العلمية؛ فقد كان هذا مبلغ علمهم آنذاك؛ فالشّمس لا تغيب أبداً، وإنما تستمر في الدّوران علىٰ ناحية الكرة الأرضية المقابلة حيث تغرب علىٰ أرض، أو قوم، وتشرق علىٰ أرض، أو قوم آخرين، ويتعذر تحديد هذا المكان، وليس مهم ذلك.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾: وجد عند ذلك المكان الّذي ظن أنّ الشّمس تغيب فيه.

﴿قَوْمًا﴾: جماعة من النّاس، ويبدو أنّهم كانوا قوماً كافرين.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾: يبدو أنّه فكر، وسأل، أو دعا ربه ماذا أفعل بهم.

﴿قُلْنَا﴾: أي: ألهمناه (بالإلهام) بدعوتهم إلىٰ الإيمان بالله.

﴿إِمَّآ﴾: تفصيل وتخيير.

﴿أَن﴾: للتعليل، والتّوكيد.

﴿تُعَذِّبَ﴾: أي: تدعوهم إلىٰ الإيمان، والإسلام؛ فمن رفض تعذبه بالأسر أو السجن.

﴿وَإِمَّآ أَن نَّتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: وإما: حرف تفصيل، أو تخيير.

﴿حُسْنًا﴾: قيل: بالإحسان إليهم بالعفو.

وفي الآية: إيماء إلى ترجيح اتخاذ الأحسن معهم؛ أي: الحلم بهم، والصبر، وقدم التّعذيب؛ لأنّهم يبدو أنّهم تمادوا في غيهم، وظلمهم، أو لكثرة عدد الظّالمين.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾:

﴿قَالَ﴾: ذو القرنين.

﴿أَمَّا﴾: حرف تفضيل.

﴿مَن﴾: اسم موصول بمعنى: الّذي.

﴿ظَلَمَ﴾: أشرك، أو كفر، وأصر على الشّرك، والكفر، والفساد، ولم يتب.

﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: بالأسر، أو السجن وغيره من أنواع العذاب، واستعمال سوف يفيد الاستقبال البعيد، والتّراخي في الزّمن؛ أي: نعطيه مهلة زمنية؛ لكي يتوب ويؤمن.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتّراخي أيضاً في الزّمن؛ أي: يوم القيامة.

﴿يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: بعد البعث.

﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾: أي: بالنّار. ووصفه بنُكْرا؛ لأنه في عقل الكافر وميزانه عندما يسمع به عذاباً شديداً تنكره العقول، ولكن في الحقيقة هو عدل، وما يستحقه الكافر في ميزان الله.

﴿نُّكْرًا﴾: عذاباً فظيعاً، ونكراً: هو العذاب الّذي ينكره الإنسان؛ أي: يبهته، ولا يظن أنّه سيقع، أو يجهل شدته، ويُنكر حدوثه.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾:

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: وأمّا: حرف تفصيل، وتخيير؛ من: ابتدائية استغراقية.

﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الحسنىٰ قيل: الجنة جزاءً علىٰ إيمانه، وصالح أعماله، والحُسنىٰ: قد تكون في الدّنيا أيضاً، والحسنىٰ: مؤنث الأحسن.

﴿وَسَنَقُولُ﴾: السّين: للاستقبال القريب.

﴿لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾: نعامله باليُسر، والقول الطّيب، ولم يقل: سنجازيه، أو أجزيه؛ لأنّ الجزاء بيد الله سبحانه وحده.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للتراخي في الزّمن.

﴿أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: ثمّ سلك طريقاً آخر باتجاه المشرق حتّىٰ وصل إلىٰ مكان شروق الشّمس، كما ظن أنّه وصل إلىٰ مغرب الشّمس في الآية (٨٤)، والحقيقة: أنّ الشّمس تدور حول الأرض تشرق في مكان، وتغرب في مكان آخر، وليس كما كان يتصور ذو القرنين.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٨٦).

﴿مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي: بقي سائر باتجاه الشّرق حتّىٰ وصل إلىٰ مكان رأىٰ الشّمس تشرق منه؛ فظن ليس وراء هذا المكان شيئاً آخر؛ حيث لا يعلم أنّ الأرض كروية الشّكل، وقيل: كان هذا المكان في قارة أفريقيا (وتحديد هذا المكان متعذر).

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾: السّتر: هو الحاجز، أو المانع.

﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم﴾: من دونها؛ أي: من الشّمس؛ أي: قوم عراة ليس عندهم ما يسترهم من الشّمس مثل البيوت، أو الثّياب.

[٩١] ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾:

﴿كَذَٰلِكَ﴾: تعني: إما كما بلغ مغرب الشّمس بلغ مطلعها على حسب ظنه، أو تعني: كما وجد عند مغرب الشّمس قوماً وجد عند مطلع الشّمس قوماً، وطبق عليهم نفس الدّعوة، والحكم، كما فعل بالقوم السّابقين الّذي وجدهم عند مغرب الشّمس.

﴿وَقَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: علمنا بما لديه من قوة، وأسباب مادية، وجنود، وما لاقاه من المشاق، علمنا بخفاياه، وظواهره (نواياه، وأفعاله) على مر الزّمن.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾:

ثمّ بعد فترة من الزّمن سلك طريقاً آخر متجهاً إلى الشّمال، أو ما بين السّدين.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾:

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾: ارجع إلى الآية (٨٦)؛ أي: وصل إلى الأرض ما بين الجبلين.

﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾: السّد: الجبل، أو الحاجز؛ أي: بين الجبلين فتحة كالوادي بين جبلين، وقيل: الكثير عن موقع بين السدين من كونه السّد بين الجبلين موجود

في جمهورية جورجيا السّوفيتية ما يسمى: فتحة داريال بجبال القوقاز، وهناك من ينكرون ذلك، والمهم ليس المكان بحد ذاته.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾: أي: وجد أمام السّدين.

﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: أي: لا يفهمون لغة ذي القرنين، أو ما يقال لهم، وقوله تعالى: لا يكادون: تعني: لا يفهمون ما يقال لهم إلا بجهد، وبطء، وصعوبة.

[٩٤] ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾:

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾: أي: القوم الّذين كانوا بين السّدين لا يكادون يفقهون قولاً (قالوا) بواسطة مترجم، أو أكثر كانوا مع ذي القرنين.

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: هما قبيلتان من ملة يافث من ذرية نوح عليه السلام كانوا يسكنون خلف السّد، وقيل: يأجوج من التتر، ومأجوج من المغول.

﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالقتل، والتّخريب، والإفساد.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ﴾: هل: استفهام يفيد العرض.

﴿خَرْجًا﴾: أجراً من المال، أو جُعلاً من المال، والخراج: ما لزم أداءه.

﴿عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾: أي: حاجزاً يمنعهم من الوصول إلينا؛ فقد كانوا يخرجون من الفتحة بين السّدين (الجبلين)، وكان مسكنهم وراء هذين السّدين (الجبلين).

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: قال ذو القرنين: ما مكني فيه ربي؛ أي: ما أعطاني ربي من المال، والملك، والعلم، وما أنا فيه من نعمة خير من الخراج الّذي ستجمعونه لي لبناء السّد، أو خير من خراجكم.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: فأعينوني: الفاء: للمباشرة؛ أي: ما أحتاج إليه حقيقة هو القوة البشرية الّتي تساعدني على إقامة السّد (الردم).

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: هم طلبوا منه أن يبني لهم سداً، وهو اقترح أن يبني لهم ردماً؛ لأنّ الرّدم أفضل من السّد، والرّدم: هو سداً له جدارين من الأمام، والخلف، وبينهما طبقات من الحديد، وهو أقوى مقاومة من السّد للهزات الأرضية، وعوامل البيئة حيث تمتص طبقات السّد: الصّدمات الأرضية.

[٩٦] ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾:

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾: أحضروا إلي زبر الحديد: قطع الحديد الضّخمة.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف نهاية الغاية.

﴿إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: إذا: شرطية. الصّدف: الجانب؛ أي: جانبي الجبل ساوى: تساوياً في العلو، أو الارتفاع مع زبر الحديد المطبق بعضها فوق بعض.

﴿قَالَ انفُخُوا﴾: أوقدوا النّار بشدة؛ حتّى تذاب صحائف الحديد، وبعد ذلك قال:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾: حتى إذا أصبحت قطع الحديد حمراء كالنار قال أعطوني أو جيئوني بالقطر. قيل: هو النّحاس المذاب، أو الرّصاص حتى أصبه عليه؛ أي: الحديد المجمر.

[٩٧] ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾:

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ ما: النّافية.

﴿ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾: أي: التّسلق، والصّعود عليه؛ لأنّه أملس ناعم، والعبور إلىٰ الجهة الأخرىٰ.

﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾: ما: النّافية؛ تكرار ما: لزيادة النّفي، وفصل نفي النّقب عن نفي التّسلق عليه، أو كلاهما معاً، وأضاف تاء الافتعال في عملية النّقب؛ أي: كلّ من حاول التّسلق عليه، أو نقبه فشل أمثال قبيلة يأجوج ومأجوج.

﴿لَهُۥ نَقۡبٗا﴾: أي: وما استطاعوا خرقه، أو إحداث نقب فيه من صلابته، وسماكته؛ لكونه مصنوع من زبر الحديد والقطر (النحاس).

وإذا تأملنا هذه الآية: نجده استعمل كلمة اسطاعوا، واستطاعوا: حذف التّاء في الأولىٰ، ثمّ جاء بها في الثّانية، وتعليل حذف التّاء، ثمّ الإتيان بها؛ ليتناسب مع الفعل؛ فهو قد استعمل اسطاعوا بحذف التّاء؛ ليتناسب مع فعل عدم القدرة علىٰ التّسلق، أو الصّعود علىٰ السّد، وهو الفعل الأخف، أو الأقل مشقة من النّقب، وجاء بالتاء في استطاعوا؛ ليتناسب مع الفعل الأقوىٰ، أو الأثقل: وهو النّقب مقارنة بالصّعود عليه.

زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ؛ الصعود علىٰ السّد أهون من النقب؛ فاستعمل الفعل الأقل أحرفاً (اسطاعوا): للصّعود، ومع النّقب استعمل: (استطاعوا): الأكثر أحرفاً؛ لأنّه أصعب، وأشق.

❖❖❖

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي
حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي
أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ
أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ
فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ
جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ
إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

سورة الكهف [الآيات ٩٨ - ١١٠]

[٩٨] ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾:

﴿قَالَ هَٰذَا﴾: قال ذو القرنين لمن طلب منه بناء السّد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة يشير إلىٰ السّد، وتمكنه من بناء السّد.

﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾: أي: أثر من آثار رحمة ربي عليكم أنّه سبحانه منع قوم يأجوج ومأجوج من الخروج من وراء السّد؛ فهو أسند النّعمة إلىٰ المنعم، ولم يسندها إلىٰ نفسه.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ إذا: ظرفية للزمن المستقبل.

﴿جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: وهو يوم القيامة؛ أي: اقترب يوم القيامة، أو زمن خروج يأجوج ومأجوج قبل يوم القيامة؛ كعلامة من علامات السّاعة الكبرىٰ.

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: جعل السّد الّذي بُنيَ بالحديد والقِطر دكاء: أرض مستوية؛ أي: سيتهدم ويتفتت، ويصبح مساوياً الأرض. قيل: دكاء مشتقة من ناقة دكاء، النّاقة الّتي لا سنام لها.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: أي: كلّ ما وعد به ربي حقاً واقعاً ثابتاً لا محالة؛ أي: السّاعة والقيامة، والثّواب والعقاب، والجنة والنّار.

[٩٩] ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾:

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: بعضهم: قد تعود إلىٰ يأجوج ومأجوج، أو تعني: جميع الخلائق.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: قد تعني أولاً: يوم تم بنائه يموج بعضهم في بعض وراء السّد لكثرتهم.

أو تعني ثانياً: يوم يخرجون (يأجوج ومأجوج) من السّد قرب قيام السّاعة، ويجعل الله السد دكاء يموج بعضهم في بعض قبل الساعة (خروج يأجوج ومأجوج من أمارات الساعة الكبرىٰ).

أو تعني ثالثاً: بعضهم يومئذ يموج في بعض؛ أي: جميع الخلائق يومئذٍ تعني: يوم القيامة.

﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: شبههم من كثرتهم وتداخلهم فيما بينهم بأمواج البحر المتلاطمة أو المسابقة.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي: النّفخة الثّانية نفخة البعث.

﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: فجمعناهم: الفاء: للترتيب، والمباشرة، والتّوكيد؛ جمعناهم: أي: الخلائق في مكان واحد، أو علىٰ صعيد واحد: وهي أرض المحشر؛ جمعنا أوّلهم وآخرهم، وإنسهم وجنهم.

﴿جَمْعًا﴾: للتوكيد.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾:

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾: أحضرنا أو أظهرنا لهم جهنم ليروها بأعينهم.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة؛ رؤية حسرة، وندامة، وفزع، ورعب، وخوف.

العرض: يكون للكل من عرض؛ أي: أظهر الشّيء، وأبرزه ليراه المشتري كقوله تعالىٰ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر:٢٣]، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١].

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عَرْضًا﴾: للتوكيد، وبعد العرض والحساب: يتبعه الدّخول، والاستقرار فيها، وليس مجرد عرض ورؤية فقط، وهذا يكون للكافرين.

النّار تعرض عليهم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦].

وهم يعرضون علىٰ النّار؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف:٢٠].

أي: هم يعرضون كالسّلعة الّتي تعرض، وجهنم المشتري، أو جهنم السّلعة: وهم المشترون. وهذا العرض ليزدادوا حسرة ويدعوا ثبوراً ويدعوا بالويل والهلاك.

[١٠١] ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾:

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾: الّذين: اسم موصول يعود علىٰ الكافرين الّذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾: في الدّنيا.

﴿فِى غِطَآءٍ﴾: أي: مصابون بعمىٰ البصيرة، أو في غشاوة لا يبصرون، ولا يرون ما حولهم من الآيات الدّالة علىٰ وجود الإله الحق.

﴿عَن ذِكْرِى﴾: عن القرآن، وعن آياتي، ووصف القرآن بالذّكر، وأضاف إليه ياء المتكلم لتشريفه، وكونه منزل من عنده سبحانه.

﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: كأنّ في آذانهم وقراً، أو صمم؛ لأنّهم كانوا لا يريدون سماع آيات الله تعالىٰ تتلىٰ عليهم، وإذا سمعوها لا ينتفعون بسماعها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت:٢٦].

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾:

﴿أَفَحَسِبَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتوبيخ، وحسب: من الحسبان: وهو التّقدير، والحساب؛ أي: اعتقدوا اعتقاداً خاطئاً، أو باطلاً.

﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي﴾: مثل: الملائكة، أو عيسىٰ بن مريم، أو الأنبياء.

﴿مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾: من غيري أولياء يطلبون منهم العون، والنّصرة، والمحبة.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: هيأنا، واستعمال صيغة التّعظيم تدل علىٰ شدة الإنذار.

﴿جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾: للكافرين: اللام: للاختصاص، والنّزل: ما يُعد لإكرام الضّيف من الطّعام، والشّراب، والإقامة، وهذا من قبيل التّهكم، والسّخرية.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾:

﴿قُلْ هَلْ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ:

﴿هَلْ﴾: استفهام فيها معنىٰ التّعليم، والإرشاد، والجواب جاء في الآية (١٠٤).

﴿نُنَبِّئُكُمْ﴾: من النّبأ: وهو الخبر العظيم؛ أي: نخبركم بخبر عظيم، وهام.

﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾: بالأخسرين: الباء: باء السّببية؛ أي: من هم أخسر النّاس؛ أي: أكثرهم خسارة يوم القيامة، والأخسرين: جمع أخسر؛ اسم تفضيل من خاسر، ويعني: أكثر خسارة لأعمالهم الّتي عملوها (من قول وفعل) في الدّنيا. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (١١٩) لمزيد من البيان.

[١٠٤] ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾:

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ضل يعني: بطل، وذهب هباء؛ حبط سعيهم يعني: حبطت أعمالهم الّتي عملوها، وسعوا إليها في الدّنيا.

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التّوكيد.

﴿يَحْسَبُونَ﴾: يعتقدون أنّهم يحسنون صنعاً: يُجيدون العمل، ويعملون الأعمال الصّالحة، ولا يدرون أنّ أعمالهم ستحبط وتذهب هباء منثوراً؛ لأنّهم أشركوا بالله، وكفروا بآياته، ورسله، واتخذوا من دونه أولياء، وأبطلوا ثواب أعمالهم؛ فأصبحت ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ [النور:٣٩].

[١٠٥] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾:

﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويفيد الذم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: الآيات؛ سواء أكانت القرآنية، أم الكونية، أم المعجزات.

﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾: أي: لم يؤمنوا، ويصدقوا بالبعث، والحساب، والعرض على ربهم. واللقاء؛ يعني: الاجتماع مع الاتصال.

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: بطلت، وذهب ثوابها هباء منثوراً بسبب كفرهم، أو شركهم بالله تعالى يوم القيامة، ولكنهم يثابون عليها في دنياهم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لبيان معنى: الحبط.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد؛ لا: النّاهية.

﴿نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص؛ أي: لا نقيم

لهم أي أهمية، أو قدراً، أو حظاً في الآخرة. روىٰ البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليؤتىٰ بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة».

[١٠٦] ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة يشير إلىٰ إحباط أعمالهم، ولا نقيم لهم يوم القيامة وزناً.

﴿جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾: وهنا نحن أمام احتمالين: الأوّل: جزاؤهم جهنم، والاحتمال الثّاني: حذف واو الحالية، وتقديرها: وجزاؤهم جهنم.

﴿بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾: بما: الباء: باء السّببية؛ أي: بسبب كفرهم؛ ما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي، أو مصدرية، وبسبب استهزاءهم بآيات الله ورسله. ارجع إلىٰ سورة الزمر آية (٤٨) لبيان معنىٰ الاستهزاء.

وفي الآية (٥٦) من سورة الكهف قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾؛ أي: ما أنذروا به من العذاب، والنّار، وإذا قارنا بين الآيتين: الآية (٥٦)، والآية (١٠٢): نجد أنّهم استهزأوا بالآيات في كلا الآيتين، واستهزأوا بالإنذار (بالعذاب أو النّار) في الآية (٥٦)،واستهزأوا بالرّسل (الأنبياء والرّسل) في الآية (١٠٢)؛ فالأكثرية استهزأوا بالآيات، وقسم استهزأ بما أنذروا به، وقسم استهزأ بالرّسل والأنبياء.

[١٠٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾:

﴿إِنَّ﴾: إن: للتوكيد.

﴿ءَامَنُوا۟﴾: بالله، ولم يشركوا بالله شيئاً، وآمنوا بكتبه، ورسله، وملائكته، واليوم الآخر، وعملوا صالحاً.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض والنوافل والعبادات القلبية كالذكر وتدبر القرآن وغيرها من الأعمال الصالحة.

﴿كَانَتۡ لَهُمۡ﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾: وهي أعلىٰ الجنان درجةً، كما قال ﷺ في حديث عن عبادة بن الصامت: «الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله تعالىٰ فاسألوه الفردوس» رواه البخاري وغيره.

﴿نُزُلًا﴾: النُّزل ما يُهيئ للضيف من الطّعام، والشّراب، والإقامة مكرمة له، وكل ما يُعد لإكرام الضّيف.

[١٠٨] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: في جنات الفردوس؛ الخلود: استمرار البقاء إلىٰ ما لا نهاية، ويبدأ من زمن دخولهم إياها.

﴿لَا يَبۡغُونَ﴾: لا: النّافية.

﴿يَبۡغُونَ﴾: لا يطلبون، أو يلتمسون، أو لا يريدون عنها حولاً.

﴿حِوَلٗا﴾: الحِول: اسم مصدر من تحول؛ أي: لا يطلبون تحولاً عنها إلىٰ غيرها لما فيها من النّعيم، والسّعادة.

[١٠٩] ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿لَوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾: لو: شرطية. البحر: اسم جنس يشمل كل بحر أو محيط من البحار والمحيطات.

﴿مِدَادًا﴾: حبراً؛ أي: لو كان ماء البحر حبراً؛ لتكتب به كلمات ربي.

﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾: لنفد: اللام: للتوكيد؛ نفد: فنى، وذهب؛ أي: جف البحر، ولم تنتهي كتابة كلمات ربي، واللام في لنفد: للتوكيد.

﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾: أي: لو جئنا بمثل البحر أبحر أخرى؛ لنفد أيضاً.

﴿مَدَدًا﴾: زيادة، ولم يحددها بعدد. والمدد: كل شيء زاد في شيء.

وفي الآية (٢٧) من سورة لقمان قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

إذن: لا البحر، ولا البحران، ولا سبعة أبحر تكفي لكتابة كلمات ربي.

انتبه: إلى كلمة مِدَاداً في أوّل الآية، وكلمة مَدَداً في نهاية الآية، هل هناك فرق بينهما؟

مِداداً: في أوّل الآية تعني: الحبر.

مَدداً: في نهاية الآية تعني: الزّيادة؛ كلّ شيء زاد في شيء يسمى: مَدداً.

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾:

﴿قُلْ﴾: قل لهم يا رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد، والحصر.

﴿أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾: أنا ليس مَلك من الملائكة، وإنما بشر من جنسكم.

﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: الوحي: هو الإعلام بالخفاء؛ أي: يُوحي إلي ربي عن طريق جبريل عليه السلام. ارجع إلى سورة النّساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنى: يوحى إلي.

﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾: أنما: للحصر، والتّوكيد.

﴿إِلَٰهُكُمۡ﴾: معبودكم.

﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾: واحد: توكيد، واحد: لا يتجزأ لم يلد، ولم يولد، ليس له ولد. ارجع إلىٰ سورة الصافات آية (٤) للبيان المفصل والفرق بين أحد وواحد.

﴿فَمَن كَانَ﴾: فمن: الفاء: للتوكيد؛ من: شرطية استغراقية.

﴿يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠٥) من نفس السورة؛ أي: يرجو: يأمل ثواب ربه؛ أي: جنته، أو يرجو لقاء ربه يوم القيامة، وهو راض عنه.

﴿فَلۡيَعۡمَلۡ﴾: الفاء: للتوكيد، والمباشرة، واللام: للتوكيد، وقيل: لام الأمر، أو التّعليل.

﴿عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾: يعمل أي: عمل صالحاً بإخلاص؛ موافقاً لكتاب الله وسنته.

﴿وَلَا يُشۡرِكۡ﴾: اللام: لام النّاهية.

﴿يُشۡرِكۡ﴾: لا يجعل مع الله شريكاً، أو ولداً، أو ولياً، أو يشرك شركاً ظاهراً، أو خفياً؛ لأن الشرك محبط للعمل الصالح.

﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾: بعبادة: الباء: للإلصاق؛ مهما كان ملك، أو نبي، أو ولي. ولتعريف معنىٰ العبادة: ارجع إلىٰ سورة النّحل، آية (٧٣)، وسورة البقرة، آية (٢١)، وسورة الأنبياء، آية (١٠٦).

﴿أَحَدَۢا﴾: للتوكيد.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ مَرْيَمَ

ترتيبها ١٩ | آياتها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾
إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ
مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (١٩)، وترتيبها في النّزول (٤٤).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كٓهيعٓصٓ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة.

[٢] ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾:

﴿ذِكْرُ﴾: أي: هذا الّذي نذكره لك بعضٌ من رحمة ربك لعبده زكريا.

﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾: بالتّاء المفتوحة، ولم تأتِ بالتّاء المربوطة (رحمة)؛ لأنّها رحمة خاصة بزكريا، بأن وهب له يحيىٰ، وكانت امرأته عاقراً، وقد بلغ من الكبر عتياً. أمّا رحمة: بالتّاء المربوطة: فهي رحمة عامة لكلّ البشر، وهذا من خصائص القرآن.

رحمت ربك: الخطاب موجه إلىٰ الرّسول ﷺ.

﴿عَبْدَهُۥ﴾: هاء: الضّمير تعود إلىٰ الله سبحانه، وهذا تشريف لزكريا بكونه عبداً لله سبحانه.

﴿زَكَرِيَّآ﴾: من ولد سليمان من داوود عليه السلام، وزكريا كان زوجاً لخالة مريم.

[٣] ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرف للزمن الماضي؛ تعني: واذكر إذ نادىٰ ربه.

﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾: النّداء: هو الدّعاء برفع الصوت؛ دعا ربه. وهناك فرق بين النداء والدعاء، والنداء: يكون برفع الصوت، وأما الدعاء: فيكون برفع الصوت أو خفضه.

﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾: نادىٰ ربه رافعاً صوته وبشكل خفي؛ أي: لم يسمعه أحد من الناس.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾:

﴿قَالَ﴾: زكريا.

﴿رَبِّ﴾: حذف ياء النّداء، ولم يقل: يا رب؛ لأنّه يعلم أنّ ربه سبحانه قريب منه، ويسمعه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد قرب معنوي، وياء النّداء تستعمل للبعد والتنبيه، وقال: رب، ولم يقل: يا الله؛ لأنّ ما سيطلبه أو يدعو الله ويتمناه هو عطاء من عطاء الرّبوبية (أن يرزقه الولد)، وأمّا (يا الله) فهي تستعمل في أمور العبادة والطّاعة.

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾: وهن العظم؛ أي: رق وضعف عظمه بسبب كبر سنه، وتقدمه في العمر، وهذا ما نسميه ترقق العظام، أو هشاشة العظم بسبب نقص الكالسيوم، وفيتامين (د)، وغيره من العوامل مثل نقص البروتينات الّتي تصيب النساء خاصة، والشيوخ، والكهول بشكل عام، وقد يكون المعنىٰ: ضعفت حركته، وقلت بسبب عجزه.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾: شبه انتشار الشّيب في رأسه كاشتعال النّار في الحطب، وهذا دليل آخر على كبره، وتقدمه في السّن. واشتعل: أي: انتشر الشيب في رأسه.

﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: لم: حرف نفي؛ لنفي الحال عادة، واستعمل: لم أكن، ولم يقل: ولم أك؛ لأنّه غير متيقن، ولا يعلم أنّ الله سيستجيب لدعائه، أم لا؛ فهو في أمل كبير، ولو قال: لم أك بدعائك؛ تدل على اليقين بالاستجابة لدعائه.

﴿شَقِيًّا﴾: وهذا يدل على أنّ الله سبحانه أكرمه سابقاً واستجاب له دعاءه، ولذلك قال: لم أكن بدعائك شقياً؛ لأنّ له سابقة استجابة، ويقال: شقي فلان: إذا لم ينل مراده، وتعب بالدّعاء، ولم يستجب له، عندها يعتبر نفسه شقياً، والباء: للإلصاق، والاستمرار.

[٥] ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾:

﴿وَإِنِّى﴾: للتوكيد.

﴿خِفْتُ﴾: من الخوف، والخوف: هو توقع الضرر المشكوك في وقوعه؛ الخوف: ناشئ عن كون مواليه غير كفءٍ لحمل رسالته، ووراثة علمه، ونشر الدّين.

﴿ٱلْمَوَٰلِىَ﴾: الأقارب، وعادة تطلق على بني العم، والعصبة.

﴿مِن وَرَآءِى﴾: من بعدي (بعد موته).

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾: أي: كانت في الماضي عاقراً؛ ﴿وَكَانَتِ

﴿ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾: كان هـذا القول عندما دعا زكريا ربه، أمّا قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞ﴾: أي: هي عاقر الآن، كان هذا القول عند البشارة بيحيىٰ، كما ورد في سورة آل عمران، الآية (٤٠)، والواو في وامرتي: واو الحال. إذن: امرأة زكريا كانت، ولا زالت عاقراً؛ أي: لا تلد، وغير صالحة للإنجاب منذ شبابها إلىٰ حين الدّعاء، ومرض العقر غير العقم، وكلاهما يحدث فيهما الإخفاق في الحمل، أو عدم الحمل. إذن قال زكريا: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ عند الدعاء، وامرأتي عاقراً عند البشارة؛ أي: في زمنين مختلفين.

ولكن هناك فرق بينهما.

المرأة العاقر: يعني: كانت قادرة علىٰ الإنجاب، ولكن أصابها الكبر والتّقدم في السّن؛ فأصبحت عاقراً، أو أصابها مرض عضوي أدىٰ إلىٰ العقر، وقد يكون قابلاً للعلاج، وهو أمر نسبي.

أمّا كونها عقيم: فيدل علىٰ كونها لم تكن قادرة علىٰ الإنجاب منذ بلوغها؛ لإصابتها بمرض، أو تشوه خلقي؛ فيستحيل معه القدرة علىٰ الإنجاب، أو العلاج، وهذا ما رأيناه في حالة امرأة إبراهيم عليه السلام الّتي قالت عن نفسها: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ [الذاريات:٢٩].

﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾: فهب: الفاء: للتوكيد؛ هب لي: الهبة عطاء بدون مقابل، وغير مقيد بالأسباب. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِن لَّدُنكَ﴾: ولم يقل: من عندك؛ من لدنك: تستعمل في الشّيء، أو

الأمر الخاص، وليس العام، وهو أن يهب له ولداً وهو في سن الشّيخوخة وامرأته عاقر.

﴿وَلِيًّا﴾: أي: ولداً؛ أي: أن تلد امرأة، وهي بهذه الحالة كمعجزة، ولو قال: من عندك: قد تعني أن يتزوج امرأة أخرىٰ، أو يقدم الأسباب كالعلاج. ارجع إلىٰ سورة الكهف، آية (٦٥)؛ لبيان معنىٰ: من لدنك.

[٦] ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾:

﴿يَرِثُنِي﴾: الميراث هنا يعني: ميراث النّبوة، والعلم، وليس ميراث المال، فالأنبياء لا يورثون، وما يتركونه من مال هو صدقة.

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ﴾: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، و«يرث»: التّكرار للتوكيد؛ يرث من آل يعقوب النّبوة، والعلم، والملك أيضاً.

﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: وارض عنه قولاً وفعلاً، واجعله عبداً صالحاً؛ أي: وفِّقه لإقامة دينك، والعمل لما يرضيك.

[٧] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾:

وفي سورة آل عمران، الآية (٣٩): ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ ويحيىٰ غلام.

إذن ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾: يا: النّداء والتنبيه؛ أي: فنادته الملائكة، ومتىٰ كان النّداء؟ وهو قائم يصلي في المحراب، كما بينته الآية (٣٩) من سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾.

﴿إِنَّا﴾: بصيغة الجمع والتعظيم لله سبحانه.

﴿نُبَشِّرُكَ﴾: والبشـــارة: تكون عادة لأمرٍ سار، ولأوّل مرة وكان بغلام، ولم يقل: ولد؛ لأن الولد قد يكون ذكراً أو أنثىٰ؛ اســـمه يحيىٰ. سماه الله يحيىٰ، ولم يترك لزكريا تسميته.

﴿يَحْيَىٰ﴾: يعنـــي: لا يموت، وقد قتل يحيىٰ وذبـــح علىٰ يد ملك الرّومان، فكيف سمي يحيىٰ، وهو لم يعش طويلاً؟

قالوا: بما أنّ يحيىٰ قتل صار شـــهيداً، والشّـــهيد لا يأتيـــه الموت أبداً، بل بمجرد قتله يدخل الجنة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، تبارك الله ومن أصدق من الله حديثاً.

﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: لم: حرف نفي؛ أي: لم يُسمَّ أحدٌ من قبل بهذا الاسم، كما روي عن ابن عباس، أو لم نجعل له من قبل مثلاً، وشبهاً من حيث لم يعص الله تعالىٰ، ولم يَهُم بمعصية، أو لم تلد امرأة عاقر مثله ولداً. والأرجح هو لم يسم باسمه أحد قبل ذلك.

﴿سَمِيًّا﴾: مشتقة من الاسم، أو التسمية، أو مشتقة من سَميّ؛ أي: الشبيه، أو المثيل.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾: قال رب: ارجـــع إلىٰ الآية (٤) من نفس السورة. قال زكريا: رب أنّىٰ: تحمل معنىٰ الاستفهام؛ أي: كيف، ومن أين، وفيها تعجب؛ فهو يستفهم، ويتعجب من الغلام الّذي تبشره به الملائكة؛ فكيف يكون له غلام!

﴿غُلَٰمٌ﴾: هو من شارف على البلوغ، سواء أبلغ سن البلوغ، أم لم يبلغ، وهو في مرحلة يكون شديد الشهوة، وتقدر بين (١٤ سنة، و١٧ سنة).

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: أي: في الماضي، والحاضر، وهو لا يشك أبداً بقدرة الله تعالىٰ، ولكن يستفهم، ويتعجب.

﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: ويعيد، ويكرر علىٰ كون امرأته عاقراً، وأنّه بلغ من الكبر عتياً، ورغم أنّه قال سابقاً: وهن العظم مني واشتعل الرّأس شيباً، فلماذا يكرر السّؤال مرتين، أو لِمَ يذكر ذلك؟ أليس الله يعلم حاله، وحال امرأته؟

الجواب: نعم، ولكن من شدة فرحته، وكأنّه لا يصدق بشارة الملائكة، أو يحاول التّذكير بحاله، وحالة زوجته، والتّأكد ليطمئن قلبه.

﴿عِتِيًّا﴾: من عتىٰ كَبِر وَوَلىٰ؛ يعني: أصبحت عظامي، ومفاصلي؛ كالعود اليابس، أو التّصلب، أو بلغت مراحل الهرم الّذي لا يقوىٰ علىٰ منعه، أو إيقافه أيُّ دواء، أو وسيلة حتّىٰ ينتهي بالموت.

لنقارن هذه الآية (٨) من سورة مريم مع الآية (٤٠) من سورة آل عمران: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾.

ففي آية آل عمران قال: وقد بلغني الكبر، ولم يُبين درجة الكبر، وفي آية مريم قال: وقد بلغت من الكبر عتياً، بيَّن درجة الكبر، ووصف الكبر بالعتي.

وفي آية آل عمران قال: وامرأتي عاقر؛ يعني: الآن، وفي آية مريم قال: وكانت امرأتي عاقراً؛ أي: منذ شبابها؛ أي: عقرها مرض قديم، ولا زال إلىٰ الآن؛ فكلا الآيتين تعطي معلومة جديدة، وليس تكرار.

[٩] ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾:

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾: كذلك: تفيد التشبيه؛ أي: مثل ذلك؛ أي: كذلك أمرَ ربك وقضىٰ. وفي سورة آل عمران آية (٤٠): ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾، وإذا قارنا قوله تعالىٰ: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ في سياق زكريا ويحيىٰ مع ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ في مريم وعيسىٰ: نجد أن الفعل هو أهون من الخلق؛ أي: أن خلق عيسىٰ أصعب من خلق يحيىٰ؛ لأن خلق يحيىٰ كان من أب وأم، أما عيسىٰ فكان من أم فقط؛ هذا بالنسبة للتقدير البشري، أما بالنسبة لله سبحانه فالكل عليه هين سبحانه؛ لأنه لا يعجزه شيء.

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾: وفي آية أخرىٰ (٢٧) من سورة الرّوم: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، فهناك شيء هين، وشيء أهون من الهين (يقابله شيء شاق، وشيء أشق).

ولنعلم: أنّ الأمر بالنّسبة لله تعالىٰ ليس عنده شيء هين، وشيء أهون، الكلّ سواسية؛ فكلّ الأشياء هينة عنده سبحانه لا يصعب عليه شيء، وإنما يقصد بهذه الألفاظ: تقريب المعنىٰ إلىٰ أذهان البشر؛ لفهم المعنىٰ، ونحن نعلم: إنما أمره إذا أراد شيئاً أنّ يقول له: كن فيكون، أو أقرب من ذلك.

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿شَيْـًٔا ﴾: نكرة لم تكن أيَّ شيء مهما كان صغيراً، أو كبيراً، أو يستحق الذّكر، كقوله تعالىٰ في الآية (٦٧) من سورة مريم: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾، سواء أنطفة في الأصلاب، أم كونه من تراب، وكقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان:١]. وقوله: ﴿لَمْ

﴿يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: أي: كان شيئاً ولم يكن؛ مذكوراً: أي: خلقه من عدم، فقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ أبلغ أو أصعب من خلقتك من شيء لم يكن مذكوراً بالتقدير البشري.

[١٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾:

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ﴾: قال زكريا: رب اجعل لي أنا خاصة؛ اللام: لام الاختصاص؛ آية: علامة علىٰ أنّ امرأتي حامل؛ (لأنّها لا تحيض لكونها عاقراً)، ولا بد من علامة أخرىٰ رغم أنَّ البشارة كانت تكفي، وكأنّه لا يصدق أن تحمل امرأته، أو لا يريد الانتظار طويلاً، ويريد توكيداً آخر؛ ليطمئن قلبه.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا﴾: ألا: مركبة من: أن، ولا؛ أن: مصدرية؛ لا: النّاهية.

﴿تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾: سوياً؛ أي: وأنت تستطيع الكلام مع الآخرين ثلاث ليال وأنت معافىٰ، وسليم الجوارح، وليس بك مرض، أو عيب ولكنك غير قادر علىٰ الكلام تلك المدة من الزّمن (أي: لجم الله لسانه عن الكلام)، وفي الآية (٤١) من سورة آل عمران قال: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ انظر إلىٰ الآية (٤١) من سورة آل عمران؛ للمقارنة، ومعرفة الفرق بين ثلاث ليال، وثلاثة أيام.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: فخرج زكريا في صبيحة الليلة الّتي حملت فيها امرأته من المحراب.

﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: والمحراب: مكان صلاة الإمام، وسمي المحراب؛ لأنّه يحارب فيه الشّيطان، وتحارب به وسوسته أكثر من أي مكان آخر.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أشار إليهم: إلى الحاضرين في المصلى أن سبحوا بكرة: أوّل النّهار، وعشياً آخره، قال لهم بطريقة الإشارة؛ لأنّه لا يتكلم.

سبحوا: كأنّ الأمر (صادر من الله سبحانه) له ولغيره من المصلين بالتّسبيح بكرة وعشياً، أو يسبحوا معه، ولماذا شمل الأمر بالتّسبيح لغير زكريا مع أنّ الأمر خاص به؟ لأنّ يحيى الّذي سيولد سيكون نبياً لهم، ويتعلم التّوراة، ويتعلم الحكم، وهو صبي، ويحمل الرّسالة الّتي سينتفع بها الصّغير، والكبير، أو كلّ القوم.

ولنقارن قوله تعالى في هذه الآية (١١) من سورة مريم: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، وقوله تعالى في الآية (٤١) من سورة آل عمران: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾.

أوّلاً: التّعريف بأل، بالعشي والإبكار في آية آل عمران؛ يفيد العموم؛ أي: على الدّوام التسبيح الدائم.

وفي آل عمران الّذي يدعو هو الله سبحانه يدعو زكريا، وفي آية مريم زكريا الّذي يدعو قومه بالتّسبيح والذّكر فقال: بكرة وعشياً؛ أي: في هذين الوقتين، وليس على الدوام بصيغة التّنكير؛ فناسب التّعريف في حق الله تعالى، وناسب التّنكير في حق زكريا؛ لأنّ هناك فرقاً بين الرّب والعبد. ارجع إلى الآية (٤١) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

ثانياً: في سورة مريم قال تعالى: بكرة وعشياً، قدم (بكرة) على (عشياً)؛ في سورة آل عمران قال تعالى: بالعشي والإبكار، قدم (العشي) على (الإبكار).

البكرة: وقتها من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس (وقت الإبكار)، وعشياً: من وقت صلاة الظّهر إلى صلاة المغرب.

ففي سورة مريم قال تعالى: ثلاث ليال سوياً، ثمّ أتبعها بقوله: بكرة وعشياً؛ لأن يتبع الليل البكرة.

وفي سورة آل عمران قال: ثلاثة أيام إلا رمزاً، ثمّ أتبعها بقوله: بالعشي، والإبكار؛ لأنّه ذكر اليوم يعني: النّهار، ويتبع النّهار العشي، واليوم في القرآن يعني: النّهار؛ أي: فقط (اثنتا عشرة ساعة). ارجع إلى سورة غافر، الآية (٥٥)؛ لمزيد من البيان عن العشي، والإبكار، وبكرة وعشياً. وترتيب ساعات النّهار، قيل: هي الشّروق، والبكور، والغدوة، ثمّ الضحى، ثمّ الهاجرة، ثمّ الظهيرة، ثمّ الرواح، ثمّ العصر، ثمّ الأصيل، ثمّ العشي، ثمّ الغروب.

❖ ❖ ❖

يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾
وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ
وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ
مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا
فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ
مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ
بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ
قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

نصف الحزب ٣١

سورة مريم [الآيات ١٢ - ٢٥]

[١٢] ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾:

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: التّوراة.

﴿بِقُوَّةٖۖ﴾: بجد واهتمام وحرص، وحفظ، وتمسك به بإخلاص، والعمل بالأوامر، والنّواهي.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾: الفقه في الدّين، ومعرفة الأحكام، وفهم التّوراة، والعلم في سن مبكرة. قيل: كان ابن سبع سنين، ولا عجب؛ لأنّ هناك من يحفظ القرآن وهو صبي، وابن سبع سنين؛ لأنّ المسألة عطاء من الله لا تخضع للقوانين البشرية، وكان يحيىٰ عليه السلام، وعيسىٰ عليه السلام ممن أُتوا النّبوة قبل سن الأربعين سنة.

[١٣] ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾:

﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾: بما أنّ الله سبحانه وهب لزكريا يحيىٰ، وكانت امرأته عاقراً، وقد بلغ من الكبر عتياً، فكانت ولادة يحيىٰ معجزة أوّلاً، ثمّ سبحانه سماه يحيىٰ، ولم يجعل له من قبل سمياً، وها هو سبحانه يرعاه، ويحن عليه من لدنه؛ لأنّ طاقة الحنان عند والديه ربما تكون قد نضبت لكونهما قد كبرا، وتقدما في السّن؛ فهي غير كافية، والطّفل بحاجة إلىٰ عطف، وحنان، ولذلك قال سبحانه: سنعوض لك ذلك.

﴿مِن لَّدُنَّا﴾: ولم يقل: منا؛ لأنّ هـذا الحنان خاص به وحده؛ لأنّ كلمة منا تأتي في سياق الحنان العام؛ أي: للكلّ.

﴿وَزَكَوٰةً﴾: طهـارة من الذّنوب (مطهراً من الذّنوب) نتيجة التّربية الإلهية، والزّكاة تعني: البركة (مباركاً)، والزّيادة فـي الخير، والعمل الصّالح، وقيل: في معنىٰ وزكاة؛ أي: أنّ الله تصدق علىٰ زكريا بأن رزقه يحيىٰ؛ فكان كصدقة علىٰ أبويه من الله تعالىٰ.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: كان: تشمل كلّ الأزمنة، ولا تعني الماضي فقط، وبدلاً من القول: وسيكون تقياً، جاء بصيغة الماضي؛ كأنّ الأمر انتهىٰ، وحُسم.

﴿تَقِيًّا﴾: أي: مطيعاً لأوامر الله تعالىٰ، ومتجنباً لنواهيه.

[١٤] ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾:

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾: أي: جعلناه براً بوالديه؛ أي: محسناً لهما رؤوفاً بهما.

﴿وَلَمْ يَكُن﴾: لم: للنفي.

﴿يَكُن﴾: في الحال، والمستقبل.

﴿جَبَّارًا﴾: تحمل عدة معانٍ: قاسـياً متكبراً متعاليـاً، وتعني: الّذي يجبر النّاس علىٰ فعل ما لا يحبون مسـتخدماً وسـيلة الظّلم، والعتو والقهر، أو الذي يتعاظم بالقهر والتسلط والقتل، والجبار أبلغ من المتكبر.

﴿عَصِيًّا﴾: لا يعصي ربه، ولا يعصي والديه، وعصياً أبلغ من عاصي. قيل: لم يعص ربه، ولا مرة عصياً، أو ينوي المعصية.

ولمقارنة هذه الآية (١٤) من سورة مريم: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾، مع الآية (٣٢) من سورة مريم: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

الآية (١٤): ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: هذا كلام الله سبحانه في حق يحيىٰ؛ فالله سبحانه يعلم الغيب، ويعلم من سيكون جباراً، ومن سيكون عصياً؛ فنفىٰ عن يحيىٰ عليه السلام كلا الصفتين.

والآية (٣٢): ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: هذا كلام عيسىٰ عليه السلام في حق ذاته، أو عن نفسه؛ أي: لأنّ الله سبحانه أعطاني حرية الاختيار، فلن أختار أنّ أكون جباراً شقياً.

وكلمة جباراً: ذكرت في كلا الآيتين، وذكر عصياً في الآية (١٤)، وشقياً في الآية (٣٢).

أوّلاً: النّبي، أو الرّسول لا يصح أنّ يكون لا جباراً، ولا عصياً.

وعصياً: من العصيان، والعصيان من عمل العبد.

أمّا شقياً: من الشّقاوة، والشّقاوة: سببها عصيان الله، والله سبحانه لا يجعل أي إنسان لا جباراً، ولا شقياً، ولا عصياً، بل ترك له حرية الاختيار.

[١٥] ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾:

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾: أي: سلامٌ من الله علىٰ يحيىٰ عليه السلام، وسلام جاء بصيغة النّكرة؛ ليشمل كلّ أنواع السّلام:

١ - سلام يعني: التّحية؛ أي: تحية من الله علىٰ يحيىٰ.

٢ - والسّلام يعني: السلامة من كلّ أذىٰ، أو مكروه.

٣ - ويعني: الأمن والطّمأنينة.

﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾: سلام عليه يوم ولد.

﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾: ولم يقل يوم مات، وجاء بصيغة المضارع لحكاية الحال بدل الماضي إلى مضارع؛ ليجعل موته كأنه يحدث أمام أعيننا؛ لأنه مات شهيداً.

﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: أي: يوم البعث والقيامة.

ثلاثة أيّام، أو أزمنة يكون فيها العبد في أمس الحاجة إلى سلام من الله سبحانه الخالق. ولمقارنة هذه الآية: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، مع الآية (٣٣) من سورة مريم: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾. ارجع إلى الآية (٣٣) من السّورة نفسها.

[١٦] ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾: واذكر يا محمّد ﷺ.

﴿فِي الْكِتَابِ﴾: في القرآن الحكيم.

﴿مَرْيَمَ﴾: قصة مريم، وما حدث لها.

﴿إِذِ﴾: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾: النّبذ: هو طرح الشّيء؛ أي: إلقاء الشّيء استهانة به؛ أي: كأنّها ألقت بنفسها بعيداً عن أهلها، وعن النّاس؛ أي: اعتزلت وانفردت بنفسها مكاناً شرقياً.

﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: شرقياً: قيل: شرقي بيت المقدس، وكان هذا الانتباذ

للعبـــادة، والخلوة، وقيل: للطهارة من الحيض؛ حتّىٰ تغتســـل، ثمّ تعود إلىٰ بيت المقدس. والانتباذ الثّاني الّذي سنراه ســـيكون سببه الحمل بعيسىٰ عليه السلام، ولماذا شرقياً؟ ولم يقل: غربياً، ولا شمالاً، ولا جنوباً؛ لأنّ جهة الشّرق شروق الشّمس هي قبلة النّصارىٰ، وهم يتفاءلون، ويعظمون جهة الشّرق.

[١٧] ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾:

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ﴾: فاتخذت: الفاء: للمباشـــرة؛ اتخذت من دونهم؛ أي: أهلها، والنّاس.

﴿حِجَابًا﴾: ســـاتراً يحجبها عن أهلها، وعن النّاس، والحجاب: هو السّاتر الّذي يحجب الإنســـان عن غيـــره، ويحجب غيره عنه، وفي الآية السّـــابقة قال تعالىٰ: ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾؛ أي: ابتعـــدت، وانفردت أوّلاً بعيداً عن أهلها، ثمّ اتخذت أو لجأت إلىٰ مكان يسترها حتّىٰ لا يراها أحد، أو يطلع عليها؛ لأنّها قد تبتعد عن أهلها، وعن النّاس، ثمّ تلجأ إلىٰ مكان مكشوف، أو غير مكين؛ فيمر أحد عليها فيراها؛ فهي حرصت علىٰ الابتعاد (الانتباذ)، واتخاذ الحجاب.

حجاب ســـاتر فقط، أو قد يكون حجاباً مســـتوراً؛ أي: حجاب مركب من طبقتين، أو أكثر.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: روحنا؛ أي: جبريل عليه السلام، ويســـمىٰ: روح القدس، وقوله تعالىٰ: روحنا فيه تشـــريف لجبريل عليه السلام. والقرآن الكريم أيضاً ســـماه الله روحاً كما قال تعالىٰ في ســـورة الشـــورىٰ آية (٥٢): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾: أي: أخذ، أو تشكل بصورة بشر سويّ في صورة الإنسان التام الخلقة، وكلمة «بشر» مشتقة من حسن الهيئة، والبشرة الّتي يختص بها البشر دون غيرهم.

﴿سَوِيًّا﴾: في أكمل صورة، وأتمها، وأحسنها، وليس له أجنحة، ولا مرعب، أو مخيف.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾:

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ﴾: قالت: مريم عليها السلام: إنّي: للتوكيد.

﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾: قالت مريم لجبريل عليه السلام: إنّي أعوذ بالرّحمن منك؛ أي: إنّي ألجأ وأعتصم بالرّحمن، واختارت اسم الرّحمن من الرّحمة الّتي هي السّمة العامة لذاته سبحانه الّتي تمثل باقي صفاته تعالىٰ، ولأن الرّحمة من الرّحمن، وهي في موقف تحتاج فيه إلىٰ الرّحمة؛ فهو القادر علىٰ حمايتها.

﴿مِنكَ﴾: أنّ تؤذيني، أو تقترب مني، أو تسيء إلي.

﴿إِن كُنتَ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تَقِيًّا﴾: لأنّ المؤمن التّقي يخاف الله، ويطيع أوامر الله الّتي تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، ويتجنب نواهيه، وتعني: إن كنت تقياً: لا تقترب مني، والابتعاد هنا رحمة بها؛ لأنّها ضعيفة.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾:

﴿قَالَ﴾: جبريل عليه السلام.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾: أي: أنا رسول ربك، ولم يقل رسول الله؛ لأنّ الموقف يتعلق بالرّعاية، والحراسة، والتّربية، والأخلاق، والرّب: هو المربي، والمتولي بأمور لخلقه، ولأن الأمر لا يتعلق بعبادة، أو ألوهية، وإنما يتعلق بولادة عيسىٰ.

﴿لِأَهَبَ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ أهب: من الهبة: وهي عطاء، وتفضل من ربك، وفيه تملك. ارجع إلىٰ الآية (٥) من نفس السورة.

﴿لَكِ﴾: اللام: لام الاختصاص، لك خاصة، وليس لأحد غيرك.

﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾: غلاماً: يعني: ذكراً وليس أنثىٰ، والغلام: هو الشاب الذي أوشك علىٰ البلوغ؛ زكياً: مطهراً من الذنوب، أو غير عاص، فيه الخير والصلاح، ويجب الانتباه هنا: أنّ جبريل عليه السلام قال: لأهب لك غلاماً؛ فهو الّذي أخبرها بنوع الحمل غلام، ولذلك قالت مريم: أنىٰ يكون لي غلامٌ، (كما قال جبريل)، ولم تقل: ولداً (ذكر، أو أنثىٰ). كما قالت في السابق عندما بشرتها الملائكة بالولد كما ورد في قوله تعالىٰ في سورة آل عمران آية (٤٧): ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾:

﴿قَالَتْ﴾: قالت مريم عليها السّلام لجبريل عليه السلام.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾: أنىٰ: تعني: كيف، ومن أين، وفيها استفهام عن كيفية الحمل، وتعجب.

وفي الآية (٤٧) من سورة آل عمران: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ عندما بشرتها الملائكة لأول مرة قبل الحمل بعيسىٰ عليه السلام، وذلك عندما

قالت لها الملائكة: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥]؛ فهي آنذاك لم تدرِ ما نوع البشارة، ولذلك قالت: ولد (أي: ذكر، أو أنثى).

﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾: لم: للنفي.

﴿يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾: كناية عن النّكاح؛ أي: لم أتزوج؛ أي: تنفي عنها المس: النّكاح الحلال. والمس: هو اللمس الخفيف.

﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾: تكرار لم: يفيد توكيد النّفي؛ تنفي المس بأي وسيلة محرمة مثل: الزّنى، أو الغصب، وهذا يمثل نفي الخاص بعد العام، لم يمسسني بشر: للتوكيد على عدم الزّنى.

﴿بَغِيّٗا﴾: فاجرة تبغي الرّجال؛ أي: زانية، أو يبغيها الرّجال للفجور، ولم يقل باغية، وقالت: بغياً: صيغة مبالغة تعني: ما قامت بالزّنى والفجور أبداً.

وأما باغية: تقوم بأشياء محرمة، ولم تبلغ درجة الزّنى؛ فهي قد نفت عن نفسها كلّ صور التقاء الذّكر بالأنثى.

وقولها: لم أكُ، ولم تقل أكن، أكُ: حذف النّون؛ لتدل على أنّها لم تكن في لحظة من لحظات تفكير بالبغاء، ولو بأيّ صوره، أو أشكاله.

أك: أشد وأبعد نفياً من أكن، وأكن أشد نفياً من أكونن، وحذف النّون قد يكون للإسراع، وإنهاء الكلام مع جبريل؛ فهي لا تعرفه، والموقف موقف حياء، وخلوة، وخوف، والأفضل قصر الكلام.

[٢١] ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾:

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٩) من السّورة نفسها.

﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾: الواو: للتوكيد؛ لنجعله: اللام: للتعليل.

﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾: معجزة خارقة للعادة، وبرهان، ودليل، وبيان علىٰ قدرة الله سبحانه علىٰ الخلق، والإبداع، وإذا أراد الله سبحانه شيئاً؛ فإنما يقول: كن فيكون؛ فكلّ شيء خاضع لإرادته، ومشيئته سبحانه، وقدرته ليست منوطة بالأسباب، وعيسىٰ، ومريم، آية واحدة، وليسا آيتين. وقدم كلمة آية علىٰ كلمة النّاس، ولم يقل لنجعله للناس آية؛ لأنّه كان هو الآية الوحيدة لكونه خلق من أم بدون أب، وللعبرة، والموعظة.

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: رحمة عامة منا لكلّ البشر.

﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: مقضياً: اسم مفعول من: قضىٰ؛ أي: ولادة عيسىٰ عليه السلام بدون أب كان أمراً مقضياً مقدراً مسطوراً لا بد من تحققه، أو نافذاً مفعولاً.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾:

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: الفاء: للترتيب والمباشرة ولم يحدث تأخر؛ فحملته: أصبحت امرأة حامل، وذلك بعد أنّ نفخ جبريل عليه السلام في جيبها، وقوله تعالىٰ: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]، حملت مريم بعيسىٰ.

﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾: فانتبذت: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ انتبذت: ابتعدت، واعتزلت النّاس، ولما أحست بالحمل، وخشيت من قذف النّاس لها، والفضيحة، وهذا هو الانتباذ الثّاني، ذهبت إلى مكان قصيّ بعيد عن النّاس. أقصى: أبعد الأمكنة.

[٢٣] ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾:

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾: فأجاءها: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ أي: أجاها المخاض في وقته بدون تأخير؛ أي: ألجأها، وحملها: أرغمها المخاض، والطّلق إلى اللجوء إلى جذع النّخلة دون إرادتها؛ فكأن هناك قوة خارجية دفعتها للذهاب إلى جذع النّخلة، ولم يقل: وجاءها المخاض؛ أي: هي باختيارها، ورضاها ذهبت إلى جذع النّخلة؛ يقال: جاء فلان؛ أي: جاء باختياره ورضاه، أمّا أجاءه فلان؛ أي: جاء بفلان رغماً عنه، وبدون إرادته ورضاه؛ فأجاءها المخاض؛ أي: جاء بمريم رغماً عنها إلى جذع النّخلة؛ لأنّها تحتاج إلى من يسندها.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: وهنا أل التّعريف تعني: النّخلة المعروفة، أو الوحيدة، وجذع النّخلة: ساق النّخلة؛ حتّى تتمسك بجذع النّخلة حين يحدث الطلق، ويكون مساعداً لها في عملية الولادة، ودفع الجنين حيث لم يحضر ولادتها أحد؛ لكي يساعدها.

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾: قالت مريم آنذاك: يا ليتني: ليت: أداة تمني تستعمل في الأمور المستحيلة الحدوث، أو الصّعبة، أو غير متوقع حدوثها.

﴿مِتُّ﴾: بكسر الميم، وكسر الميم يدل على الموت العادي، وأمّا مُت:

تستعمل للموت بسبب الجهاد، أو القتال في سبيل الله، أو موت غير عادي. ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٥٧-١٥٨) للبيان.

﴿قَبْلَ هَٰذَا﴾: هذا: الهاء: للتنبيه؛ ذا: اسم إشارة تشير إلىٰ المخاض، والولادة. قبل هذا: قبل هذا الزّمن، أو مجيء الولد (أي: الولادة).

﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾: تمنت الموت حياءً من النّاس، وكيف تلد، ولم يمسسها بشر، وهل سيصدق النّاس قولها؟!

﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾: شيئاً لا يُذكر، ولا معروفاً، أو شيئاً لا قيمة له مما يؤدي إلىٰ نسيانه.

﴿مَّنسِيًّا﴾: توكيد للنسي؛ أي: شيئاً لا يخطر ببال أحد، أو لا يذكرني، ولا يعرفني أحد. تدل هذه الكلمات علىٰ الآلام النفسية المسيطرة عليها، ومشاعر الخوف التي تعتريها، وكيف ستقابل قومها قريباً.

[٢٤] ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾:

﴿فَنَادَىٰهَا﴾: قيل جبريل عليه السلام، وقيل: عيسىٰ عليه السلام، وقال مِن، ولم يقل: مَن؛ بكسر الميم، وليس بفتح الميم.

﴿مِن تَحْتِهَا﴾: من تحَتها: أي: بفتح الحاء، أو تحِتها: بكسر الحاء، أما من تحَتها بفتح الحاء؛ أي: عيسىٰ الذي تحتها، أو من تحِتها بكسر الحاء تعني المكان؛ إذن من تحت مريم، أو من تحت النّخلة، أو تحت الرّبوة؛ فإذا كان جبريل المنادي فقد ناداها من تحت الرّبوة، أو المكان الذي فيه النّخلة.

وإذا كان عيسىٰ هو المنادي فقد نادىٰ بعد أن ولدته أمّه، نادىٰ أمّه مِن تَحتها،

وهنـــاك من يرجح هذا القول، وليس مهماً معرفة من نادىٰ، أو القائل، والمهم هو المقولة.

﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾: ألا: أصلهـــا: «أن» و «لا»؛ أن: حرف مصدري يفيد التّعليل والتّوكيد؛ لا: النّاهية، وألا: تفيد الحض، والحث علىٰ عدم الحزن.

﴿تَحْزَنِي﴾: فسرت بعدة تفسيرات:

ألا تحزني لما جرىٰ لك من الولادة من غير زوج.

ألا تحزني: لعدم وجود من يســاعدك، ويســاندك فــي عملية المخاض والولادة.

ألا تحزني: ألا تخافي لانقطاع المكان، والطّعام، والشّراب، والفراش، أو السّرير.

لا تخافي: من أي: سوء، أو ضرر لك، أو لابنك.

ألا تحزني: من أي شيء مهما كان أمره ما دام ربك ﷻ هو المدبر، والولي، والرّقيب، والحفيظ.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿سَرِيًّا﴾: قيل: نهر صغير، أو جدول صغير من الماء العذب.

[٢٥] ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾: بجذع: الباء: للتوكيد؛ أصلها هزي إليك جذع النّخلــة؛ هزي إليك بجذع النّخلة: هذا الهز يحتــاج إلىٰ جهد كبير، والوقت غير

مناســـب، وهي في حالة ولادة، وجذع النّخلة يحتاج إلىٰ قوة، وهي تنزف، وفي ألم شــديد، والهز هنا هو فقط امتثال لأمر الله؛ فقــد يكون في ظاهره الصّعوبة، والمشــقة، ولكن قد يكفي المحاولة الخفيفة، لا كما يتصوره النّاس؛ فلا بد من الأخذ بالأسباب، والتّوكل علىٰ الله سبحانه، ولو كان العبد في مثل تلك الحالة فعليه الأخذ بالأسباب، وإن كان الله ﷻ قادراً علىٰ أن يطعم مريم، وهي في هذه الحالــة الحرجة، والمخاض، والولادة، كما أطعمهــا قبل ذلك حين كان يدخل عليها زكريا ويجد عندها رزقــاً، ويقول: أنىٰ لك هذا؟ وتقول مريم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾: تُســاقط: تعني: تتابع السقوط والاستمرار؛ أي: الرطب من النّخلة عليك؛ فقط الرّطب الّتي اســتوت، والنّاضجــة. أمّا غير النّاضجة لا تسقط، وتُساقط فيها عدة قراءات: تسَّاقط السّين مشددة؛ تُسقط، تُساقط.

﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: الرّطب التّمر، أو البلح الطّازج.

﴿جَنِيًّا﴾: الصّالــح للقطف، والأكل، والجَنيّ ما صلح لأن يُجنىٰ: يقطف ويؤكل.

❖ ❖ ❖

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا
فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى
ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى
نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ
بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

سورة مريم [الآيات ٢٦ - ٣٨]

[٢٦] ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾:

﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي﴾: فكلي: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ كُلي: من الرّطب.

﴿وَٱشْرَبِي﴾: من السّري (النّهر). وتقديم الأكل على الشرب نجده في كل القرآن حيثما اجتمع الأكل والشرب يقدم الأكل.

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾: اطمئني، ولا تحزني. ارجع إلى سورة الفرقان، آية (٧٤)؛ للبيان.

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة. أمّا أصلها: «إن» و «ما»؛ فأدغمت ما في إن؛ إن: الشّرطية، وتفيد الاحتمال، والشّك؛ ما: للتوكيد.

﴿تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾: إذا رأيت أحداً من البشر فسألك عن ابنك، وشأنه. والنون في ترينَّ: للتوكيد.

﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾: أخبريه بالإشارة أنك نذرت للرحمن صوماً عن الكلام؛ أي: صمتاً؛ أي: لا أكلم في شأنه أحداً.

﴿نَذَرْتُ﴾: من النذر. شرعاً: أن يلزم العبد نفسه بشيء لم يلزمه الله عليه من جنس ما شرع الله زيادة على الفريضة، والنذر هنا هو الصوم. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٧٠).

﴿فَلَنْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ لن: لنفي المستقبل القريب، والبعيد.

﴿أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾: لن أتكلم مع أحدٍ من النّاس بشأن عيسىٰ.

﴿إِنسِيًّا﴾: اسم مشتق من الإنس؛ اسم جنس؛ أي: النّاس.

[٢٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾:

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ﴾: فأتت: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أتت به؛ أي: جاءت مريم بعيسىٰ إلىٰ قومها، وبما أنّ المجيء كان بسهولة استعمل: أتت به، عادت به إلىٰ قومها، ويبدو أنّها لم تواجه مشقة، أو صعوبة بعد أنّ اطمئنت إلىٰ ما ستقوله إذا سئلت عن عيسىٰ، ورأت الكثير من آيات ربها، وكان يكفي القول: فأتت به، ولكنه أضاف: تحمله؛ أي: كسائر الأطفال يحتاج إلىٰ من يحمله رغم كونه قادراً علىٰ أن يكلم النّاس، ولكنه ما زال وليداً غير قادر علىٰ المشي؛ فهذه آية من آيات الله سبحانه؛ فهو أحد الأطفال الّذين تكلموا في المهد.

﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ﴾: فلما رآها قومها تحمل ابنها، قالوا: يا مريم بنت عمران.

﴿يا﴾: النّداء: للبعد.

﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: لقد: اللام: تفيد التّوكيد، وقد: للتحقيق.

﴿جِئْتِ﴾: قمت بشيء. فرياً: من افترىٰ. جئت: من جاء، والمجيء فيه مشقة وصعوبة مقارنة بالإتيان (من أتىٰ).

﴿فَرِيًّا﴾: مختلقاً؛ أي: كذباً لا نصدقه؛ عظيماً، أو عجباً. قاله ابن عباس ، أو خارقاً للعادة؛ شيئاً يكذبه العقل؛ حيث ولدت بولد من غير أب، وفرياً: مختلقاً، مشتق من: افترىٰ الكذب؛ أي: اختلقه، أو اصطنعه.

[٢٨] ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾:

لما رأىٰ قومها الولد أنكروا ذلك وقالوا:

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾: مخاطبتها بأخت هارون فيه توبيخ لها وتعريض؛ الأخت: إما أنّ تكون أختاً حقيقية، أو أختاً في المشابهة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف:٤٨].

أخت حقيقية. قيل: كان لمريم أخ حقيقي اسمه هارون من أمّها، وأبيها، وكان من أفضل، وأشراف بني إسرائيل؛ فيكون المعنىٰ كيف يكون لأخت رجل مثله أن تفعل فعلتك هذه.

أو: أخت في المشابهة بالإيمان؛ أي: يا مشابهة هارون في الصّلاح، والتّقوىٰ، والورع.

الاحتمال الثّاني: هارون أخو موسىٰ عليه السلام، وأخوّة الدّين أقوىٰ من أخوّة الدّم.

الاحتمال الثالث: قيل: كان في زمنها رجل صالح يسمىٰ هارون من بني إسرائيل؛ فنسبت إليه في التّقوىٰ، والورع.

يا أخت هارون في التّقوىٰ، والورع، كيف تأتين بمثل هذا الفعل؟! والغاية من عدم قولهم يا مريم ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾؛ أي: عدلوا عن التصريح إلىٰ التعريض بقولهم يا أخت هارون؛ لأن في إضافتها إلىٰ اسمه توبيخ لها أي: ما كان لأخت رجل صالح مثل هارون أن تفعل هذه الفاحشة.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾: أي: ما كان أبوك فاجراً وزانياً، ورجل السّوء: هو الّذي إن صاحبته أصابك منه سوء؛ أي: أذىٰ، أو مكروه.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: زانية، أو باغية. ارجع إلىٰ الآية (٢٠) من السّورة نفسها ؛ للبيان.

ما كان أبوك، وما كانت أمّك: تكرار النّفي (ما) يفيد التّوكيد.

[٢٩] ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾:

حين قال القوم: يا مريم، لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغياً.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: فأشارت: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أشارت إليه مباشرة: إلىٰ ابنها عيسىٰ؛ أي: كلموه، واسألوه، وهي واثقة أنّه سيتكلم.

﴿قَالُوا كَيْفَ﴾: كيف: استفهام فيه تعجب، واستبعاد أنّ يتكلم.

﴿نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: من: بمعنىٰ: الّذي.

﴿كَانَ﴾: تشمل كلّ الأزمنة، وتعني: الحال.

﴿فِي الْمَهْدِ﴾: من كان في السرير (سرير الطفل)، والمهد: المكان الممهد المعد، أو المهيئ لنوم الطّفل.

﴿صَبِيًّا﴾: للتوكيد. ولو قالوا كيف نكلم صبياً لكان يكفي ذلك، ولكن قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً؟ هذه الإضافة تدل علىٰ التأكيد علىٰ استغرابهم والمبالغة في الإنكار والتعجب أن يكلمهم هذا الصبي أولاً، والتعجب الذي صدر منهم.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾: أوّل كلمة نطق بها عيسىٰ عليه السلام، وهو وليد في المهد: إنّي عبد الله؛ حتّىٰ لا يظن أحد كما زعموا أنّه ابن الله، أو إله، أو شريك؛ فكان ذلك أوّل تصريح هو إعلان عبوديته لله تعالىٰ، وعبوديته هي تشريف للعبد أن يكون عبداً لله تعالىٰ.

﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾: الكتاب: الإنجيل؛ آتاني: فعل ماض، ولم يقل سيأتيني

في المستقبل؛ ليدل على أنَّ الأمر حاصل لا محالة، وكأنّه حصل وهو ما زال وليداً في المهد.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: وهو ما زال وليداً، وبصيغة الماضي؛ ليدل على تحقق النّبوة له.

﴿نَبِيًّا﴾: إلى بني إسرائيل.

إنّ عيسى عليه السلام ولد كامل العقل، كما خلق آدم كامل العقل؛ فكان قادراً على قول ذلك.

[٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: ينتفع منه النّاس؛ مثلاً: يبرئ الأكمه، والأبرص، ويُحيي الموتى، وبسببه يكثر الخير، وتنزل البركات.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾: ولم يقل حيثما كنت؛ لأنّ (أينما كنت) أكثر غموضاً، وإبهاماً، وأوسع شمولاً من (حيثما كنت).

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: أي: أمرني بالصّلاة، والزّكاة.

﴿مَا﴾: مصدرية، ظرفية، زمانية؛ أي: مدة بقائي حياً.

[٣٢] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾: ولم يقل بوالدي؛ لأنّه عليه السلام علم أنّه ليس له أب، وهو ما زال وليداً، وعلم الّذين اتهموا مريم أنّه ولد من غير أب، وبراً بوالدتي؛ أي: أمرني ببر والدتي، والإحسان إليها، وطاعتها.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: ارجع إلى الآية (١٤)؛ للمقارنة، والبيان.

﴿شَقِيًّا﴾: صيغة مبالغة من شقي: كثير الشّقاوة، وسبب الشّقاوة: البعد عن

دين الله والإيمان، والسير في طريق الكفر والشرك والضلال. ارجع إلى سورة المؤمنون آية (١٠٦) للبيان.

[٣٣] ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾:

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾: عيسى عليه السلام يسلم على نفسه؛ أي: علَّمه ربه بالوحي، أو أنطقه أنّ يسلم على نفسه، كما علَّمه أن يقول: إني عبد الله آتاني الكتاب، وجعلني نبياً.

وكلمة (يوم) هنا؛ تعني: حين؛ لأنّ (يوم) تعني: النّهار، وهو قد يكون ولد ليلاً، أو يموت ليلاً، أو يبعث ليلاً، واختار هذه الأزمنة: زمن ولادته وموته وبعثه؛ لأنّها أزمنة صعبة يحتاج فيها الإنسان للسلامة من الأذى، والمكروه، وكذلك الأمن، والطّمأنينة. ارجع إلى الآية (١٥) من السّورة نفسها؛ للبيان.

[٣٤] ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، والتّعظيم، ويشير إلى عيسى عليه السلام. واسم عيسى يأتي في سياق النداء والتكليف، وفي سياق تعداد الرسل أو بشكل عام، بينما يأتي اللقب المسيح في سياق الثناء والعقيدة.

﴿قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ﴾: قول الحق؛ أي: ما قاله الله سبحانه بشأن عيسى ابن مريم هو الحق من كون عيسى كلمة الله ألقاها إلى مريم، وكونه خلق، كما خلق آدم، وبكلمة كن فيكون.

﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾: يمترون من المراء: وهو الجدال، والقول الباطل بعد ظهور الحق؛ أي: عيسى ليس إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة.

[٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾:

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾: ما: النّافية.

﴿كَانَ﴾: تشمل الأزمنة كلّها: الماضي، والماضي المستمر، والحاضر، والمستقبل.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾: في أيِّ زمن من الأزمنة.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾: أن: للتوكيد.

﴿مِن﴾: استغراقية تستغرق أيَّ ولد مهما كان ذكراً، أو أنثىٰ، والاتخاذ؛ أي: الجعل، والتّصيير؛ لأنّه سبحانه ليس بحاجة إلىٰ معين، أو ناصر، وليس بحاجة إلىٰ شريك، وولد؛ لاستدامة الخلق.

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهاً مطلقاً لله في ذاته، وصفاته، وأفعاله من أيِّ نقص، أو عيب، أو صاحبة، أو ولد، وتنزيهاً له عما لا يليق بكماله، وجلاله.

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: إذا شرطية تفيد حتمية الحدوث، والكثرة.

﴿قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أنّ يخلق خلقاً، أو يأمر شيئاً، أو أراد شيئاً.

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾: ارجع إلىٰ سورة النّحل، آية (٤٠)؛ للبيان.

[٣٦] ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل للتوكيد، وإنّ الله ربي وربكم؛ أي: وقل لبني إسرائيل: إنّ الله ربي وربكم.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾: الفاء: فاء السّببية؛ أي: اعبدوه بسبب كونه ربكم: خالقكم، ومدبر أموركم، ومصرّفها، ورازقكم، ومربيكم؛ فاعبدوه، من: العبادة، وتعني: إطاعة المعبود في كلّ ما أمر، ونهىٰ عنه. ارجع إلىٰ سورة النّحل، آية (٧٣).

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: عبادة الله تعالىٰ وحده، وطاعته، وامتثال أوامره، وتجنب نواهيه هو الصّراط المستقيم، أو الدّين، أو السّبيل المستقيم الموصل إلىٰ الغاية بأقصر زمن، وأقل جهد.

لنقارن هذه الآية (٣٦) من سورة مريم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، وكذلك وردت في سورة آل عمران، آية (٥١)، مع الآية (٦٤) من سورة الزّخرف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

إضافة كلمة «هو» في آية الزّخرف توكيداً لإثبات الرّبوبية لله سبحانه، ونفي الولد؛ لأنّ آية الزّخرف سبقها كثير من الآيات الّتي تتحدث عن الشّرك، واتخاذ الولد، والملائكة إناثاً الآيات (١٥، ١٦، ١٩).

فجاء بكلمة «هو» للتوكيد، والحصر، مقارنة بآية مريم، وآل عمران الّتي سبقها آيات كثيرة تتحدث عن عبودية عيسىٰ لله تعالىٰ، فلم يؤكد بكلمة هو.

[٣٧] ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: الفاء: تدل علىٰ التّعقيب، والمباشرة؛ اختلف الأحزاب: جمع حزب: جماعة من النّاس يجمعهم رأي، أو آراء، أو مبادئ واحدة، أو طائفة؛ فقد تحزبوا ثلاث فرق في شأن عيسىٰ: حزب قالوا: هو إله، وحزب قالوا: هو ابن الله، وحزب قالوا: ثالث ثلاثة.

﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ﴾: من: ابتدائية للتوكيد.

﴿بَيْنِهِمْ ۖ﴾: الكاثوليك، أو الملكانية، واليعقوبية (الأرثدوكس)، والاعتراضية البروتستانت؛ أي: أتباع عيسىٰ أنفسهم اختلفوا في شأنه.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: فويل: الفاء: للتوكيد؛ ويل للذين كفروا: هذا وعيد للذين كفروا.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿كَفَرُوا﴾: من اليهود، والنّصارىٰ باتخاذ عيسىٰ إلهاً، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، أو كفر بآيات الله ورسله، والويل: تعني: العذاب، وقيل: الويل: واد في جهنم.

﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: من: ابتدائية.

﴿مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: مشهد؛ أي: مرأىٰ يوم القيامة يشهده الأوّلون والآخرون.

﴿مَّشْهَدِ﴾: اسم زمان، أو اسم مكان، وهو مصدر ميمي من فعل: شهد بمعنىٰ: حضر، وشهد.

[٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾؛ أي: لو رأيتهم في ذلك اليوم يوم القيامة، لعجبت من شدة حدة سمعهم، وإبصارهم بعد أنّ كانت في الدّنيا معطلة عن سماع الحق، وآيات الله تعالىٰ.

﴿لَٰكِنِ﴾: حرف استدراك وتوكيد.

﴿الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾: المشركون.

﴿الْيَوْمَ﴾: تعني: الحين؛ أي: في الدّنيا في ضلال مبين. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لبيان الظلم.

﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: في بُعد عن الحق وضياع وتخبط وحيرة.

﴿مُّبِينٍ﴾: ظاهر لكلّ إنسان، ومظهر لنفسه لا يحتاج إلىٰ برهان، أو دليل للناس ليكشفه.

❖ ❖ ❖

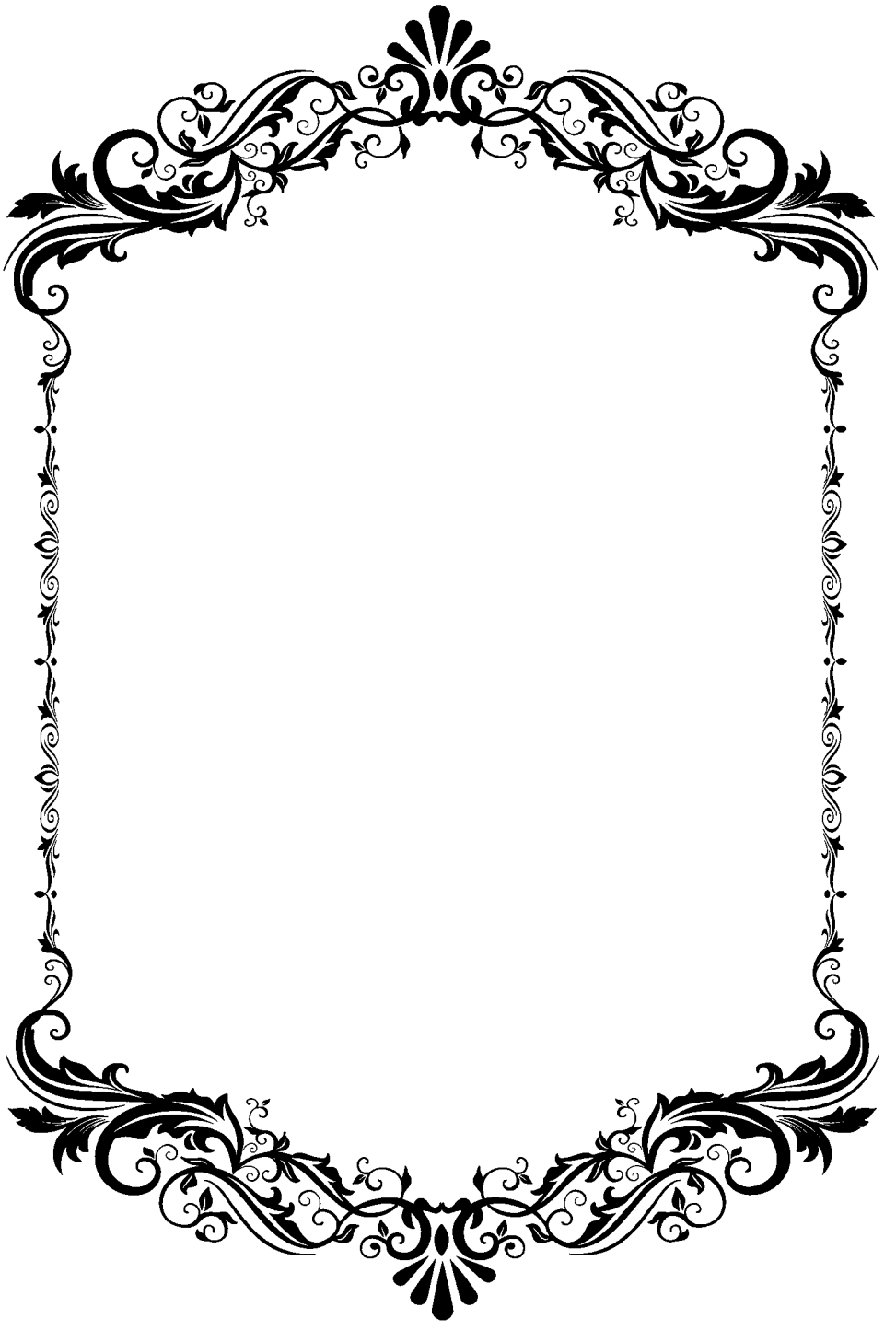

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السادس

السورة ورقمها	الصفحة
سورة إبراهيم [الآيات ٢٥ - ٣٣]	٦
سورة إبراهيم [الآيات ٣٤ - ٤٢]	١٧
سورة إبراهيم [الآيات ٤٣ - ٥٢]	٢٩
سورة الحجر [الآيات ١ - ١٥]	٤١
سورة الحجر [الآيات ١٦ - ٣١]	٥٣
سورة الحجر [الآيات ٣٢ - ٥١]	٦٥
سورة الحجر [الآيات ٥٢ - ٧٠]	٧٧
سورة الحجر [الآيات ٧١ - ٩٠]	٨٩
سورة الحجر [الآيات ٩١ - ٩٩]	١٠١
سورة النّحل [الآيات ١ - ٦]	١٠٧
سورة النّحل [الآيات ٧ - ١٤]	١١٥
سورة النّحل [الآيات ١٥ - ٢٦]	١٢٥
سورة النّحل [الآيات ٢٧ - ٣٤]	١٣٧
سورة النّحل [الآيات ٣٥ - ٤٢]	١٤٧
سورة النّحل [الآيات ٤٣ - ٥٤]	١٥٧
سورة النّحل [الآيات ٥٥ - ٦٤]	١٦٩
سورة النّحل [الآيات ٦٥ - ٧٢]	١٨١
سورة النّحل [الآيات ٧٣ - ٧٩]	١٩٣

السورة ورقمها	الصفحة
سورة النّحل [الآيات ٨٠ - ٨٧]	٢٠٣
سورة النّحل [الآيات ٨٨ - ٩٣]	٢١١
سورة النّحل [الآيات ٩٤ - ١٠٢]	٢٢١
سورة النّحل [الآيات ١٠٣ - ١١٠]	٢٣١
سورة النّحل [الآيات ١١١ - ١١٨]	٢٤١
سورة النّحل [الآيات ١١٩ - ١٢٨]	٢٥٣
سورة الإسراء [الآيات ١ - ٧]	٢٦٩
سورة الإسراء [الآيات ٨ - ١٧]	٢٧٩
سورة الإسراء [الآيات ١٨ - ٢٧]	٢٩١
سور الإسراء [الآيات ٢٨ - ٣٨]	٣٠٥
سورة الإسراء [الآيات ٣٩ - ٤٩]	٣١٧
سورة الإسراء [الآيات ٥٠ - ٨٥]	٣٢٩
سورة الإسراء [الآيات ٥٩ - ٦٦]	٣٣٩
سورة الإسراء [الآيات ٦٧ - ٧٥]	٣٤٩
سورة الإسراء [الآيات ٧٦ -٨٦]	٣٥٧
سورة الإسراء [الآيات ٨٧ - ٩٦]	٣٦٩
سورة الإسراء [الآيات ٩٧ - ١٠٤]	٣٧٩
سورة الإسراء [الآيات ١٠٥ - ١١١]	٣٨٩
سورة الكهف [الآيات ١ - ٤]	٣٩٧
سورة الكهف [الآيات ٥ - ١٥]	٤٠٣
سورة الكهف [الآيات ١٦ - ٢٠]	٤١٥

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الكهف [الآيات ٢١ - ٢٧]	٤٢٣
سورة الكهف [الآيات ٢٨ - ٣٤]	٤٣٥
سورة الكهف [الآيات ٣٥ - ٤٥]	٤٤٥
سورة الكهف [الآيات ٤٦ - ٥٣]	٤٥٥
سورة الكهف [الآيات ٥٤ - ٦١]	٤٦٧
سورة الكهف [الآيات ٦٢ - ٧٤]	٤٧٩
سورة الكهف [الآيات ٧٥ - ٨٣]	٤٩١
سورة الكهف [الآيات ٨٤ - ٩٧]	٥٠١
سورة الكهف [الآيات ٩٨ - ١١٠]	٥١١
سورة مريم [الآيات ١ - ١١]	٥٢١
سورة مريم [الآيات ١٢ - ٢٥]	٥٣٣
سورة مريم [الآيات ٢٦ - ٣٨]	٥٤٧
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء السادس	٥٥٧

❖ ❖ ❖